الجامعة الإسلامية – غزة

عمـــادة الدراسات العليا

كليــة أصـــول الديـــن

قسم التفسير وعلوم القرآن

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الأنعام

(دراسة موضوعية)

إعداد الطالبة

جيهان حسن أبو صبحة

الرقم الجامعي

٢٢٠٠٩٠١١١

إشراف الدكتور

صبحي رشيد اليازجي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

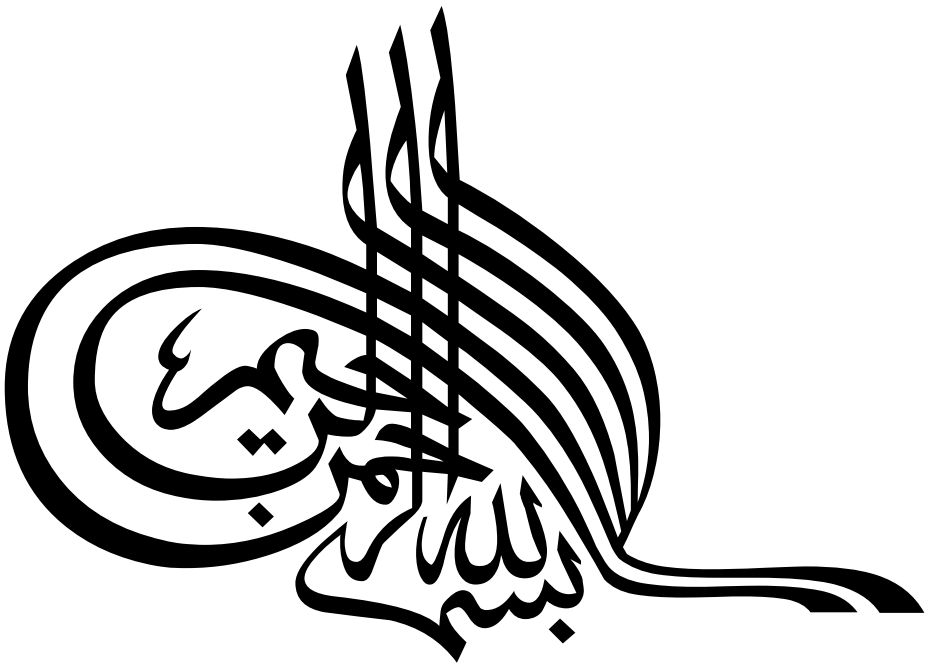
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١].

الإهـداء

إلى روح والدي الطاهرة الذي كان يحثني ويشجعني على طلب العلم.

إلى والدتي الغالية ذلك القلب الحنون التي وقفت بجانبي لإكمال مسيرتي التعليمية.

إلى أختي وإخوتي الأعزاء، وأولادهم، وزوجاتهم حفظهم الله جميعاً.

إلى عماتي وخالاتي وأقاربي وكل من أحببتهم في الله، وشجعوني للسير قدماً في طريق طلب العلم.

إلى صديقاتي العزيزات في الدراسة والعمل.

إلى جامعتي الإسلامية الغراء ... وإلى علمائنا الأجلاء.

إلى مشرفي الفاضل الذي بذل كل جهد ليخرج البحث بأبهى صورة.

إلى أرواح الشهداء الذين سطروا بدمائهم الذكية أروع ملاحم الفداء.

إلى الجرحى الذين سالت دمائهم لتغسل عاراً لحق الأمة يوم تسلط عليها الطغاة والظالمون

إلى الأسرى البواسل الذين سطروا بأمعائهم الخاوية أروع ملاحم البطولة والفداء.

إلى شعب فلسطين المرابط الصامد الذي عانى من الحصار لا لجريمة ارتكبها سوى أنه تمسك بدينه وأصر على عقيدته.

إلى كل طالب علم محب لكتاب الله تعالى عامل به سائر على هداه.

إلى كل الباحثين عن الإصلاح والتغيير في هذه الأمة.

إلى كل هؤلاء أهدي الجهد المتواضع، سائلة المولى ﷻ أن يتقبل مني عملاً خالصاً لوجهه الكريم.

شكر وتقدير

أتوجه بداية بالحمد والثناء على الله تعالى الذي وفقني لإتمام هذا البحث، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، وقوله عليه الصلاة والسلام: **(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)** (١).

فامتناناً لنعمة ربي، واتباعاً لسنة نبيي أتقدم بخالص الشكر لأستاذي الجليل، وشيخي فضيلة الدكتور / صبحي رشيد اليازجي حفظه الله ورعاه، الذي لم يوفر جهداً في نصحي وإرشادي وتقويم بحثي على طول فترة إشرافه عليَّ.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأستاذيَّ الفاضلين المناقشين لهذا البحث:

الأستاذ الدكتور / زكريا إبراهيم الزميلي حفظه الله

والدكتور / عبد الله علي الملاحي حفظه الله

على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من جهد ووقت رغم أعبائهما الكثيرة، أسأل الله تعالى أن ينفعني بملاحظاتهما التي يبديانها لي؛ لتحسين هذا البحث ليخرج في أجمل حُلّة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور زكريا إبراهيم الزميلي الذي تكرم بترجمة ملخص رسالتي إلى اللغة الإنجليزية، وللأستاذ عبد الله أبو موسى (أبو عامر) الذي قام بطباعة هذا البحث؛ ليصل به إلى المستوى الراقي بطباعته وتنسيق.

ولا يفوتني أن أسجل شكري وامتناني إلى الجامعة الإسلامية الغراء، التي فتحت لي أبوابها لدراسة فيها، ممثلة برئيس الجامعة وعميد كلية أصول الدين، وأساتذتي الكرام، وأعضاء الهيئة التدريسية، وكذلك عمادة الدراسات العليا ،جعلهم الله منارة للعلم والعلماء.

والشكر موصول للإخوة والأخوات في المكتبة المركزية بارك الله فيهما وجزآهم عنى كل خير لما قدموه من تسهيلات ومساعدات لي.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٣٣٩/٤)، ح (١٩٥٤)، قال الترمذي: حسن صحيح.

ولا أنسى أن أخص بالشكر والتقدير مديرتي الفاضلة السيدة /اعتدال عساف التي قدمت لي الدعم والمساعدة ، وكذلك وكيلتها السيدة / إسلام اصرف ، والى معلماتي زميلاتي وبخاصة زميلتي حنان أبو مصطفى، أسأل الله لها التوفيق والنجاح في دراستها إنه سميع مجيب الدعاء. والى كل من قدم لي يد العون و المساعدة ، فجزي الله الجميع خير الجزاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الدعاة ورائد المصلحين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الإصلاح والتغيير مهمة الرسل والأنبياء وأتباعهم على مدار التاريخ والأيام، في كل عصرٍ، وفي كل زمان، وشعارهم الدائم المعبر عن جوهر رسالتهم: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

والإصلاح لا بد أن يكون شاملاً، أساسه بناء الإنسان والفرد والأسرة والأمة، خاصة أننا نعيش في زمن فيه صحوة الأمة، وتوجهها نحو الإصلاح والتغيير.

والتغيير يكون أولاً بالقوم والجماعة : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

ثانيا يكون بالفرد والمجتمعات والأسرة ، واختارت الباحثة منهج الإصلاح والتغيير في سورة عظيمة جليلة تحت عنوان:

(منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الأنعام – دراسة موضوعية)

وذلك لأن هذه السورة فيها منهج الإصلاح والتغيير التي تفيد المجتمع وتحقق عن طريقه السعادة للفرد في الدنيا والآخرة.

أولاً: أهمية الدراسة:

١. تعلق هذا الموضوع بأشرف كتاب وهو القرآن الكريم.

٢. تكمن أهمية البحث في الموضوعات الجليلة التي تضمنتها سورة الأنعام من الجانب العقائدي والدعوي والتشريعي.

٣. صحوة الأمة واتجاهها نحو الإصلاح والتغيير.

٤. يحتوي هذا البحث على منهجيات في الإصلاح والتغيير تنفع الناس في إصلاح شئون حياتهم الأسرية والاجتماعية والدينية.

٥. الوصول بهذه المنهجيات إلى العزة والتمكين بإذن الله تعالى.

ثانياً: الأسباب التي دعت إلى اختيار البحث:

١. سورة الأنعام مليئة بالقضايا التي تهم المجتمع الإسلامي، وتقوم على معالجة هذه القضايا.

٢. الأمة بحاجة إلى إحداث تغيرات وإصلاحات من الداخل والخارج.

٣. الواقع المرير الذي تعيشه الأمة الإسلامية ببعدها عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

٤. خدمة كتاب الله تعالى والحث على تفسير القرآن الكريم.

٥. تقويم سلوك الكفار من خلال منهجيات الإصلاح والتغيير الموجودة في السورة .

ثالثاً: أهداف الدراسة والغاية منها:

١. إبراز منهجيات الإصلاح والتغيير التي اشتملت عليها سورة الأنعام.

٢. محاولة وضع حلول لبعض مشاكل الأمة الإسلامية.

٣. إخراج جيل واعي مثقف يعرف كيف يتعامل مع غيره.

٤. بث روح الأمل في نفوس الناس والعودة بهم إلى كتاب الله كمنهج حياة.

٥. إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية جديدة تفتقر إليها في بيان منهجيات التغيير والإصلاح بشكل مستقل.

٦. ابتغاء الأجر والثواب من الله ﷻ في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال خدمة كتابه العزيز.

رابعاً: الدراسات السابقة:

١. بعد البحث والسؤال وجدت الباحثة أن الدكتور صلاح سلطان قد ألف بعض الكتب في منهجيات الإصلاح والتغيير في السور التالية **(الكهف – يوسف – الصف – الفجر – الحج – الملك – الحشر)**.

٢. استكمالاً لمشروع كلية أصول الدين الذي بدأت به الطالبة / ابتسام سمور **(منهجيات التغيير والإصلاح في سورة عبس)**، وعلى إثر ذلك جاء موضوع بحثي: **(منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الأنعام – دراسة موضوعية)**.

خامساً: منهج البحث:

اعتمدت الباحثة في هذا البحث بمشيئة الله تعالى المنهج الاستقرائي والاستنباطي حول سورة الأنعام، وعملها في البحث:

١. كتابة السورة بالرسم العثماني مع كتابة اسم السورة ورقم الآية.

٢. تتبع آيات السورة والوقوف على المناهج الموجودة فيها، ودراستها دراسة تفسيرية تطبيقية.

٣. استخراج المنهجيات في الإصلاح والتغيير من خلال السورة.

٤. ربط السورة بالواقع.

٥. الرجوع إلى المراجع الأساسية في التفسير.

٦. تخريج الأحاديث التي سترد في البحث تخريجاً علمياً مع ذكر حكم العلماء عليها إن لم تكن في الصحيحين.

٧. الرجوع إلى المعاجم اللغوية من أجل بيان معاني المفردات الغريبة.

٨. الترجمة للأعلام المغمورين الذين سيردون في البحث.

٩. توثيق المعلومات حسب الطريقة العلمية المعروفة.

١٠. إعداد الفهارس اللازمة في نهاية البحث.

سادساً: خطة الدراسة:

وقد اشتملت خطة الدراسة على: مقدمة وتمهيد وفصلين، وخاتمة وفهارس:

المقدمة: وتشتمل على:

١. أهمية الدراسة.

٢. أسباب اختيار الموضوع.

٣. أهداف الدراسة.

٤. الدراسات السابقة.

٥. منهج البحث.

٦. خطة الدراسة.

التمهيد

مفهوم المنهج والإصلاح والتغيير ومجالاته في القرآن الكريم

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المنهج والإصلاح والتغيير والفرق بينهما .

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المنهج.

المطلب الثاني: مفهوم الإصلاح.

المطلب الثالث: مفهوم التغيير.

المطلب الرابع : الفرق بين الإصلاح والتغيير .

المبحث الثاني: مجالات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التدرج في الإصلاح والتغيير.

المطلب الثاني: أهداف الإصلاح والتغيير.

المطلب الثالث: مجالات الإصلاح والتغيير.

المبحث الثالث: أساليب الإصلاح والتغيير والعلاقة بينهما.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أساليب الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: العلاقة بين الإصلاح والتغيير.

الفصل الأول

بين يدي سورة الأنعام

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها وأغراضها.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها وفضلها.

المطلب الثاني: زمن نزول السورة والجو الذي نزلت فيها السورة.

المطلب الثالث : محور السورة .

المطلب الرابع : موضوعات السورة .

المبحث الثاني: المناسبات في سورة الأنعام.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة ومحورها ، ومابين افتتاحها وخاتمتها .

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها و ما بعدها .

الفصل الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الأنعام

ويتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي.

ويشتمل على اثني عشر مطلباً:

المطلب الأول: توحيد الألوهية ومقتضياته.

المطلب الثاني: أسماء الله وصفاته.

المطلب الثالث: الإيمان بالملائكة.

المطلب الرابع: الإيمان بالكتب السماوية.

المطلب الخامس: الإيمان بالرسل.

المطلب السادس: الإيمان باليوم الآخر.

المطلب السابع: الإيمان بالقضاء والقدر.

المطلب الثامن: مصير الكفار يوم القيامة.

المطلب التاسع: مظاهر قدرة الله تعالى.

المطلب العاشر: العدل الإلهي في الثواب والعقاب.

المطلب الحادي عشر: القرآن هداية وإعجاز.

المطلب الثاني عشر: الجن من مخلوقات الله تعالى.

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: الوصايا العشر.

المطلب الثاني: عدم الكذب والتنفير منه.

المطلب الثالث: الجدل.

المطلب الرابع: الابتلاء سنن الله في الأرض.

المطلب الخامس: التحذير من الشيطان.

المبحث الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير التشريعي.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأشياء المحرمة على المسلمين واليهود.

المطلب الثاني:الصلاة عمود الدين .

المطلب الثالث: زكاة الزروع .

المبحث الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي.

ويشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: القصص.

المطلب الثاني: التهديد والوعيد.

المطلب الثالث: النظر والتفكر في أحوال الأمم السابقة.

المطلب الرابع: الحوار.

المطلب الخامس: الاستدراج.

المطلب السادس: العناية الإلهية بالدعاة.

المطلب السابع: الدعوة هي مهمة الأنبياء .

المبحث الخامس: منهجيات الإصلاح والتغيير السياسي.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: منهج القران في خلافة الأرض.

المطلب الثاني: منهج القران في التعامل مع المشركين.

المطلب الثالث: الصراع بين الحق والباطل.

المطلب الرابع: جهل الكفار بالتشريع .

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجمة.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

التمهيد

مفهوم المنهج والإصلاح والتغيير ومجالاته في القرآن الكريم

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المنهج والإصلاح والتغيير.

المبحث الثاني: مجالات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أساليب الإصلاح والتغيير والفرق بينهما.

المبحث الأول

مفهوم المنهج والإصلاح والتغيير والفرق بينهما

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المنهج.

المطلب الثاني: مفهوم الإصلاح .

المطلب الثالث: مفهوم التغيير.

المطلب الرابع: الفرق بين الإصلاح والتغيير.

المطلب الأول

مفهوم المنهج

أولاً: المنهج لغةً:

قال ابن فارس:" النون والهاء والجيم أصلانِ متباينان: الأول النَّهْج، الطّريق. ونَهَج لي الأمْرَ: أوضَحَه . والمَنْهج: الطَّريق أيضاً، والجمع مناهج، والآخر الانقطاع، وأتانَا فلانٌ يَنْهَج، إذا أتى مبهوراً منْقَطِع النَّفس . وضربت فلاناً حتى أُنْهِج، أي سقط " [١].

والنَّهْج في الاستعمال: هو الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال [٢]. وجاء النهج بمعنى الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج وضح، ومنهج الطريق ومنهاجه . قال تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة:٤٨] ومنه قوله: نهج الثوب وأنهج: بان فيه أثر البلى، وقد أنهجه البلى[٣]، وقال ابن منظور:" المِنهاجُ الطريقُ الواضِحُ اسْتَنْهَجَ الطريقُ صار نَهْجاً ونَهَجْتُ الطريقَ أَبَنْتُه وأَوضَحتُه يقال: اعْمَل على ما نَهَجْتُه لك ونَهَجتُ الطريقَ سَلَكتُه وفلانٌ يستَنهِجُ سبيلَ فلانٍ أَي يَسلُكُ مَسلَكَه والنَّهْجُ الطريقُ المستقيمُ ونَهَجَ الأَمْرُ وأَنهَجَ لُغتانِ إِذا وضَحَ والنَّهَجةُ الرَّبْوُ يَعْلو الإِنسانَ والدابَّةَ " [٤] . والنهج بالتحريك، البهر وتتابع النفس. وقد نهج بالكسر ينهج . يقال: فلان ينهج في النفس فما أدرى ما أنهجه [٥].

ولذلك يتضح للباحثة أن المنهج لغة: هو الطريق الواضح البين الذي لا غموض فيه.

وهذا ما ذكره الإمام الشافعي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ أي طريقاً واضحاً، أمرنا بالاستقامة عليه [٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ٣٦١/٥، دار الفكر: الطبعة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ٩١٣/١ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ، ٤٥٥/٢ ، دار القلم، دمشق.

(٤) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، ٣٨٣/٢ : دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٥) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ٣٦٩/١، دار العلم للملايين بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٦) انظر: تفسير الإمام الشافعي، ٧٥٧/٢، جمع وتحقيق: د. أحمد مصطفى الفران، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

ثانياً: المنهج اصطلاحاً:

تعددت أراء العلماء في تعريف المنهج إلى عدة أمور منها:

١- المسلكُ الذي يسلكه المؤلف أو الباحث في تناول الموضوعات التي يدرسها، والطريقةُ التي سار عليها في كتابةِ ودراسة هذه الموضوعات، والقواعد والأصول والضوابط التي يعتمد عليها وينطلق منها في كتابته [١].

٢- الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة [٢].

٣- فن التنظيم الصحيح لسلسة من الأفكار العديدة، من أجل الكشف عن الحقيقة [٣].

٤- طريق كسب المعرفة، أو هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة لاكتشاف الحقيقة، أو هو الخطوات المنظمة التي يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها [٤].

٥- أما تعريف المنهج من الناحية التربوية: عرف الدمرداش سرحان المنهج بأنه: " يتضمن جميع ما تقدمه المدرسة إلى تلاميذها تحقيقاً لرسالتها الكبرى في بناء البشر، وفق أهداف تربوية محددة، وخطة علمية سليمة، بما يساعد على تحقيق نموهم الشامل جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً وروحياً" [٥].

٦- أما تعريف المنهج نظر التربية الإسلامية: عرفه محمود شوق بأنه: " نظام من الخبرات التي تقدمها المؤسسة التربوية للمتعلمين – منها ما يتعلق بالمنزَّل من عند الله، وأخرى تتعلق بالمكتسب بواسطة البشر – لتساعدهم على اكتسابها تحت إشرافها، وذلك بهدف تحقيق نموهم نمواً شاملاً ومتكاملاً ومتوازناً، وتمكينهم من السلوك قولاً وعملاً وفق تعاليم الدين الحنيف" [٦].

---

(١) انظر: علوم القرآن عند ابن عبد البر، محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني، ص ٦١، رسالة ماجستير، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٢) انظر: (المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح بن حمد العساف، ص١٦٩، مكتبة العبيكان، ط٣، ١٤٢٤هـ، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، ٧/١، منشورات الفرقان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

(٣) انظر: البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، ص٦٠، دار الشروق، جدة، ط٦، ١٤١٦هـ.

(٤) انظر: أساليب البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، محمد راكان الدغيمي، ص٣٣، ط٣، ١٤١٧هـ

(٥) المناهج المعاصرة، سرحان الدمرداش، ص١٥، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٤٠١هـ .

(٦) الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، محمود شوق، ص٣٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢١هـ .

التعريف الشامل للمنهج: من خلال التعريفات السابقة تستطيع الباحثة أن نضع تعريفاً شاملاً للمنهج هو: (مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم، لتحقيق الهدف المنشود في إرساء قواعد المجتمع الفاضل).

ثالثاً: المنهج في السياق القرآني:

وردت كلمة منهج أو (المنهج) في القرآن الكريم مرة واحدة: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] .

والمنهاج هو ما يبينه النبي الذي أنزل عليه الكتاب، وفصل به الأحكام الجزئية [١]، وفي تفسير الشوكاني معناه "سبيلاً وسنة" [٢]، "ويستعمل في كل شيء كان بيناً واضحاً سهلاً"[٣].

وفسر سيد قطب المنهج بقوله: "إن شريعة الله تمثل منهجاً شاملاً متكاملاً للحياة البشرية يتناول بالتنظيم والتوجيه والتطوير كل جوانب الحياة الإنسانية في جميع حالاتها، وفي كل صورها وأشكالها.

وهو منهج قائم على العدل المطلق، مبرأ من الهوى والميل والضعف – كما أنه مبرأ من الجهل والقصور والغلو والتفريط– الأمر الذي لا يمكن أن يتوافر في أي منهج أو في أي شرع من صنع الإنسان، سواء كان المشرع فرداً، أو طبقة، أو أمة، أو جيلاً من أجيال البشر، وإنه المنهج الوحيد الذي يتحرر فيه الإنسان من العبودية للإنسان، ففي كل منهج – غير المنهج الإسلامي – يتعبد الناس الناس، ويعبد الناس الناس، وفي المنهج الإسلامي – وحده – يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده بلا شريك [٤].

"والفرق بين الشرعة والمنهاج قال بعضهم : الشرعة إشارة إلى الدين وهو الشرع، والمنهاج: إشارة إلى الدليل الذي يتوصل إلى معرفته والتخصيص به" [٥].

---

(١) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) ٢٢٢٧/٤، دار الفكر العربي.

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) ٥٧/٢، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) المحقق : أحمد محمد شاكر، ٣٨٤/١٠، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، ٨٩٠/٢، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت : ٥٠٢هـ) تحقيق ودراسة: د.محمد عبد العزيز بسيوني، ٣٧٠/٤، كلية الآداب، جامعة طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

"وقال مجاهد: الشرعة والمنهاج دين محمد ﷺ، وقد نسخ به كل ما سواه" [1].

ولقد أوضح الإمام الزمخشري معنى (منهاجاً) بأنه: طريقاً واضحاً في الدين تجرون عليه[2].

أما المراغي فقال منهاجاً " طريقاً فرضنا عليهم سلوكه لتزكية أنفسهم وإصلاح سرائرهم "[3].

وترى الباحثة أن المنهج الإسلامي هو الطريق المؤدي إلى مرضاة الله، ولا يجوز للمسلمين أن يحيدوا عنه، فالله قرر أنه ليس للمؤمنين أي خيار أمام قضاء الله حيث قال : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

المطلب الثاني

مفهوم الإصلاح

أولاً: الإصلاح لغة:

الصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خَلاف الفَساد، يقال صلُحَ الشَّيءُ يصلُحُ صلاحاً، ويقال صَلَح بفتح اللام [4]، والصُلح بالضم : السلم، واستصلح: نفيض استفسد [5]، والصَّلَاح: ضَدُّ الفَسَادِ وَقد يُوصف بِهِ آحادُ الأُمّةِ وَلَا يُوصَف بِهِ الأنبياءُ والرُّسلُ عَلَيْهِم السّلام [6]، والصلح : كل ما صلح فيه بين فهو بالسكون وإن لم يصلح فيه بين فهو بالتحريك[7]، ، وصلح الأمر، وأصلحته، وأصلح الله تعالى الأمير، وأصلح الله تعالى في ذريته وماله، وسعى في إصلاح

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٢١٢/٦، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

(٢) تفسير الكشاف، للإمام الزمخشري، ٦٣٩/١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

(٣) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (ت : ١٣٧١هـ)، ١٣٠/٦، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ٣٠٣/٣.

(٥) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت : ٨١٧هـ)، ٢٢٩/١، تحقيق: مكتب تحقيق التراب في مؤسسة الرسالة، بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، ٥٤٧/٦، المحقق : مجموعة من المحققين، دار الهدية.

(٧) الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ٥٤٤/١.

ذات البين، وأمر الله تعالى ونهى لاستصلاح العباد، وصلح فلان بعد الفساد، وصالح العدو، ووقع بينهما الصلح .. وهم لنا صلح أي مصالحون[١]، والإصلاح : تلافي خلل الشيء [٢]، "واصْطلحَ الْقَوْم زَالَ مَا بَينهم من خلاف وعَلى الْأَمر تعارفوا عَلَيْهِ واتَّفَقُوا، والصَّالح : الْمُسْتَقيم الْمُؤَدِّي لواجباته" [٣]، "والصَّلاحُ ضد الطلاح، وصَلاحِ وصَلاحُ: من أَسمَاء مَكَّة، يجوز أن يكون من الصُّلْحِ لقَوْله ﷻ: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ [القصص:٥٧] [٤]، وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: "أن كلمة إصلاح تطلق على ما هو مادي، وعلى ما هو معنوي، فيقال: أصلحت العمامة، وأصلحت بين المتخاصمين" [٥].

ثانياً: الإصلاح اصطلاحاً:

تعددت أراء العلماء في وضع تعريف للإصلاح، نظراً لتعدد مجالاته، ويتضح ذلك من خلال التعريفات التالية:

١- التغيير إلى استقامة الحال [٦] على ما يدعو إليه العقل [٧].

٢- سلوك طريق الهدى [٨].

٣- **الصالح عرفاً:** القائم بما عليه من حقوق الله تعالى، وحقوق العباد، حسب الإمكان وعند الحنفية: من كان مستوراً، ولم يكن مهتوكاً، ولا صاحب ريبة، وكان مستقيم الطريقة، سليم الناحية، كامن الأذى، قليل الشر، ولا قذافاً للمحصنات، ولا معروفاً بالكذب [٩].

---

(١) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) ٥٥٤/٥، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ص٢١١، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار)، ٥٢٠/١، دار الدعوة.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨)، ١٥٣/٣، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٥) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ٦٢/٥، دار السلاسل، الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

(٦) التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق : فتحي أنور الدابلوي، ٥٨/١، دار الصحابة للتراث بطنطا، سنة النشر ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، مصر.

(٧) الكليات، أبو البقاء الكفوي، ٥٦١/١.

(٨) المرجع السابق ، ١/ ٥٦١ .

(٩) القاموس الفقهي، سعيد أبو جيب، ص٢١٥، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤- **الإصلاح في التربية وعلم النفس:** قدرة طبيعية على اكتساب أنماط معينة من السلوك [١].

٥- **الإصلاح في الفقه هو:** إزالة الخصومات بترك بعض الحق [٢].

٦- **أما تعريف الإصلاح في كتب التفسير:**

أ- الحصول على الحالة المستقيمة النافعة [٣] .

ب-عبارة عن الإتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي [٤].

ج- هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع [٥].

د- صلاح الشيء: هو كونه على حالة اعتدال في ذاته وصفاته، بحيث تصدر عنه أو به أعماله المرادة منه على وجه الكمال [٦].

وترى الباحثة أن الإصلاح: (هو الوصول بالإنسان إلى أفضل صورة، وأحسن سيرة لأداء الأمانة في تصحيح الأخطاء، وحل المشكلات، والتقصير في الواجبات، ومحاربة الفساد من جميع النواحي سياسيا واجتماعياً للوصول إلى أحسن المستويات لوضع المواثيق، والدساتير للارتقاء بالمجتمعات).

ثالثاً: الإصلاح في السياق القرآني :

لقد ورد ذكر الإصلاح (١٠٩) مرات في القرآن الكريم [٧]، وهذا له دلالته في بيان أهمية هذه اللفظة من حيث استعمالها في القرآن الكريم، فذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿**خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا**﴾ [التوبة:١٠٢]، ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ [الأعراف:٥٦]، ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [البقرة:٨٢]، وجاء الإصلاح في مواضع كثيرة

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار)، ٥٢٠/١.

(٢) عمدة الحفاظ، سمين الحلبي، ٤٠٢/٢، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ٦٢/١ .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، ٢٠٣/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ١٤٧/٤، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٦) انظر: تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ)، ٧٢/١، المحقق : علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ص٢٨٨ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

بمعنى: إزالة النفار بين الناس، مثل قوله تعالى: ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨]، ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾ [النساء:١٢٩]، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] ، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠] .

وإصْلَاحُ اللهِ تعالى الإنسانَ يكون تارة بخلقه إيّاه صَالِحاً، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصَّلاح، قال تعالى: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٢] ، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧١]، ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف:١٥]، ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٨١] ، أي: المفسد يضادّ الله في فعله، فإنّه يفسد والله تعالى يتحرّى في جميع أفعاله الصَّلَاحَ، فهو إذا لا يُصْلِحُ عملَه.

وصَالِحٌ : اسم لنّبيّ عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ [هود:٦٢] [(١)].

وقد وردت لفظ الإصلاح في سياق القرآن الكريم على عشرة أوجه منها [(٢)]:

الوجه الأول: حسن الإيمان:

وردت كلمة الإصلاح بمعنى الإيمان في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الرعد:٢٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور:٣٢] ، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:١٩] "أي المؤمنين" [(٣)].

الوجه الثاني: حسن المنزلة:

منه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة:١٣٠]، "والصالحين يعني حسن المنزلة عند الله تعالى، والمقصود به إبراهيم عليه السلام "، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف:٩] ، يعني "تصلح منزلتكم عند أبيكم" [(٤)].

الوجه الثالث: الرفق:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢]، "أي وصى موسى عليه السلام أخيه هارون أن يرفق بقومه، ويصلح أمرهم،

---

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، ٤٩٠/١، المحقق : صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، ص٢٨٢، المحقق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٩٨٠م.

(٣) انظر: قاموس القرآن، الدامغاني، ص ٢٨٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٢٨٣.

ويصلح نفسه، ولا يتبع سبيل المفسدين" [١].

الوجه الرابع: الإصلاح بمعنى تسوية الخَلْق:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ [الأعراف:١٨٩] ، "أي النسل الصالح السوي" [٢]، سليماً في تمام الخلق بدناً، وقوة وعقلاً [٣].

الوجه الخامس: الإصلاح بمعنى الإحسان:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، الإصلاح هنا أن يعبدوا الله وحده وأَنْ يفعلوا ما يفعل مَنْ يخاف الله [٤].

الوجه السادس: الإصلاح بمعنى الطاعة:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٨٥]، والمراد بالإصلاح في الآية: أي لا يعملوا في الأرض المعاصي بعد ما بيّن الله تعالى طريق الحق وأمرهم بالطاعة [٥].

الوجه السابع: أداء الأمانة:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف:٨٢]، "وصلاح هذا الرجل أن الناس كانوا يضعون عنده الودائع فيردها إليهم كما وضعوها" [٦].

الوجه الثامن: بر الوالدين:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥]، "صالحين أي صادقين في نية البر بالوالدين" [٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٧٧/٧.

(٢) روح المعاني، الألوسي، ١٣٠/٥.

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٦٧/٣.

(٤) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، ٥٣٠/١، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٥) انظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، ٥٣٢/١، دار النشر: دار الفكر، بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي.

(٦) انظر: روح المعاني، للألوسي، ١٣/١٦.

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٤٦/١٠.

الوجه التاسع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]، ومعنى الآية: "أن الله لا يهلك القرى بمجرد شرك أهلها إذا كانوا مصلحين ويعامل بعضهم بعضاً بالصلاح والسداد" (١).

الوجه العاشر: الإصلاح بمعنى الحج:

الصلاح: بمعنى الحج ، وهذا ما ذكره الدامغاني، واستدل بقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]، أي أحج (٢).

المطلب الثالث

مفهوم التغيير

أولاً: التغيير لغة:

"غير: الغين والياء والراء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين ، فالأول الغيرة، وهي الميرة بها صلاح العيال، يقال : غرت أهلي غيرة وغيارا، أي مرتهم، وغارهم الله تعالى بالغيث يغيرهم يغورهم، أي أصلح شأنهم ونفعهم والأصل الآخر: قولنا: هذا الشيء غير ذاك، أي هو سواه وخلافه" (٣).

"وغير يكون استثناء مثل قولك: هذا دِرْهَمٌ غيرَ دانق (٤)، معناه: إلا دانقاً، ويكون اسماً، تقول: مررتُ بغَيْرِك، وهذا غَيْرُك" (٥).

"والغير أيضاً الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير .. وتغايرت الأشياء، اختلفت، والغيار البدال" (٦)، "وتغير الشيء عن حاله: تحول، وغيره: حوله وبدله كأنه جعله غير ما كان" (٧).

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١)، ٥٠٧/٢، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) قاموس القرآن، الدامغاني، ص٢٨٤.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ٤٠٤/٤.

(٤) دانق تعني: سدس الدرهم الشرعي، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، ٦٢٠/١.

(٥) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٤٤٤/٤، دار ومكتبة الهلال.

(٦) الصحاح، الجوهري، ٧٧٦/٢.

(٧) لسان العرب، ابن منظور، ٤٠/٥.

ويقول الرازي في الصحاح: "غير بمعنى سوى والجمع (أغيار) وهي كلمة يوصف بها ويستثنى، فإن وصفت بها أتبعتها ما قبلها، وإن استثنيت بها أعربتها بالإعراب الذي يجب للاسم الواقع بعد إلا" [١]، "والتغيير عند ابن عاشور: "تبديل شيء بما يضاده فقد يكون تبديل صورة جسم كما يقال: غَيّرتُ داري، ويكون تغيير حال وصفة ومنه تغيير الشيب أي صباغه، وكأنه مشتق من الغير وهو المخالف، فتغيير النعمة إبدالها بضدها وهو النقمة وسوء الحال، أي تبديل حالة حسنة بحالة سيئة" [٢].

ويتضح من هذا العرض اللغوي أن التغيير يعني التحول والتبدل من حال إلى حال سلباً أو إيجاباً أي أنها كلمة محايدة تتحدد وجهتها من خلال السياق الذي تأتي فيه.

ثانياً: التغيير اصطلاحاً:

تعددت التعريفات التي تناولت مفهوم التغيير على حسب الزاوية التي ينظر إليها الباحث، والميدان الذي يستخدم فيه هذا المفهوم فتناوله في ميدان التربية يختلف عنه في علم النفس ويختلف عنه في علم الاجتماع ولكن تبقى قواسم مشتركة بين هذه التعريفات سيتم استخلاصها بعد ذكر مجموعة من التعريفات منها:

١- تعريف التغيير في علم الاجتماع:

أ- ظاهرة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الكون وشئون الحياة [٣].

ب- كل تحول يحدث في النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية، سواء كان ذلك البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة [٤].

ج- أوضاع جديدة تطرأ على البناء الاجتماعي والنظم والعادات، وأدوات المجتمع المنتجة لتشريع أو قاعدة جديدة لضبط السلوك، أو كنتائج لتغير إما في بناء فرعي معين أو المنتجة لتشريع

---

(١) انظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، ٢٣٢/١، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، ٤٥/١٠، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

(٣) انظر: التغير الاجتماعي، دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية، سيف الإسلام مطر، ص١٠-٢١، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٨٦م.

(٤) أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية، د. محمد حسن العمايرة، ص٢٨٢، دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ١٩٩٩م-١٤٢٠هـ.

أو قاعدة جديدة لضبط السلوك، أو كنتائج لتغير إما في بناء فرعي معين أو جانب من جوانب الوجود الاجتماعي أو البيئة الطبيعية أو الاجتماعية [١].

د- هو ما يشير إلى نمط من العلاقات الاجتماعية في وضع اجتماعي معين يظهر عليه التغير خلال فترة محددة من الزمن، ثم يعدد أشكال التغير الاجتماعي بأنها ثلاث في القيم الاجتماعية – في النظام الاجتماعي- في مراكز الأشخاص[٢].

٢- تعريف التغيير في الإسلام:

وهذا الذي يفيد في البحث والذي يتعلق بالسورة، وإليكم آراء بعض المفكرين الإسلاميين حول مفهوم التغيير في الإسلام على شكل نقاط منها:

أ- نقض أساس المجتمع الجاهلي التشريعية والفكرية وإحلال أفكار الإسلام ومبادئه وتشريعاته مكانها، ويعني كذلك تعبيد الناس لله في كافة شؤونهم الخاصة والعامة، وأن يكون ولاء المجتمع شعباً وحاكماً لله رب العالمين، وأن هذا التغيير هو تغيير جذري كلي وليس ترقيعاً للأوضاع الجاهلية [٣].

ب- عملية مقصودة تحدث عن طريق التخطيط من أجل تغيير الوضع الراهن وأنه أحد العمليات الاجتماعية التي تحول البناء الاجتماعي للمجتمع في أوجه الحياة واتجاهات وسلوك أفراده، وأن التغيير الاجتماعي المخطط يشمل عملية مواجهة مع النظم السائدة، وقد تمتد تلك المواجهة لتشمل مجالات متعددة تتعلق بالقيم والاتجاهات والمعرفة والمهارات [٤].

ج- الوسيلة لإقامة أمر الله وتنفيذ حاكميته وهو واجب شرعي لأن إقامة حكم الله لا تتم إلا بالتغيير، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويرى كذلك أن التغيير منهج يتبع وطريقة تسلك، وبرنامج للعمل الدؤوب المتواصل، وخطة لاستثمار الوقت والجهد والمال، وكل ما يدخل في دائرة الطاقة والوسع، وتوجيه كل ذلك لخدمة الدعوة والنهوض بها" [٥].

---

(١) دراسة المجتمع، مصطفى الخشاب، ص١٨٨، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م.

(٢) قاموس علم الاجتماع، محمد محمد علي، ص٤١٥، الهيئة المصرية، ١٩٧٩م.

(٣) انظر: التغير الاجتماعي والتخطيط، محمد عاطف غيث، ص٢٢-٢٣، دار المعرفة الجامعية، ط٢، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

(٤) الشباب والتغيير، فتحي يكن، ص٢٨، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.

(٥) قضية التغيير، دراسة الدوافع والمنهج والمضمون، أحمد محمد مفلح، ص٣٣، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٩٤م.

د- يعرف الباحث نافذ الجعب التغيير الإسلامي أنه "نقل المجتمع من حالة الانحراف عن منهج الله – وهو الإسلام- إلى حالة الالتزام به عقيدة وعبادة وشريعة دون سواه من الأنظمة الجاهلية، ويأتي ذلك عبر التخطيط والجهد المستبصر، ولا يكتمل هذا التغيير إلا أن يكون الدين كله لله فتخضع البشرية كلها له" (١).

التعريف المختار والشامل: (عملية منظمة يخطط له الدعاة والمصلحون ويضعون لها أسس وقواعد ويستخدمون كافة الوسائل من أجل نقل المجتمع من الفساد والانحراف إلى مجتمع صالح ملتزم بعقيدة الله وعبادته مع أخذ الاعتبار بالظروف والمتغيرات التي يمر بها المجتمع).

٣- التغيير في السياق القرآني :

وقد ورد مفهوم (التغْيير) في القرآن الكريم في أربعة مواضع، موزَّعة على أربع سور مدنيّةِ النزول بالاشتقاقات التالية:

- (يُغَيِّرُنَّ) في سورة النساء الآية ١١٩.
- (يُغَيِّرُ) في سورة الرعد الآية ١١.
- (يُغَيِّرُوا) تكرَّرت في سورتَين: الأولى في الأنفال الآية ٥٣، والثانية في الرعد الآية ١١.
- (يَتَغَيَّرْ) في سورة محمد الآية ١٥.

وعند التدبر العميق لكل موارد لفظ التغيير في القرآن الكريم، جاء السياق بمعاني متعددة منها:

١- **تغيير خلق الله:** قال تعالى: ﴿**وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ**﴾ [النساء:١١٩]، من العلماء فسر معنى التغيير في الآية:

أ. **تغيير دين الله:** مصداقا مع قوله تعالى: ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ [الرُّوم:٣٠] (٢).

وتغيير دين الله له وجهان:

الوجه الأول: تغيير دين الله معناه الكفر، فمن كفر فقد غيَّر فطرة الله التي فطر الناس عليها.

---

(١) منهج التغيير الإسلامي دراسة تطبيقية لمنهج التغيير الإسلامي في عهد عمر بن عبد العزيز، نافذ سليمان الجعب، ص١٨، تقديم د. حمدان عبد الله الصوفي، الجامعة الإسلامية، غزة، قسم أصول التربية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢١٨/٢.

الوجه الثاني: أن المراد من تغْيير دين الله هو تبديل الحلال حراماً والحرام حلالاً [١].

ب. **تغْيير الصفات الحسِّيَّة للخلق:** أي تغيير الخلقة الظاهرة بالوشم، والوشر [٢] والنمص والتفلج للحسن، ونحو ذلك [٣].

٢- **تغيير نعمة الله:** قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣]، وظاهرة النعمة: أنه يراد بها ما يكون فيه العباد من سعة الحال والرفاهية والعزة والتمكين والخصب، وسبب ذهاب هذه النعم وتغيُّرها راجع إلى: "أنهم قابلوا النعم بالكفر والفسوق والعصيان، فلا جرَم استحقوا تبديل النعم بالنقم، والمنهج بالمِحَن"[٤] ويزيد ابن عطية بقوله: أن الله ﷻ إذا أنعم على قوم نعمة فإنه بلطفه ورحمته لا يبدأ بتغيرها وتكديرها حتى يجيء ذلك منهم بأن يغيروا حالهم التي تراد وتحسن منهم، فإذا فعلوا ذلك وتلبسوا بالتكسب للمعاصي أو الكفر الذي يوجب عقابهم غير الله نعمته عليهم بنقمته منهم، ومثال هذا نعمة الله على قريش بمحمد ﷺ فكفروا ما كان يجب أن يكونوا عليه، فغير الله تلك النعمة بأن نقلها إلى غيرهم من الأنصار وأحل بهم عقوبته[٥].

٣- **تغيير ما بأنفس القوم:** قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] فتغْيير ما بالأنفُس – القوم– يراد به تغيير ما بها من الأعمال والأحوال والأخلاق، التي كان عليها العباد وقت ملابستهم بالنعمة، واتصفوا بعد ذلك بما ينافيها بكفران نعم الله – تعالى – وغمط إحسانِه وإهمال أوامره ونواهيه.

وفسر ابن تيمية التغيير في هذه الآية بقوله: "إن يغيروا الإيمان الذي في قلوبهم بضده من الريب والشك والبغض، ويعزموا على ترك فعل ما أمر الله به ورسوله، فيستحقون العذاب هنا على ترك المأمور، وهنا على فعل المحظور، وكذلك ما في النفس مما يناقض محبة الله، والتوكل عليه، والإخلاص له، والشكر له، يعاقب عليه؛ لأن هذه الأمور كلها واجبة، فإذا خلا القلب عنها،

---

(١) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت : ٦٠٦هـ)، ٢٢٣/١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ..

(٣) المرأة التي تحدد أسنانها وترقق أطرافها ، لسان العرب ، ابن منظور ، ٥/ ٢٨٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) ٢٠٣/١، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، ٤١٠/٣، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، ٥٤١/٢، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

واتصف بأضدادها، استحق العذاب على ترك هذه الواجبات" [1].

والتغيير في القرآن جاء على نوعين:

أولاً: التغيير المذموم:

وهو تغيير سنن الله، والتحرك بخلاف إرادة الله ومشيئته.

ثانياً: التغيير المحمود:

وهو تغيير الواقع المنحرف عن إرادة الله ومشيئته.

المطلب الرابع

الفرق بين الإصلاح والتغيير

من خلال ما سبق ذكره من تعريفات الإصلاح والتغيير، وأساليبه ومجالاته وأهدافه، يتوارد إلى الذهن نقطة مهمة وهي، هل يوجد فرق بين الإصلاح والتغيير؟ أم هما كلمتان مترادفتان أي بمعنى واحد؟ وتجيب الباحثة على هذا السؤال بعدة نقاط منها:

من خلال واقع الأمة في العصر النبوي وعصر الصحابة والتابعين إلى العصر الحاضر يمكن أن يفرق بين الإصلاح والتغيير منها:

١- إن المجتمع يحتاج إلى الإصلاح والتغيير معاً فلا يستغني عن أحدهما أو إما أن يكون بحاجة إلى إصلاح وتغيير وهناك فرق بينهما، والضابط في التمييز بينهما هو المشكلة الموجودة وأثرها على المجتمع، فالبيت القديم الذي تكون أساساته متينة وقوية لا يحتاج إلا إلى إصلاح وترميم كالدهان، وصيانة لمواسير المياه، وإعادة فرش أرضيته بالبلاط وما شاكل ذلك من أنواع الترميم والإصلاح، أما إذا كانت أساساته خربة فالتغيير هو اللازم هنا فينكر على شخص أن يقوم بعمليات الترميم والإصلاح في هذا المنزل لأنه مضيعة للوقت والمال والجهد، فالمطلوب هو الهدم والبناء، وبمعنى آخر المطلوب هو التغيير، فالرسول ﷺ عمل على تغيير وإزالة الواقع في المدينة المنورة من فساد في المجتمع ثم أنزل الأحكام على الواقع بعد أن أقام الدولة ثم انطلق الخلفاء بعده على أساس صحيح .[2]

---

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، ١٠٩/١٤، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

(٢) انظر: تجديد الوعي، أ.د. عبد الكريم بكار، ص ١٨٣- ١٨٧، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٢ هـ- ٢٠٠٠م.

٢- الإصلاح يكون في المجتمع إذا كان إسلامياً، ويوجد سوء في التطبيق هنا أو هناك، أما التغيير فهو إيجاد مجتمع إسلامي .

٣- الإصلاح يكون في المجتمع إذا كان إسلامياً ويوجد سوء في التطبيق هنا أو هناك، أما التغيير فهو إيجاد مجتمع إسلامي.

٤- الإصلاح هو عندما يكون الأساس صحيحاً أما التغيير عندما يكون الأساس غير صحيح.

٥- **الإصلاح:** يتم برضا وتوافق كل الأطراف السياسة، بما فيه النظام، على بناء نظام يحفظ للكل موقعه ومصالحه، فلا يحتاج إلى مقاومة، فالإصلاح أمر ترغبه الفطرة وتميل إليه، وتكره الفساد المخالف للفطرة، ويكون على أساس صحيح، فلا عجب فالإصلاح دعوة الأنبياء والرسل قال تعالى : ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود:٨٨] و **التغيير**: يحتاج إلى مقاومة، وبذل الجهد والمشقة، لأن التغيير يكون في أمر اعتادت عليه الفطرة، وهذه المشكلة التي كانت يعاني منها الكفار، قال تعالى : ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ [الزُّخرف:٢٣]، ويتحدث الدكتور عبد الكريم بكار عن هذه المقاومة في كتابه بقوله "قاوم كثير من الناس التغيير لا لأنهم يرفضون مدلولاته أو نتائجه، ولكن لأنهم حملوا عليه حملا، وأكرهوا قسراً على الاستجابة له، فالناس غير مستعدين لتغيير أنفسهم وتغيير مألوفاتهم وعاداتهم، إلا إذا شعروا بحاجة ماسة إلى التغيير" (١).

٦- نحن مؤمنون بأن الله تعالى يغير ما شاء بقدرته، من حالٍ إلى حالٍ، لكن الله ﷻ جعل سنناً في المدافعة، والإصلاح ؛ يتم بموجبها إحداث التغيير الذي أمرنا الله ﷻ أن نعمله؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد:١١] .

٧- وردت لفظة الإصلاح أو ما يدل عليها في القرآن الكريم اثنين وأربعين مرة، بينما وردت لفظة التغيير في أربعة مواضع كما بينا في الآيات القرآنية.

ومن خلال تتبع هذه المواضيع ترى الباحثة:

أن استخدام القرآن لمفردة التغيير لم ترتبط بالتحول من السيء إلى الحسن؛ بل قد يكون العكس، فالتغيير قد يكون من الحسن إلى السيء، وذلك كثيراً ما يتبع الإنسان خطوات الشيطان والهوى بعيداً عن منهج الله، أما الإصلاح فيكون من السيء إلى الحسن.

---

(١) انظر: تجديد الوعي، د. عبد الكريم بكار، ص١٨٣-١٨٧.

المبحث الثاني

مجالات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التدرج في الإصلاح والتغيير.

المطلب الثاني: أهداف الإصلاح والتغيير.

المطلب الثالث: مجالات الإصلاح والتغيير.

المطلب الأول

التدرج في الإصلاح والتغيير

التدرّج سُنّة من سنن الله ﷻ، وقانون من القوانين الكونية التي لا تبديل لها ولا تحويل لسنة الله ، فهو سنة من سنن الخلق الإلهي للكون والعالم بسماواته وأراضيه ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف:٥٤] . وسنة في خلقه للإنسان الأول آدم عليه السلام، وبعد المراحل الأربعة (التراب مع الماء فالطين فالحمأ المسنون فالصلصال) ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] (١).

ولكي تتضح الصور الحقيقية أردت أن أقف مع نماذج من المجتمعات الإسلامية:

أولاً: التدرج في الإصلاح والتغيير في عصر النبوة:

التدرج في الشريعة الإسلامية سنة، قد بدأ في المرحلة المكية التي استغرقت ثلاثة عشر عاماً- بدأت بالدرجة الأولى بتغيير النفس الإنسانية كي تصبح قادرة على تغيير الواقع وفق المنظومة القيمية الإيمانية ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، وكذلك كان الحال "التدرج" في المرحلة المدنية التي استغرقت عشر سنوات.

فنظام المواريث طبّق في السنة الثالثة للهجرة، أي بعد ستة عشر عاماً من بدء الوحي، والنظام الإسلامي للأسرة من الزواج والطلاق والنفقة وسائر أحكامها اكتمل تشريعه وتطبيقه في السنة السابعة للهجرة، أي عبر عشرين عاماً من بدء الوحي، والقوانين الجنائية تدرج تشريعها وتطبيقها مادة مادة، حتى اكتملت في السنة الثامنة للهجرة، أي عبر واحد وعشرين عاماً من عمر الوحي الخاتم، وتدرجت أحكام الخمر من الذم لها والتحذير منها إلى التحريم القاطع والنهائي لها في السنة الثامنة للهجرة . (٢).

بل إن هذا التدرج قد كان سنة أيضاً من الشعائر والعبادات – بما فيها الكثير من أركان الإسلام- وليس فقط في أحكام الواقع والمعاملات، فالصلاة بصورتها التامة والحالية اكتملت

---

(١) مجلة حراء: عنوان: سنة التدرج في الإصلاح، أ. د. محمد عمارة، ص٣٧، العدد١٠، يناير- مارس، اسطنبول، تركيا، ٢٠٠٨م.

(٢) انظر: القانون الإسلامي، لأبي الأعلى المودودي، ترجمة: محمد عاصم الحداد، ص٥١-٥٢، بيروت، ١٩٧٥م.

فريضتها ليلة الإسراء والمعراج في السنة الثانية قبل الهجرة، الحادية عشرة من البعثة، والصوم فرض بالمدينة وكذلك الزكاة والحج إلى بيت الله الحرام.

ثانياً: التدرج في الإصلاح والتغيير في عصر التابعين:

ولقد سار التابعون على نفس الدرب، ولكن علينا أن ندرك أن هناك تغيرات سلبية وإيجابية بعد عصر النبوة والخلفاء الراشدين، والتي جاءت من وافد مواريث البلاد المفتوحة وثقافات الشعوب التي دخلت في إطار الرعية والأمة بأسرع مما غيرت نفوسها قيم الإسلام ، وهذه التغيرات التي أصابت قيم ونظم الشورى والعدل الاجتماعي أكثر من سواها وقبل سواها لم تحدث فجأة ولا طفرة، وإنما حكمتها سنة التدرج في الاتجاه نحو الجور وكذلك الحال مع التغيرات التي جسدتها حقبة الراشد الخامس والمجدد الأول عمر بن عبد العزيز ﷺ والتي أحلّت العدل محل الجور، والصلاح محل الفساد، وردت المظالم إلى أصحابها، هذه التغيرات العادلة والصالحة لم تتم فجأة ولا طفرة، وإنما تدرجت عندما بدأها الخليفة بنفسه، فزوجِه، فأمراءِ بني أمية وصولاً إلى كل الذين اغتصبوا ما ليس لهم من مال الأمة وبيت مال المسلمين والظلم والفساد. [1].

المطلب الثاني

أهداف الإصلاح والتغيير

إن الحياة لا يمكن أن تستمر من دون إصلاح وتغيير في واقع الناس، وهو سنة من سنن الله في الكون، وأمر يفرض نفسه على الفرد بينه وبين نفسه، إذ لا بد للمرء من أن يتعهد نفسه بالإصلاح في جوانب مختلفة، عقلية ونفسية وجسمية وغيرها، والإصلاح أيضاً يفرض نفسه على العلاقات البشرية بدءاً من الأسرة والعائلة ومروراً بالقبيلة والمجتمع وانتهاء بالعلاقات الدولية، فأهداف الإصلاح والتغيير متعددة نذكر منها:

أولاً: أهداف الإصلاح:

١- إن هدف الإصلاح بالدرجة الأولى هو إرضاء الله تعالى وهو من أفضل الأعمال والتي تفوق في فضلها وقيمتها كثير من الأعمال العبادية، كالصوم والحج وغيرها، ﴿**إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [النساء:١١٤] ، ويوضح السعدي في تفسيره ذلك الهدف الذي جاء من أجله شعيب ﷺ بقوله: "وفي هذا (الإصلاح) تقرب إليه بسائر أفعال الخير" [2].

---

(١) الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ٢٩٤/٩، ط٢، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص ٣٨٧.

٢- إن عمل الإصلاح عمل رباني ينبغي التسابق فيه ، وعدم الاستهانة بأي عمل فيه صلاح وإصلاح، والاهتمام بإنجازه، لأنه عمل باق لا يضيع أجره، ويزيد ولا ينقص. يقول الإمام محمد رشيد رضا في تفسيره: "وهو الفوز والفلاح في إصابة الإصلاح وكل عمل صالح وسعي حسن [١]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لله فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦] ، دلت الآية على أن من آمن، وأصلح حاله، واعتصم بحبل الله، وأخلص دينه لله، نصره الله تعالى في الدنيا، وأحسن عاقبته، وأعد له الأجر العظيم في الآخرة [٢].

٣- العناية بمبادئ الدين الإسلامي، وقيمه السامية في رقي المجتمع ودعوة الناس إلى الأخذ بنظام الإسلام الشامل عقيدة ومنهاجاً وسلوكاً.

٤- تقديم نماذج حضارية ناجحة في القيادة والاقتصاد والاجتماع والتصنيع، وإدارة الخلافات.

٥- وتوسيع هامش الحرية وتشجيع التفكير المستقل، وتنمية الحس الوطني، ومكافحة الفساد، ورفع الظلم، واستقلال القضاء، واحترام شعائر الإسلام، ويوضح هذا الهدف الزحيلي في تفسيره بقوله: "يهدف شعيب إلى إصلاح الحياة الاجتماعية بإقامة القسط والعدل في الموازين والمكاييل، والحافظ على الحقوق، وترك الإفساد في الأرض " [٣].

٦- عدم الانشغال بإنجازات السلف، وعدم الوقوف موقف ردة الفعل، بل المبادرة باتجاه القضايا الكبرى واتجاه التغيرات التي تفتك بالمجتمع، مثل قلة إنكار المنكر والأمر بالمعروف، وانتشار التحايل والرشوة والكذب، واتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وتعثر الإصلاح السياسي الشامل، وتفكك الأسرة، وتدهور التعليم، تراجع الاهتمام باللغة العربية، ارتفاع نسبة العداء للإسلام والمسلمين في الغرب.

٧- إصلاح المجتمع وتقوية أواصره، وحمايته من التلف والتصدع وحفظه من الانحراف والانحلال، ووقايته من السموم الفكرية والأخلاقية، كل ذلك واجبات لا يجوز التخلي عنها. ويوضح هذا الهدف سيد قطب بقوله: "الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد، وكل جماعة فيه" [٤]

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، ١٢/ ١٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، محمد طاهر عاشور، ٢٤٤/٥.

(٣) التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ١٠٦٤/٢، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٣٢هـ.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٩٢١/٤.

٨- مشاركة المجتمع في الإصلاح الدعوي والتربوي والثقافي والتعليمي والاجتماعي مع المؤسسات الحكومية والأهلية.

٩- الاهتمام بإعداد الجيل الصالح المصلح، العامل، الإيجابي، المؤهل لخدمة الشعب، والوطن.

١٠- العمل على إيجاد الحلول الناجحة للمشكلات المجتمعية.

١١- تعزيز حب الوطن، والذود عن حياضه، والتفاني في خدمته، والعمل على تمكين الخير فيه.

١٢- إبداء النصح والمشورة وتقديم البرامج والمناهج للجهات المختصة في كافة مجالات المجتمع وشؤونه، فيما يعود بالخير على الصالح العام وفقاً للتشريع الإسلامي.

١٣- الاهتمام بقضايا العالم الإسلامي، وتعزيز روح الانتماء للأمة الإسلامية والعربية.

١٤- تفعيل مؤسسات المجتمع المدني، وصيانة الحقوق، ومنع الظلم والبغي.

١٥- إنتاج مواطن مرن منفتح ذهنياً يحاول أن يستمع لما يقوله الآخرين، يفاوض، يركز على الكليات، ويتغاضى عن المخلفات الشرعية الطفيفة، يوازن بين المصالح والمفاسد.

ثانياً: أهداف التغيير:

١- أن تكون كلمة الله هي العليا وهو هدف سامٍ للتغيير الإسلامي، لكن هناك أهداف وسيطة لا بد من تحقيقها للوصول إلى هذا الهدف ، والأهداف الوسيطة تختلف من مجتمع لآخر، ومن حركة لأخرى، وترتبط كذلك بشروط المكان والزمان، فبعض القوى تتخذ من إصلاح الفرد هدفاً وسيطاً، وبعضها يتخذ من مقاومة الاحتلال هدفاً، وبعضها الآخر يتخذ من إصلاح السلطة السياسية هدفاً له، لكن من المهم بمكان حسن اختيار الهدف الوسيط والعمل على تحقيقه بالأدوات والمناهج المناسبة، والتعاضد بين الطرق والمناهج الإسلامية، وعدم تضاربها على قاعدة "الأبواب المتفرقة" وصولاً إلى هدف واحد [١].

٢- إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان، ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً – بالفعل- في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم بعد رفع الضغط السياسي عنهم، إن النظام الذي يحكم البشر في الأرض يجب أن تكون قاعدته العبودية لله وحده، وذلك بتلقي الشرائع منه وحده، ثم ليعتنق كل فرد- في ظل النظام العام- ما يعتنقه من عقيدة [٢].

---

(١) انظر: في نظريات التغيير، منير شفيق، ص١٠، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ، ١٤٣٥/٣.

المطلب الثالث

مجالات الإصلاح والتغيير

تنوعت مجالات الإصلاح والتغيير في الشريعة الإسلامية السمحة لتشمل ميادين الحياة؛ فالإصلاح يبدأ من النفس ليشمل الأهل والأقربين، والجيران والإخوان، وعموم الناس، ويبدأ من الفرد ليشمل الأسرة والمجتمع والأمة والناس، وكذلك التغيير يبدأ بالنفس، ثم الأسرة، ثم المجتمع نذكر أهم المجالات:

أولاً: مجالات الإصلاح في القرآن الكريم:

١- **مجال الإصلاح الفردي:** والإصلاح الفردي وفق النظرة القرآنية لا يمكن أن يتحقق إلا إذا جاهد الفرد على القيام بالأمور التالية:

أ- **تصحيح المعتقدات الفكرية،** الذي يقوم بمهمة الإصلاح العقائدي هم الرسل، وجميعهم دعوا إلى توحيد الله من أولهم إلى آخرهم [١]، و"لقد ركز الرسل في دعوتهم على الإصلاح العقائدي بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده وترك الفساد ، قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [هود:٥٠]، والناس محتاجون في كل زمان ومكان إلى مصلحين الذين يعملون على ما فيه سعادة الجماعة والأفراد، فلولا المصلحين لظل الناس في جهلهم يعمهون، والرسل هم الذين يوحى إليهم بأحوال الآخرة، ليبينوها للناس ويرشدونهم إلى الوسائل الدنيوية المرتبطة بالآخرة من خير أو شر، ويعلمونهم ما لهم من حقوق والواجبات، الموصلة لسعادة الأخروية سواء كانت متعلقة بالله أو بعباداته" [٢].

ب- إزالة الترسبات النفسية، والأخلاقيات الدنيئة من الأحقاد والضغائن والحسد والكبر والحرص.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [الأعراف:١٤٢]، أي: احفظ وحدته بني إسرائيل، وحارب دعاة التفرق[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ٩١/١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

(٢) انظر: توضيح العقائد في علم التوحيد، عبد الرحمن الجريري، ص١٤١، مكتبة الإرشاد، ط٣.

(٣) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٩٤٤/٦.

ج- **إعطاء الآخرين حقوقهم، وإصلاح أخطائه السابقة مع الناس.**

قال تعالى: ﴿**وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [الأعراف:١٤٢]، أي: أقم في بني إسرائيل الحق، والعدل، والإصلاح بينهم [١].

د- بناء الفكر على رؤى عقائدية سماوية ابتداء من الإيمان بوحدانية الله ﷻ، ومروراً بالإيمان بالنبوة، وانتهاء بالمعاد، والحساب في يوم القيامة كأصول دينية، وأما الفروع الدينية فلا بد من أخذ الأحكام من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والصحابة الأطهار في تسيير حياته وفق شريعة الله ﷻ.

هـ- بناء شخصية روحية من خلال إنشاء علاقة روحية مع الله ﷻ، ومع أنبيائه ورسله، ويستطيع بناء هذه الروحية بالتواصل في الأدعية، والمناجاة مع خالقه العظيم، وبأداء الفرائض والواجبات الشرعية، وبهذه الأمور الخمسة يستطيع الإنسان إصلاح نفسه. قال تعالى: ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [المائدة:٣٩]، أي: أصلح نفسه وزكاها بالصدقة، وبغيرها من أعمال البر، والطاعات، والعبادات [٢].

٢- **مجال الإصلاح الاجتماعي:**

لقد ركز القرآن الكريم كثيراً على مجال الإصلاح الاجتماعي، ويشمل عدة أمور منها:

أ- **الإصلاح ذات البين:** قال تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات:٩-١٠] ، حيث أكد القرآن الكريم على ضرورة الإصلاح في أي وقت حاول الشيطان أن ينزغ بينهم حيث أمر المجتمع بضرورة القيام بدور الإصلاح فوراً خاصة بين الأفراد أي بين شخصين، قال السمعاني في تفسيره: "ذكر الأَخَوَيْنِ ليدل بِوُجُوب الإِصْلَاح بَينهمَا على وجوب الإِصْلَاح بَين الْجمع الْكثير" [٣].

---

(١) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٦/٢٩٤٤.

(٢) تفسير المنار، محمد رضا، ٦/٣١٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، ٥/٢٢١، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ابن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

وكذلك الإصلاح بين جماعات من المسلمين، أي: "أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فعلى المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم، ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه، ولم تتأثر بالنصيحة وأبت الإجابة إلى حكم الله تعالى، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه وكتابه" (١)، والإصلاح بين الجماعات المتناحرة أوفر خيراً من إصلاح الآحاد (٢).

فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **(أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ والصَّلاةِ والصَّدَقَةِ؟، قَالوا: بَلَى؛ قَالَ: صَلاحُ ذَاتِ البَيْنِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتَ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ)** (٣)، ونفهم من الحديث أن الإصلاح بين المتخاصمين أعلى درجة من الصيام والصلاة والصدقة.

ب- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** من أجل المحافظة على سلامة المجتمع الإسلامي من الفساد والمفسدين أمر القرآن عبر إرشادات لقمان الحكيم بالوقوف أمامهم والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان:١٧]، ووجود المصلحون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر سبب من أسباب النجاة من الهلاك للمجتمع فقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ [هود:١١٧]، يعني "وفيهم من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر" (٤).

والأمة الإسلامية إنما أضحت خير أمة حينما قامت بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران:١١٠].

---

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، ١٤٠/١٣، المكتبة العصريَّة للطباعة والنَّشْر، صَيدَا، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ١٨٥٦/٤.

(٣) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، ٢٤٤/٤، ح (٢٥٠٩)، المحقق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث ابن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، ٢٨٠/٤، ح/٤٩١٩، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. قال الألباني : حديث حسن .

(٤) بحر العلوم، السمرقندي، ١٧٥/٢.

ج- **الإصلاح إلى الأيتام والعناية بهم:** "الإصلاح لليتيم يتناول إصلاحه بالتعليم والتأديب، وإصلاح ماله بالتنمية والحفظ" (١).

قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة:٢٢٠] .

والإصلاح لليتيم في تفسير الألوسي "أي مداخلتهم مداخلة يترتب عليها إصلاحها أو إصلاح أموالهم بالتنمية والحفظ خير من مجانبتهم" (٢).

د- **الإصلاح في العلاقات الزوجية:** معنى الإصلاح بين الزوجين يعني "إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله، بورك في وساطتهما، وأوقع الله بطيب نفسها وحسن سعيها بين الزوجين الوفاق والألفة، وألقى في نفوسهما المودة والرحمة"(٣).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء:٣٥]، وكذلك "إنْ يريدا إصْلاحاً عدلاً فينظران في أمرهما بالنصيحة والموعظة يُوَفقِ الله بينهم بالصلاح" (٤).

ومن أجل المحافظة على تماسك المجتمع وصلاحه دعا القرآن على ضرورة الإصلاح في العلاقات الزوجية بمجرد أن يبرز هناك خلاف قد يؤدي إلى الانفصام والشقاق.

ج- **الإصلاح في بر الوالدين:** قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥] ، تشير الآيات أن يتبادل المرء المحبة والإحسان بينه وبين والديه حيث يديم الله صلاح ذريته عبر الأزمان ويتضح ذلك من تفسير ابن عاشور قوله: "وفي إدماج تلقين الدعاء بإصلاح ذريته مع أن سياق الكلام في الإحسان إلى الوالدين إيماء إلى أن

---

(١) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ١٧٠/٢، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ٥١٠/١، تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٧٣/٢.

(٣) تفسير الكشاف، الزمخشري، ٥٠٨/١.

(٤) بحر العلوم، السمرقندي، ٣٢٧/١.

المرء يلقى من إحسان أبنائه إليه مثل ما لقي أبواه من إحسانه إليهما، ولأن دعوة الأب لابنه مرجوة الإجابة" [1].

ثانياً : مجالات التغيير في القرآن الكريم:

ورد التغيير بشكل صريح في القرآن الكريم في أربع مواضع ومن مجالات التغيير في القرآن الكريم:

* قال تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ [النساء:١١٩] .
* قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] .
* قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣] .
* قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد:١٥] [2].

١- **التغيير الفردي** : قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣]، ويفسر السعدي التغيير: "بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها، وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة [3].

٢- **التغيير الجماعي:** ومن الآيات السابقة يستنتج أن التغيير يكون جماعي ويشمل المجتمع كله وخاصة عندما ترجح كفة الخبيث على الطيب، ويتضح ذلك من تفسير القرطبي للتغيير بقوله: "أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغيير، إما منهم أو من الناظر لهم، أو ممن هو منهم بسبب ، كما غير الله بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة بأنفسهم، إلى غير هذا من أمثلة الشريعة [4].

وكذلك فسر قطب التغيير في سورة الرعد بقوله: "فإنه لا يغير نعمة أو بؤساً ، ولا يغير عزاً أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم [5].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٣/٢٦.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، د. فؤاد عبد الباقي، ١٠١/١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٤١٤/١.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٩٤/٩.

(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ، ٢٩٤/٤.

ويعتبر التغيير في المجتمع الإسلامي على المستوى والفردي والجماعي من أعظم مجالات التغيير، وخاصة أن الرسول ﷺ بين طريقة التغيير باليد، واللسان، والقلب، وجعلها من تمام الإيمان فقال: **(من رأى منكم منكر فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)** [1].

(١) صحيح مسلم، **أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري** ، (ت : ٢٦١هـ) ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، ٦٩/١، ح (٤٩). المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار التراث العربي، بيروت.

المبحث الثالث

أساليب الإصلاح والتغيير والعلاقة بينهما

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أساليب الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: العلاقة بين الإصلاح والتغيير.

المطلب الأول

أساليب الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم

إن عملية الإصلاح والتغيير عملية تحتاج إلى بذل الجهد والمشقة من المصلحين والمغيرين وعملية تحتاج إلى إبداع ومهارة وأساليب نذكر منها:

أولاً: أسلوب الوعظ والتذكير:

قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥] .

ولتحقيق الانتفاع بالموعظة والتذكير لا بد من أمرين أساسيين:

الأول: زوال المانع التي تعيق الانتفاع بالموعظة كإتباع الهوى والرياء الذي يغطي على القلب.

الثاني: صلاح حال الواعظ حتى تتحقق المصداقية في مواعظه.

وأسلوب الوعظ والتذكير مهم في إصلاح النفس الغافلة المعرضة بهذه النفس شديدة الحاجة جداً إلى العظة لتتذكر ما قد نسيته فتنتفع بالتذكر [١].

ثانياً: أسلوب الصبر:

"قد وردت مادة (صبر) في القرآن الكريم في مائة وأربعة مواضع" [٢]، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧]، تشعر الآيات "بأن المغير يؤذي أحياناً" [٣].

أي إن المصلح قد يتعرض للأذى من المفسدين فيتطلب الصبر وهو يصلح ويغير منهم، فالإصلاح والتغيير مهمة صعبة تلاقي دائماً مواجهات وعراقيل في وجهة المصلحين لأنه قد يأتي بأمر لا يعهده المفسدين، فيحتاج إلى الصبر ليستمر في إصلاحه.

---

(١) انظر: أساليب دعوة العصاة، أ. د. عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب، ١٩٠/١ ، ط٣٦، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.

(٢) قاعدة في الصبر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، ٧٣/١، العدد ١١٦، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٣٥١/٤.

وقد أمر الله تعالى نبيه بالصبر لحكمةٍ، وأن يمضي لما أمر به من التبليغ واحتمال الأذى والمشقة، ونهى عن الضجر والعجلة التي وقع فيها يونس ﷺ [1]، وأن لا يترك دعوته لتغيير ما بهم من ضلال، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم:٤٨]، أي الصبر على تكاليف الرسالة، والصبر على التواءات النفوس، والصبر على الأذى والتكذيب، الصبر حتى يحكم الله في الوقت المقدر كما يريد [2].

ثالثاً: أسلوب القدوة الصالحة:

اختيار القدوة الصالحة له أثر كبير في تحقيق عملية الإصلاح على كل صعيد وقد أشار القرآن الكريم إلى أعظم قدوة وهو الرسول الأكرم ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] .

كما أشار القرآن إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام وأسلوبه في التعامل بقوله ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤] .

"قال بعض السلف: إذا أردت أن يقبل منك الأمر والنهي: فإذا أمرت بشيء فكن أول الفاعلين له المؤتمرين به وإذا نهيت عن شيء فكن أول المنتهين عنه" [3].

وقد حذر القرآن الكريم المؤمنين، وذمّ كل من يخالف فعله قوله [4]، خاصة الدعاة إلى الإصلاح والتغيير، وبين أن الله تعالى يبغض من يقول شيئاً ولا يفعل [5]، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: ٢-٣] .

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣٥٤/٥.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٦٧٠/٦.

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، ٤٤٧/١، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢ ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، "ابن القيم: محمد بن أبي بكر الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي العلامة الكبير المجتهد المصنف المشهور ولد سنة ٦٩١هـ، وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران وتبحر في معرفة مذاهب السلف، مات عام ٧٥١هـ، انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر، ١٣٧/٥، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند ، ط٢، حيدر اباد – الهند، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، والبدر الطالع: الشوكاني، ١٤٣/١، دار المعرفة، بيروت.

(٤) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ٢٦٤٦/٣.

(٥) تفسير القرآن، السمعاني، ٤٢٤/٥.

رابعاً: أسلوب الترغيب والترهيب:

الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بينه القرآن الكريم، وجاءت به السنة النبوية المطهرة [١].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد:١٢] .

وكان ﷺ يَعِدُ المبايعين له بالجنَّةِ، ومثال على ذلك ما قاله ﷺ لأصحاب بيعة العقبة الأولى: (فإن وفيّتم فلكم الجنة) [٢].

خامساً: أسلوب تحديد أصل الداء والدواء:

من المعلوم أنّ طبيب الأبدان يشخِّص الداء أولاً، ثم يعيّن العلاج ثانياً، وهذا هو الأسلوب الصحيح في المعالج، والداعي إلى الله تعالى (المصلح) طبيب القلوب والأرواح، فعليه أن يسلك نفس هذا الأسلوب في معالجة الأرواح، فيشخص الداء أولاً، ثم يعيّن العلاج ثانياً، ولا يقف عند أعراض الداء محاولاً علاجها، تاركاً أصلها وعلتها، وأصل داء الناس في القديم والحديث جهلهم بربهم وشرودهم عنه، أو كفرهم ورفضهم الدخول في العبودية الكاملة له، والسير على النهج الذي جاء به محمد ﷺ من ربه، واغترارهم بالدنيا وركونهم إليها، وغفلتهم عن الآخرة أو إنكارهم لها، أما أصل الدواء لهذا الداء فهو الإيمان بالله رباً وإلهاً لا إله غيره، والكفر بالطاغوت بكل أنواعه ومظاهره، والإقبال على الله وعدم الركون إلى الدنيا" [٣].

وبعد أن تبيَّنَ لنا أصل الداء وأصل الدواء، فعلى المصلح المسلم أن يؤكِّد على معاني العقيدة الإسلامية، فهي الدواء لأصل الداء الذي بيناه، فيؤكد على الإيمان بالله رباً وإلهاً، وعلى الإيمان بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وعلى البعث بعد الموت بالروح والجسد، وعلى ضرورة العمل الصالح للنجاة من العذاب في الآخرة.

---

(١) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٤٣٧، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٢) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، ٤٣٣/١، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

(٣) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٤٢٢.

سادساً: أسلوب بعث الأمل والطمأنينة:

الإصلاح لا بد له من سنة تسمى بسنة الاطمئنان، لأن الكثير من الناس يخافون من التغيير، ويعود هذا الخوف من التغيير إلى غموض الآثار التي سيتركها في حياتهم، ويقاوم كثير من الناس التغيير، لأنهم حملوا عليه حملاً، وأكرهوا قسراً على الاستجابة له، وهذا مصدر لمقاومة الإصلاح في المجتمعات، وقد يرفض بعض الناس التغيير لأسباب عاطفية، لذا فإن فهم الواقع الذي سيؤثر فيه التغييرات أمر لا بد منه [1].

والإصلاح لا بد أن يكون نابعاً من روح الدين، مطابقاً للعقيدة، متجاوباً مع مشاعر الأمة، متصلاً بأعماقها، وليس دخيلاً عليها، ومن هنا لا يجد عداء ولا مقاومة ولا سخطاً، لأنه من صنع الله ووحي السماء، وتتلقاه الأمة بالقبول والرضا، مما يحقق الاستقرار والطمأنينة[2].

سابعاً: أسلوب الرفق في الإصلاح:

إذا قلت للناس: أنني سأغير ما أنتم عليه، فإنك بذلك تستفزهم وتسعديهم، وعليك أن تذكر لهم إيجابيات ما هم فيه، وأن توضح لهم أن إدخال بعض التحسينات على بعض الأمور، سيكون مبهجاً ونافعاً لهم، وهذا هو الأسلوب الذي اتبعه النبي ﷺ في دعوته للناس، حيث أقر كثير مما كانوا عليه من مكارم الأخلاق ، وأثنى عليه ونبههم إلى الأخطاء والنواقض في حياتهم بأسلوب ملؤه الشفقة والرحمة ، ويظهر ذلك في تدرج القرآن الكريم في تحريم الخمر والميسر.

المصلحون العظام هكذا يفعلون دائماً، فهم يحترزون من أن تؤدي حركاتهم الإصلاحية إلى استفزاز الناس أو إثارة النعرات القبلية أو الطائفية أو العنصرية أو المذهبية بينهم، أو تحميلهم من أعباء التغيير، ما لا يطيقونه، إن أسلوب التغيير أشبه بعمل من يحاول اقتلاع شجرة ليغرسها، في موضع آخر فهو يحفر في جذورها مع الحرص الشديد على سلامة تلك الجذور[3].

ومن أهم مظاهر الرفق واللين أن الله تعالى طلب من موسى عليه السلام وأخيه هارون أن ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣-٤٤] .

يقول ابن كثير: " فلا ضير على الداعي أن يتودد ويتحبب إلى المدعو، وإن كان في قمة الطغيان ... وهو موطن يعكس وجهة النظر الإسلامية الآخذة بأعلى صور الحكمة في مخاطبة

---

(١) انظر: تجديد الوعي، أ. د. عبد الكريم بكار، ص١٨٥-٢٠٠.

(٢) انظر: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، يوسف القرضاوي، ص١١٩، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(٣) انظر: تجديد الوعي، أ. د. عبد الكريم بكار، ص٢٠٦.

المعاندين ... لمصلحة الدعوة ذاتها ... وهو المعنى الذي ركز عليه سلفنا الصالح في مثل قولهم: "يا من يتحبب إلى من يعاديه ... فكيف ممن يتولاه ويناديه" [١].

ثم عقب قائلاً: وهذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله في خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين؟! [٢] .

ومن باب أولى أن يقوم المصلح بدعوة الآخرين بالرفق واللين.

ثامناً: أسلوب الإصلاح والتغيير يكون على حسب القدرة والإمكان:

وهذا ما ذكره السعدي في تفسيره "أن وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها أو بتحصيل ما يقدر عليه منها وبدفع المفاسد وتقليلها، أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح لم يكون ملوماً ولا مذموماً في عدم فعله ما لا يقدر عليه فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه وفي غيره ما يقدر عليه، فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم الدينية والدنيوية لكان أولى من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدنيوية وتحرص على إبادتها وجعلهم عمَلَةً وخَدَماً لهم " [٣].

المطلب الثاني

العلاقة بين الإصلاح والتغيير

١- إن القرآن تحدث عن الإصلاح والمصلحين بمعنى التغيير وبمعنى الإصلاح بعض الفروع، وهي في اللغة تعني إزالة الفساد، سواء أكان الفساد في الفرع أم في الأصل، ويعرف ابن فارس في معجمه التغيير بمعنى الإصلاح بقوله: "الغين والياء والراء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة والغيرة هي صلاح العيال وغارهم الله تعالى بالغيث، أي أصلح شأنهم ونفعهم" [٤] وتعريف آخر "الإصلاح يعني التغيير إلى استقامة الحال" [٥] ، وهذا يدل على أن الإصلاح والتغيير كلمتان مترادفتان مترابطتان.

---

(١) تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري(ت: ٧٧٤هـ)، المحقق محمد حسين شمس الدين، ٢٩٤/٥، ط ١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٣٨٨/١.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٠٤/٤.

(٥) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ٥٨/١.

٢- إن الإصلاح والتغيير كلاهما يسعى إلى الإصلاح ، وان كان التغيير من الأسوأ إلى الأحسن ، فالإصلاح ضد الإفساد وتغيير له ، والتغيير الايجابي إصلاح لأنه تغيير من الأسوأ إلى الأحسن ، ومن الممكن يكون التغيير من الأحسن إلى الأسوأ ، وهذا ما تقوم المنهجيات بعلاجه ، وتحذر منه ، وقد يكون التغيير من الأسوأ إلى الأحسن ، وقد يكون التغيير من الحسن إلى الأحسن منه ، وهذا التغيير الذي نحن بصدده .[١]

٣- إن الذي يريد إصلاح نفسه عليه إن يقوم بتغيير حاله وأحواله ، وان يهجر المعاصي والذنوب ويصلح حياته بتغيير واستبدال الأشياء السلبية المنكرة ، بأشياء ايجابية صالحة ، ويحدث التغيير بإصلاح الفساد ، وتغيير الحال من الفساد إلى حالة جديدة من الصلاح، ويحدث الإصلاح بتغيير الفساد، وإزالة أثره ، وإصلاحه بكل أنواع الصلاح، والصلاح يعقب الفساد، وقد يكون دون سابقة فساد، والإصلاح يكون بالتغيير إلى الأفضل على الإطلاق، فلا إصلاح دون تغيير، فالتغيير إلى للأحسن والإصلاح قرناء لا ينفك احدهما عن الأخر، فما يزالان متحدان متلازمان . [٢]

وترى الباحثة: إن العلاقة بين الإصلاح والتغيير علاقة جزء من كل، فالتغيير عام والإصلاح خاص.

---

(١) انظر: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الحجر والنحل، وإعداد: أمية الغرة، إشراف: د. وليد محمد العامودي، ص ٧، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٢) نفس المرجع السابق .

الفصل الأول

بين يدي سورة الأنعام

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها وأغراضها.

المبحث الثاني: المناسبات في سورة الأنعام.

المبحث الأول

اسم السورة وعدد آياتها ونزولها وأغراضها

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها وفضلها.

المطلب الثاني: زمن نزول السورة والجو الذي نزلت فيها السورة.

المطلب الثالث: محور السورة.

المطلب الرابع : موضوعات السورة .

المطلب الأول

اسم السورة وعدد آياتها وفضلها

أولاً: اسم السورة:

ورد في كتب التفسير اسمان لهذه السورة، وهما كالتالي:

١- الأنعام: ليس لهذه السورة إلا هذا الاسم من عهد رسول الله ﷺ.

ورد عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأسماء بنت يزيد بن السكن، تسميتها في كلامهم سورة الأنعام، وكذلك ثبتت تسميتها في المصاحف، وكتب التفسير والسنة.

وسميت سورة الأنعام لما تقرر فيها من ذكر لفظ الأنعام ست مرات من قوله : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ...﴾ إلى قوله : ﴿وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ [الأنعام: ١٣٦-١٤٤] [(١)].

٢- الحجة: "لأنها مقصورة على ذكر حجة النبوة، وأيضاً تكررت فيه الحجة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام:٨٣] ، **﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾** [الأنعام:١٤٩] [(٢)].

ثانياً: عدد آياتها:

عدد آيات سورة الأنعام مائة وخمس وستون آية عند الكوفيين، وعليه الحكومة المصرية ومائة وستة وستون آية عند البصريين، والشاميين ومائة وسبع وستون عند الحجازيين [(٣)].

"وكلماتها ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون كلمة، وحروفها اثنا عشر ألفاً وأربعمائة واثنان وعشرون حرفاً" [(٤)]، والراجح ما عليه المصحف العثماني مائة وخمس وستون آية.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢/٧.

(٢) بصائر ذوي التمييز في مختلف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، ٩٨٧/١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراب الإسلامي، القاهرة.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٣٧/٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٤) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد المجيد، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

ثالثاً: فضلها:

١- في البخاري عن ابن عباس قال: "إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام" ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:١٤٠] (١).

٢- هذه السورة الكريمة من السور السبع الطوال، ومما ورد في فضائل هذه السبع، عن واثلة (٢) ابن الأسقع ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل)** (٣).

٣- عن جابر ﷺ قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال: **(شيع هذه السورة من الملائكة ما سدّ الأفق)** (٤).

٤- عن ابن عباس ﷺ قال: "نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح" (٥).

٥- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "الأنعام من نواجب (٦) القرآن" (٧).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٨٣/٦.

(٢) واثلة بن الأسقع: كنيته أبو شداد، أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، وقيل: إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، وكان من أصحاب الصفة، وشهد فتح دمشق، وشهد المغازي بدمشق وحمص، ثم تحول إلى فلسطين، ونزل البيت المقدس، مات سنة خمس وثمانين، وهو ابن ثمان وتسعين سنة. انظر: أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، ٣٩٩/٥، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٣) مسند الإمام أحمد، ١٨٨/٢٨، ح (١٦٩٨٢)، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٣١هـ-٢٠٠١م، المعجم الكبير، الطبراني، ٧٦/٢٢، ح (١٨٧)، مكتبة ابن تيمية، ط ٢، القاهرة، دلائل النبوة، البيهقي، ٤٧٥/٥، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. قال الألباني : حديث حسن .

(٤) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٩٥هـ)، ٣١٤/٢، ح (٣٢٢٦)، كتاب التفسير، دار المعرفة، بيروت، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم". قال الألباني : حديث منقطع .

(٥) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ٨٣/١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، ص ٢٤٠، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٦) النواجب يعني: العتاق.

(٧) سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، ٢١٤١/٢، ح (٣٤٤٤)، باب فضائل الأنعام بالسور، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م، وقال المحقق: إسناده جيد إلى عمر ﷺ وهو موقوف عليه.

المطلب الثاني

زمن نزول السورة والجو الذي نزلت فيها السورة

أولاً: زمن النزول:

هذه السورة مكية، سوى ست آيات منها: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...﴾ [الأنعام:٩١] إلى آخر ثلاث آيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ...﴾ [الأنعام:١٥١] إلى آخر ثلاث آيات، هذه الآيات الست نزلت بالمدينة ي مرتين، وباقي السورة نزلت بمكة دفعة واحدة [١] ليلاً [٢]، ونزلت بعد سورة الحجر [٣].

"وسورة الأنعام هي السورة السادسة من حيث ترتيب المصحف، وقد جاءت بعد أربع سور مدنية هي: البقرة – آل عمران – النساء – المائدة، فمرور ستة أو سبعة أجزاء كلها مدنية يعني تشريعات، وأحكام، فكان لا بد من تقوية العقيدة " [٤].

والذي تراه الباحثة أن السورة مكية بجملتها، بدليل السياق، والأسلوب، وموضوعات السورة.

ثانياً: الجو الذي نزلت فيه السورة:

لقد بعث رسول الله ﷺ بهذا الدين، وأخصب بلاد العرب، وأغناها ليست في أيدي العرب، إنما هي في يد غيرهم من الأجناس! بلاد الشام كلها في الشمال خاضعة للروم، يحكمها أمراء من العرب من قبل الرومان، وبلاد اليمن كلها في الجنوب خاضعة للفرس يحكمها أمراء من العرب من قبل الفرس، وليس في أيدي العرب إلا الحجاز، ونجد، وما إليهما من الصحاري القاحلة التي تتناثر فيها الواحات الخصبة هنا وهناك! والمجتمع العربي كأسوأ ما يكون المجتمع توزيعاً للثروة والعدالة، قلة قليلة تملك المال والتجارة، وتتعامل بالربا فتتضاعف تجارتها ومالها، وكثرة كثيرة لا تملك إلا الشظف والجوع، وكان التظالم فاشياً في المجتمع، وكانت الخمر والميسر من تقاليد المجتمع الفاشية، وكانت الدعارة – في صور شتى – من معالم هذا المجتمع، والمسلمون في مكة لم يكن

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، ١٨٦/١.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجزري، ٧/٢.

(٣) انظر: بيان المعاني، عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العالي (ت: ١٣٩٨هـ)، ٣١٨/٣، ط ٣، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢هـ-١٩٦٥م.

(٤) رسالة ماجستير المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية، طارق أحمد محمد عقيلان، إشراف الدكتور رياض محمود جابر قاسم، ص ١٨، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

لهم سلطان على أنفسهم، ولا على مجتمعهم، وما كانت لهم حياة واقعية مستقلة هم الذين ينظمونها بشريعة الله، ومن ثم لم ينزل الله في هذه الفترة تنظيمات وشرائع، وإنما نزل لهم عقيدة، وخلقاً منبثقاً من العقيدة بعد استقرارها في الأعماق البعيدة، وهذه السورة تعالج قضية العقيدة الأساسية ... قضية الألوهية والعبودية ... تعالجها بتعريف العباد برب العباد. (١).

"وهذه السورة أصل في محاجة المشركين، وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة، وإن تصرف ذلك بوجوده كثيرة، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين؛ لأن فيها آيات بينات ترد على القدرية دون السور" (٢).

"وكان نزولها أيضاً في مرحلة الجهر بالدعوة التي واجهها أساطين الكفر، وصناديد الضلال بالصدود والإعراض، والتكذيب والاستهزاء، والمطالب التي تنمُّ عن تعنُّتهم، وإصرارهم على الكفر مهما عاينوا من آيات" (٣).

المطلب الثالث

محور السورة

يقول سيد قطب في الظلال: "هذه السورة مكية، من القرآن المكي، القرآن الذي ظل يتنزل ثلاثة عشر عاماً كاملة، يحدثه فيها عن قضية واحدة، قضية واحدة نزلت على رسول الله ﷺ لا تتغير، القضية الكبرى، والقضية الأساسية في هذا الدين الجديد، قضية العقيدة ، وسورة الأنعام تعالج موضوعها الأساسي بصورة فريدة، إنها في جملتها تعرض حقيقة الألوهية، تعرضها في مجال الكون والحياة، كما تعرضها في مجال النفس، والضمير، إن موضوعها الذي تعالجه من مبدئها إلى منتهاها هو : موضوع العقيدة، بكل مقوماتها، وبكل مكوناتها، وهي تأخذ بجامع النفس البشرية، وتطوف بها في الوجود كله، وراء ينابيع العقيدة، وموحياتها المستقرة، والظاهرة في هذا الوجود الكبير، والقضية الكبيرة التي تعالجها السورة هي قضية الألوهية والعبودية في السماوات والأرض، في محيطها الواسع، وفي مجالها الشامل " (٤).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠١٧/١ بتصرف.

(٢) جامع الأحكام، القرطبي، ٣٨٣/٦.

(٣) التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، أحمد محمد الشرقاوي، ص٣، القصيم – ١٤٢٨هـ.

(٤) في ظلال القران، سيد قطب، ٢/ ١٠٠٤– ١٠١٥.

ويقول صاحب الأساس في التفسير: "إن السورة حوار شامل مع الكافرين في كل الاتجاهات الرئيسية للكفر سواء كانت نظرية، أو كانت عملية، ولذلك فإن على الداعية إلى الله أن يتملَّى حججها، ويعرف كيف يقرع بها" (١).

وهذه السورة الكريمة: "هي أجمعُ سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية وأشدُّها مقارعةً لهم واحتجاجاً على سفاهتهم" (٢).

وخلاصة القول في محور السورة الكريمة: أنها نزلت بالحججِ القاطعةِ والآيات الساطعةِ التي تقوضُ دعائم الشرك وتدحضُ شُبَهَهُ، وتقررُ عقيدةَ التوحيدِ وأصولَ التشريع، وتثبتُ فؤاد النبي ﷺ وَمَنِ اتَّبعَهُ مِنَ المؤمنين، وتُفصِحُ عن أسباب صدودِ المشركينَ وإعراضهم عن الحقَّ مع ظهورِ حُجَجِهِ، وجلاءِ براهينِه، فهي أصلٌ في محاجة جميعِ الكفارِ، وكشف ما هم عليه من ضلالٍ وتفنيد شبهاتهم، وبيان العقيدة الصحيحة وإثباتِها بالأدلةِ والبراهين، وإقامة الحجَّة على الكفار بنقض عقائدهم الباطلة وتقرير العقيدة الصحيحة بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة والحجج المتنوعة، والسورة الكريمة زادٌ للدعاةِ ومنهجٌ للمحاورِين.

المطلب الرابع

موضوعات السورة

"ولقد كشفت هذه السورة الكريمة كثيراً مما كان عليه أهل الجاهلية من زيغٍ وضلالٍ ، وانحرافاتٍ ومخالفاتٍ وأباطيلَ وشبهاتٍ من هنا: فقد اشتملت هذه السورة على أساليبَ متنوعةٍ في تقويض دعائمِ الشرك وترسيخ قواعد الإيمان ودحض شبه أهل الزيغ والضلال وإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من معتقدات فاسدة وتقاليد راكدة، من هذه الأساليب التي اشتملت عليها السورة: أسلوب التقرير وأسلوب التلقين وأسلوب الاستفهام التقريري، وأسلوب القصص وضرب الأمثال، وأسلوب الوعد والوعيد" (٣).

وجاءت السورة لتحقيق وتقرير أربع مواضيع رئيسة، وهي:

١- وجوب إخلاص العبادة لله – تبارك وتعالى– ونبذ كل ما يعبد من دونه.

---

(١) الأساس في التفسير، للشيخ سعيد حوى، ١٩٩١/٣، دار السلام، القاهرة.

(٢) تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام، دكتور إبراهيم الكيلاني، ص٢٠، مكتبة الأقصى، ط١، عمان، الأردن، ١٤٠١هـ.

(٣) التفسير الموضوعي لسورة الأنعام ، أحمد محمد الشرقاوي، ص٧.

٢- إقامة الأدلة على صدق نبوة محمد ﷺ وأنه مرسل من ربه، وتسليته عما يلاقيه من أذى أعدائه وتثبيته.

٣- إقامة الأدلة على البعث والجزاء.

٤- تقرير مبدأ الحاكمية المطلقة لله – تعالى – وحده [١].

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠٣٠/٢.

المبحث الثاني

المناسبات في سورة الأنعام

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة ومحورها، وبين افتتاحها وخاتمتها.

المطلب الثاني: مناسبة افتتاحية السورة وخاتمتها.

المطلب الأول

المناسبة بين اسم السورة ومحورها، وبين افتتاحها وخاتمتها

أولاً: مناسبة اسم السورة ومحورها:

تبين لنا مما سبق أن السورة الكريمة تدول حول دحض شبهات وأباطيل المشركين في العقيدة والأحكام وبيان جهلهم وسفههم، والذي تجلى واضحاً في مواقفهم المتناقضة في شأن الأنعام من تحليلٍ وتحريمٍ حسب أهوائهم وأوهامهم.

من هنا يظهر الارتباط بين اسم السورة ومحورها، حيث أوردت السورةُ الكريمةُ صوراً ومشاهدَ لما عليه المشركون من جهلٍ وضلالٍ، وشركٍ في العقيدةِ والأحكام والسلوك، وقد تمثل ذلك في موقفهم من الأنعام، فمع كونهم يُقِرُّون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق إلا أنهم يحرّمون ما أحلَّ الله افتراءً عليه.

"وكذلك سورة الأنعام، سورة عظيمة وهي سورة الحجة، بمعنى أنها كثر فيها إقامة الدليل على وحدانية الله ﷻ؛ ولذلك اعتبرت سورة الأنعام ممثلة القرآن المكي في العقيدة" [1]، وهذا هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله السورة.

ثانياً: مناسبة افتتاحية السورة وخاتمتها:

١- إن الإيقاع الأخير في السياق الذي استهدف قضية الحاكمية والشريعة؛ يجيء متناسقاً مع الإيقاعات الأولى في السورة، تلك التي استهدفت قضية العقيدة والإيمان، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ** ﴾ [الأنعام:١٤-١٦]، وغيرها في السورة كثير، فهي صور متنوعة للحقيقة الواحدة، الحقيقة التي تبدو مرة في صورة عقيدة في الضمير، وتبدو مرة في صورة منهج للحياة، وكلتا الصورتين تعنيان حقيقة واحدة في مفهوم هذا الدين [2].

٢- حدد الدكتور أحمد الشرقاوي المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها بعدة نقاط، وهي:

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ، ١٠١٥/٢.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ١٣٨/٣.

- بدأت السورة الكريمة ببيان تفرُّدِه تعالى بالحمد وانتهت السورة ببيان تفرده تعالى بالوحدانية فلا ربَّ غيره ولا معبود سواه.
- استهلت السورة الكريمة بالحديث عن نعمة الإيجادِ الأول "المبدأ" قال تعالى: ﴿الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١-٢] ، واختُتمت السورة بتقرير نعمةِ الإيجاد الثاني "المعاد" قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٤-١٦٥].
- في مطلع السورة إشارةٌ إلى نعمة الخلق، وفي خاتمتها إشارةٌ إلى نعمة الاستخلاف في الأرض، وبيانٌ للحكمة من هذا الاستخلاف، وهو الابتلاء.
- وفي مطلع السورة حديثٌ عن إحاطة علمه تعالى بأحوال عباده وأعمالهم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣] ، وفي خاتمتها بيانٌ لمصير الخلق إلى ربهم لينبئَهم بما عملوا ويجازيهم بما كسبوا [١].

المطلب الثاني
مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها (المائدة):

١- المناسبة الأعظم بين سورتي المائدة والأنعام أن المائدة معظمها في محاجة أهل الكتاب، والأنعام معظمها بل كلها في محاجة المشركين [٢]، المائدةُ فيها حِجاجٌ لأهل الكتاب وردٌّ على اقتراحهم الآيات، وتقريرٌ لرسالة محمدٍ ﷺ ونبوته، وللقرآن ودعوته، والأنعام فيها حجاجٌ للمشركين وردٌ عليهم في اقتراحهم الآيات وتقريرٌ لعقيدة التوحيد ولدعوةِ محمدٍ ورسالتِهِ، فالغرضُ واحدٌ من السورتين أو كالواحد والمغزى والهدفُ واحدٌ أيضاً [٣]، ويؤكد ذلك الدكتور

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، الدكتور أحمد الشرقاوي، ص٨.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٤١/٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد عبد المنعم خفاجي، ٢٠٣/٧، بتصرف، دار العهد الجديد، ط١.

الشرقاوي بقوله: "ومن أوجه الصلاة بين سورتي المائدة والأنعام: التشابه في المضمون؛ حيث الرد على كثيرٍ من الانحرافات العَقَائدِية التي ضلَّ بها الكافرون ودحضُ شبهاتهم، وتنفيدُ مزاعمهم: ففي سورة المائدة يأتي الحديثُ موجهاً إلى أهل الكتاب مع بيان بعض ضلالات المشركين وفي سورة الأنعام تبين السورةُ ما عليه أهلُ الشركِ من أباطيلَ وأوهامٍ، مع بعض الإشارات إلى ضلالات أهل الكتاب [١].

٢- من التناسب بينهما في الأحكام أن سورة الأنعام قد ذكرت أحكام الأطعمة المحرمة في دين الله والذبائح بالإجمال، وسورة المائدة ذكرت ذلك بالتفصيل، وهي قد أنزلت أخيراً كما هو معلوم، ومن التفصيل في هذه المسألة ما في سورة الأنعام من الكلام على محرمات الطعام عند المشركين، وما في المائدة من الكلام على طعام أهل الكتاب " [٢].

٣- وجه مناسبتها لآخر المائدة على ما قاله بعض الفضلاء أنها افتتحت بالحمد، وتلك اختتمت بفصل القضاء وهما متلازمان كما قال سبحانه: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الزُّمر:٧٥] [٣].

٤- في سورة المائدة قال تعالى: ﴿للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٢٠]، جاءت على سبيل الإجمال، وفي سورة الأنعام افتتح جل شأنه بشرح ذلك وتفصيله [٤].

٥- إن الله ﷻ لما ذكر في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧]، وذكر جل شأنه بعده : ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة:١٠٣]، فأخبر عن الكفار أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله تعالى افتراء على الله عز شأنه، وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئاً من ذلك فيشابهوا الكفار في صنعهم، وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز ساق ﷻ هذه السورة (الأنعام) لبيان حال الكفار في صنعهم فأتى به على الوجه الأبين والنمط الأكمل [٥].

---

(١) التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، الدكتور أحمد الشرقاوي، ص١٠.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٤١/٧.

(٣) أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ص٨٠، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

(٤) نفس المرجع السابق، ص٨٠.

(٥) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٤٢/٧.

٦- مناسبة سورة الأنعام بالفاتحة، شرحها إجمال قوله تعالى: ﴿الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، ومناسبتها بالبقرة شرحها إجمال قوله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:٢١]، وقوله عز اسمه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩] ، وبآل عمران من جهة تفصيلها لقوله جل وعلا : ﴿وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ﴾ [آل عمران:١٤]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥] ، وبالنساء من جهة ما فيها من بدء الخلق والتقبيح لما حرموه على أزواجهم وقتل البنات، وبالمائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها [١]، ويوضح البقاعي المناسبة بين المائدة والأنعام بقوله: "لما ختم ﷻ تلك (المائدة) بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله في ذلك اليوم في ذلك الجمع، ثم تحميد نفسه المقدسة بشمول الملك والقدرة، إذ الحمد هو الوصف بالجميل؛ افتتح ﷻ هذه السورة (الأنعام) بالإخبار بأن ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له استحقاقاً ثابتاً دائماً قبل إيجاد الخلق، وبعد إيجاده سواء شكره العباد أو كفروه لما له سبحانه وتعالى من صفات الجلال والكمال – على ما تقدمت الإشارة إليه في الفاتحة " [٢].

ثانياً: مناسبة السورة لما بعدها (الأعراف):

١- ولما كان أمر العقائد هو الأهم المقدم على الدين، وكان شأن أهل الكتاب فيه أعظم من شأن المشركين، قدمت السور المشتملة على محاجتهم بالتفصيل، وناسب أن يجيء بعدها ما فيه محاجة المشركين بالتفصيل، وتلك سورة الأنعام لم تستوف ذلك سورة مثلها، فهي متممة لشرح ما في سورة البقرة مما يتعلق بالعقائد، وجاءت سورة الأعراف بعدها متممة لما فيها ومبينة لسنن الله تعالى في الأنبياء المرسلين، وشئون أممهم معهم وهي حجة على المشركين، وأهل الكتاب أجمعين، ولكن سورة الأنعام فصلت الكلام في إبراهيم الذي ينتمي إليه العرب وأهل الكتاب في النسب والدين، وسورة الأعراف فصلت الكلام في موسى الذي ينتمي إليه أهل الكتاب ، ويتبع شريعته جميع أنبيائهم حتى عيسى المسيح عليه الصلاة والسلام، ولما تم بهذه السورة تفصيل ما أجمل في سورة البقرة من العقائد في الإلهيات والنبوات والبعث، ناسب أن يذكر بعدها ما يتم ما أجمل بها من الأحكام ولاسيما أحكام القتال والمنافقين، وكان قد فصل بعض التفصيل في سورة النساء، فكانت سورتا الأنفال والتوبة هما المفصلتين لذلك وبهما يتم ثلث القرآن [٣].

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٤٢/٧.

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ٣/٧.

(٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ٢٤١/٧.

٢- قال كعب موضحاً المناسبة بين الأنعام وما بعدها: "فاتحة التوراة فاتحة الأنعام، وخاتمتها خاتمة هود" (١).

٣- مناسبة مجيء سورة الأعراف عقب سورة الأنعام "أن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق، قال فيها : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعام:٢] ، وقال في بيان القرون : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [الأنعام:٦]، وأشير فيها على ذكر المرسلين، وتعداد كثير منهم، وكانت الأمور الثلاثة على وجه الإجمال لا التفصيل، ذُكرت سورة الأعراف عقبها؛ لأنها مشتملة على شرح الأمور الثلاثة وتفصيلها، فبسط فيها قصة خلق آدم أبلغ بسط؛ بحيث لم تبسط في سورة كما بسطت فيها، وذلك تفصيل إجمال قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعام:٢]، ثم فصلت قصص المرسلين وأممهم، وكيفية إهلاكهم، تفصيلاً تامّاً شافياً مستوعباً، لم يقع نظيره في سورة غيرها، وذلك بسط حال القرون المهلَكة ورسلهم، فكانت سورة الأعراف شرحاً لتلك الآيات الثلاث في سورة الأنعام، وأيضاً فذلك تفصيل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥] ، وقال في سورة الأنعام: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] ، وهو موجز، وبسطه في سورة الأعراف بقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ[الأعراف:١٥٦] " (٢).

٤- " وجه ارتباط أول سورة الأعراف بآخر الأنعام فهو: أنه قد تقدم في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣]، وقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٥]، فافتتح سورة الأعراف أيضاً باتباع الكتاب في قوله: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف:٢] ، إلى قوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣]، وأيضاً لما تقدم في الأنعام: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩] ، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٤]، قال في مفتتح سورة الأعراف: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف:٦-٧]، وذلك شرح التنبئة المذكورة، وأيضاً فلما قال في الأنعام: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠] ، وذلك لا يظهر إلا في الميزان، افتتح سورة الأنعام بذكر الوزن، فقال: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف:٨] ، ثم ذكر من ثقلت موازينه، وهو مَن زادت حسناته على سيئاته، ثم من خفت موازينه، وهو من

---

(١) انظر: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، ٩١/٢، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، ص٨٦.

زادت سيئاته على حسناته، ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الأعراف، وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم" [1].

(١) أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، ص٨٦.

الفصل الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الأنعام

ويتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي.

المبحث الثاني: منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي.

المبحث الثالث: منهجيات الإصلاح والتغيير التشريعي.

المبحث الرابع: منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي.

المبحث الخامس: منهجيات الإصلاح والتغيير السياسي.

المبحث الأول

منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي

ويشتمل على اثني عشر مطلباً:

المطلب الأول: توحيد الألوهية ومقتضياته.

المطلب الثاني: أسماء الله وصفاته .

المطلب الثالث: الإيمان بالملائكة.

المطلب الرابع: الإيمان بالكتب السماوية.

المطلب الخامس: الإيمان بالرسل.

المطلب السادس: الإيمان باليوم الآخر.

المطلب السابع: الإيمان بالقضاء والقدر.

المطلب الثامن: مصير الكفار يوم القيامة.

المطلب التاسع: مظاهر قدرة الله تعالى.

المطلب العاشر: العدل الإلهي في الثواب والعقاب.

المطلب الحادي عشر: القرآن هداية وإعجاز.

المطلب الثاني عشر: الجن من مخلوقات الله تعالى.

المقدمة

لو أردنا أن نختار سورة تكون ممثلة للقرآن المكي الذي يعرض العقيدة، فإن أول سورة، وأوفى سورة تفي بهذا الغرض هي سورة الأنعام، فهي سورة عظيمة، وهي سورة الحجة، بمعنى أنه كثر فيها إقامة الدليل على الوحدانية لله ﷻ، ولذلك اعتبرت سورة الأنعام ممثلة القرآن المكي في العقيدة، وهي من نوادر السور الطويلة التي نزلت جملة واحدة [١] .

لذلك سوف تركز الباحثة على منهج الإصلاح والتغيير العقائدي في سورة الأنعام، منها:

المطلب الأول

توحيد الألوهية ومقتضياته

والمقصود بذلك إفراد الله ﷻ بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، وهذا الموضوع تكرر ذكره في كتاب الله ﷻ، وما من سورة من سور القرآن العظيم إلا وفيها ذكر للتوحيد، وأمر به، وحث عليه، فالقرآن كله يدور على التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، ولا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وهذا ما ركزت عليه سورة الأنعام، فهو المصدر الرئيسي التي تدور حولها السورة، ومن المنهجيات سورة الأنعام في توحيد الألوهية.

أولاً: تعريف توحيد الألوهية:

أ- **الألوهية في اللغة:** إن لفظ "إله" من أله بمعنى عبد فهو بمعنى معبود ككتاب بمعنى المكتوب، يقال: أله يأله إلاهة وألوهة وألوهية، فهو صفة بمعنى اسم المفعول [٢].

ب- **توحيد الألوهية في الاصطلاح:** هو إفراد الله بالعبادة [٣]، والله الذي له الألوهية في السماء معبود، وفي الأرض معبود، كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته [٤].

ثانياً: أهمية توحيد الألوهية:

١- هذا التوحيد أعظم أنواع التوحيد وأهمها، والمتضمن لها جميعاً، ولا يصير العبد مؤمناً إلا بتحقيقه [٥].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠١٥/٢.

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٧/١، وانظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، ٩٠/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص ٣٩.

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ٦٥٢/٢١.

(٥) انظر: الإيمان بالله ﷻ، علي محمد محمد الصلابي، ١٠٢/١، دار ابن كثير، ط١، سوريا.

٢- هو الذي لأجله خلق الله عباده وأنزل كتابه، وبعث أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ...﴾ [النحل:٣٦] (١) .

٣- العلم بتوحيد الألوهية فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد كائناً من كان، بل كل مضطر إلى ذلك، قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ [محمد:١٩](٢) .

٤- العلم بتوحيد الألوهية من موجبات السعادة (٣)، ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان (٤)، فهو مدار الخير وهو التوحيد والطاعة (٥)، فيه كمال النفس موجباً للإجابة (٦).

ثالثاً: أدلة توحيد الألوهية في سياق سورة الأنعام:

أما دلائل هذا التوحيد فكثيرة في السور خاصة سورة الأنعام فهي أوفر نصيب، ومن ذلك:

١- **ما خلقه الله ﷻ في السماوات والأرض، والظلمات والنور**، حيث قال البيضاوي: "فالآية الأولى من سورة الأنعام دليل التوحيد" (٧)، قال تعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١] ، وخلق الإنسان من طين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢] ، واختلاف الليل والنهار، وخلق الحب والنوى، وإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي، يقول سيد قطب: "إن معجزة انبثاق الحياة من الموت يجيء ذكرها كثيراً في القرآن الكريم- كما يجيء ذكر خلق الكون ابتداء – في معرض التوجيه إلى حقيقة الألوهية" (٨)، قال تعالى:

---

(١) انظر: الإيمان بالله ﷻ، علي محمد محمد الصلابي، ١٠٢/١، دار ابن كثير، ط١، سوريا.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص ٧٨٧.

(٣) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الألوسي، ٢١١/١٣.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٩٧/٨.

(٥) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري، ٦٥/١٣.

(٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٢٣٤/١٨.

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ١٥٤/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤١٨هـ.

(٨) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٧٥/٢.

﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام:٩٥] ، وخلق الليل والنهار كل واحد له وظيفة، "وجعل الشمس والقمر يجريان في أفلاكهما بحساب" (١)، قال تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦] ، وخلق النجوم لإنارة الظلام، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٧] .

٢- **إقرار الله بالألوهية:** أقام الله تعالى دليلاً آخر على وجوده ووحدانيته، فقال: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ...﴾ [الأنعام:٣] ، أي أنه المدعو الله ، القائم في السماوات والأرض المعبود فيها، المعروف بالألوهية، يعبده ويوحده كل من في السماوات ومن في الأرض، ويسمونه الله، ويدعونه رغباً ورهباً إلا من كفر من الجن والإنس، أي أنه المتصف بهذه الصفات المعروفة، المعترف له بها في السماوات والأرض، ونظير هذه الآية قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾ [الزُّخرف:٨٤] ، أي هو إله من السماء، وإله من في الأرض (٢).

٣- **شهادة الفطرة:** إن الفطرة لا تتوجه إلى غير خالقها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣] ، وذلك أن الله تعالى أودع في فطرة الإنسان التوحيد والإذعان للخالق الحقيقي، الباهر القدرة الذي تفوق قدرته كل شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأما الشرك فهو شيء عارض موروث في الأقوام (٣)، وترى الباحثة أن هذا من أبرز دلائل التوحيد، فما دام أنهم لا يلجئون في الشدة إلا إلى الله، ولا يكشفها عنهم إلا هو، إذن فالإخلاص والتوحيد هو المطلوب في سائر الأوقات والأزمان.

رابعاً: حقائق ومقتضيات توحيد الألوهية في سياق سورة الأنعام (٤):

١- حقيقة الألوهية ممثلة في خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وخلق الإنسان من طين، وقضاء الأجل الأول لعمره، وتسمية الأجل الثاني لبعثه، مقررة شمول ألوهية الله

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٥٨٥/١١.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ١٣٤/٧، دار الفكر المعاصر، ط٢، دمشق، ١٤١٨هـ.

(٣) انظر: نفس المرجع السابق، ١٩٩/٧.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠٤٧/٢-١١٠٨.

للسماوات والأرض، وإحاطة علمه بسر الناس وجهرهم، وما يكسبونه في السر والجهر، يتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١-٣] ، فهذه الآيات تقرر حقائق الألوهية لله في الكون والحياة الإنسانية سواء.

٢- تقرر سورة الأنعام حقيقة أخرى من حقائق الألوهية لله، ممثلة في الملك والفاعلية، وفي الرزق والكفالة، وفي القدرة والقهر، وفي النفع والضر، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤] ، فالله هو الخالق، والله هو الرازق، والله هو المالك، والله هو صاحب القدرة والقهر والسلطان، والله هو العليم بالغيوب والأسرار، والله هو الذي يقلب القلوب والأبصار كما يقلب الليل والنهار، فهذا كله من خصائص الألوهية.

٣- حقائق الألوهية تتجلى في قلب رسول الله ﷺ وهو يجد في نفسه بينة من ربه، هو منها على يقين، لا يزعزعه تكذيب المكذبين، ومن ثم يخلص نفسه لربه، ويفاصل قومه مفاصلة المستيقن من ضلالهم يقينه من هداه ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦-٥٧] .

٤- تتجلى في حلم الله على المكذبين، وعدم استجابته لاقتراحاتهم أن ينزل عليهم خارقة مادية حتى لا يعجل لهم بالعذاب عند تكذيبهم بها – كما جرت سنته تعالى – وهو قادر عليه، ولو كان رسول الله ﷺ يملك هذا الذي يستعجلون به، ما أمسكه عنهم، ولضاقت بشريته بهم وبتكذيبهم، فإمهالهم هذا الإمهال هو مظهر من مظاهر حلم الله ورحمته، كما أنها مجال تتجالى فيه ألوهيته، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٨] .

٥- وتتجلى في علم الله بالغيب وإحاطة هذا العلم بكل ما يقع في هذا الوجود في صورة لا تكون إلا لله ولا يصورها هكذا إلا الله، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] .

٦- تتجلى في هيمنة الله على الناس وقهره للعباد في كل حالة من حالاتهم، في النوم والصحو، في الموت والحياة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[الأنعام: ٦١-٦٢].

٧- تتجلى في فطرة المكذبين أنفسهم، حين يواجهون الهول فلا يدعون إلا الله لرفعه عنهم، ثم هم مع ذلك يشركون، وينسون أن الله الذي يدعونه لكشف الضر قادر على أن يذيقهم ألوان العذاب، فلا يدفعه عنهم أحد، قال تعال: ﴿قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ * قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤-٦٥] .

٨- كل مقتضيات الألوهية متحققة على السماوات والأرض، من خضوع للناموس الذي سنه الله لهما، وائتمار بأمره وحده، وكذلك ينبغي أن يكون الشأن في حياة الإنسان، فلقد خلقه الله كما خلق السماوات والأرض، وهو في تكوينه الأول من طين هذه الأرض، وما رزقه من خصائص جعلت منه إنساناً رزقه إياه الله، وهو خاضع من ناحية كيانه الجسمي للناموس الذي سنه الله له، رضي أم كره.

خامساً: منهجيات الإصلاح والتغيير وانعكاسها على توحيد الألوهية في سورة الأنعام:

١- إن واقع الأمة الديني واقع مرير من حيث الجهل بالعقيدة، ومسائل الاعتقاد، ومن حيث الافتراق في المناهج، وإهمال نشر الدعوة الإسلامية في أكثر بقاع الأرض طبقاً للعقيدة الأولى والمنهج الأول الذي صلحت به الأمة، وهذا الواقع الأليم لا شك بأنه قد ولد غيرة عند المخلصين، ورغبة في تغييره، وإصلاح الخلل، إلا أنهم اختلفوا في طريقتهم في صلاح هذا الواقع؛ لاختلاف مشاربهم العقدية والمنهجية ؛ مما ترك الأثر الكبير في الحيرة عند المسلمين – وخصوصاً الشباب منهم – في كيفية معالجة هذا الواقع، وقد يشعر الداعية المسلم المتمسك بمنهاج النبوة المتتبع لسبيل المؤمنين، المتمثل في فهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان من علماء الإسلام، قد يشعر بأنه حمل أمانة عظيمة تجاه هذا الواقع وإصلاحه أو المشاركة في علاجه.

فالعلاج هو ما عالج النبي ﷺ تلك الجاهلية الأولى، فعلى الدعاة الإسلاميين اليوم – جميعهم – أن يعالجوا سوء الفهم لمعنى (لا إله إلا الله)، ويعالجوا واقعهم الأليم بذاك العلاج والدواء نفسه، ومعنى هذا واضح جداً؛ إذا تدبرنا قول الله ﷻ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] ، فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة

مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر، وفي كل وقت وحين، ويقتضي ذلك منا أن نبدأ بما بدأ به نبينا ﷺ وهو إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولاً، ومن عبادتهم ثانياً، ومن سلوكهم ثالثاً، فهذا يدل دلالة قاطعة على أن أهم شيء ينبغي على الداعية إلى الإسلام الاهتمام به دائماً هو الدعوة إلى التوحيد، وهو معنى قوله – تبارك وتعالى – ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ [محمد:١٩] (١).

٢- استخدم أسلوبي التقرير والتلقين في ترتيب متقن وتسلسل محكم في السورة، فتكرر في طياتها فعل الأمر (قل) اثنتين وأربعين مرة، كما تكرر في ثناياها الضمير (هو) ثمانٍ وثلاثين مرة، إشعاراً بأن تلك التقريرات لا تقبل المجادلة، ولا الطعن؛ لأنها ثابتة حساً ومعنى، وهي طريقة رائعة لإثبات وحدانية الخالق وألوهيته.

٣- الإيمان بالألوهية معناه : إفراده – سبحانه – بالعبادة، ومن ثم إفراده بالسيادة على ضمير الإنسان وسلوكه في كل أمر من أمور الحياة، ليس هناك شركاء – إذن – في الألوهية أو الربوبية، فلا شريك له في الخلق، ولا شريك له في تصريفات الأمور، ولا يتدخل في تصريفه للكون والحياة أحد، ولا يرزق الناس معه أحد، ولا يضر أو ينفع غيره أحد، ولا يتم شيء في هذا الوجود صغيراً كان أو كبيراً إلا ما يأذن به ويرضاه.

وليس هناك شركاء في العبادة يتجه إليهم الناس، لا عبادة الشعائر ولا عبادة الخضوع والدينونة، فلا عبادة إلا لله، ولا طاعة إلا لله، ولمن يعمل بأمره وشرعه، فيتلقى سلطانه من هذا المصدر الذي لا سلطان إلا منه، فالتشريع وقواعد الخلق، ونظم الاجتماع والاقتصاد لا تتلقى إلا من صاحب السيادة الواحد الأحد، من الله ، ومن ثم ينطلق الإنسان حراً إزاء كل من عدا الله، طليقاً من كل قيد إلا من الحدود التي شرعها الله، عزيزاً على كل أحد إلا بسلطان من الله (٢).

وبعد ما كتب عن توحيد الألوهية في سورة الأنعام ترى الباحثة:

١- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤] ، فيه ردٌ على من ادعى ألوهية إنسان أو حيوان، وهذه رسالة لكل من يجعل مع الله آلهة تعبد من دون الله، أمثال المشركين في بلاد الصين والهند وغيرهما من الدول التي تتعدد فيها الآلهة، فمنهم من يعبد البقر، والشمس، وغيرها من مخلوقات الله تعالى.

---

(١) انظر: التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، ص ٧، وزارة الأوقاف السعودية.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٤١/١.

٢- في سورة الأنعام التي تشتمل على حقائق الألوهية، فيها رسالة إلى الحكام المتألهين على شعوبهم، وطواغيت البشر، أن الحاكمية لله تعالى وحده لا شريك له، وأن ظلمهم سوف ينتهي كما انتهى ظلم فرعون من قبلهم، وما حصل من زوال فراعنة العصر الحالي في بلاد المشرق والمغرب لخير شاهد، والباقي دورهم قريب؛ ليتحقق قول الله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥] .

٣- في آيات توحيد الألوهية رسالة إلى المصلحين والدعاة، وكل غيور على دينه، عليهم محاربة طواغيت الأرض التي تفسد في الأرض، الذين يتألهون على شعوبهم، والثورة عليهم، شبيهة بثورات الربيع العربي، في المشرق والمغرب، والقضاء على الفساد، ونشر العدل، وتحكيم شرع الله، وإفهام الناس عقائدهم، وتصحيح الأخطاء التي يقعون فيها، ونشر الأمان بينهم؛ ليتحقق قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٤] .

المطلب الثاني

أسماء الله و صفاته

مقدمة:

العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها، فمن عرف الله عرف ما سواه ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل، فالعلم بالله أصل كل علم وهو أصل علم العبد بسعادته وكمالـــه ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته [١].

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات:

توحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه [٢] وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها: إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ٨٦/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٣٩.

ولا تعطيل [1].

ثانياً: أهمية توحيد الأسماء والصفات:

للعلم بتوحيد الأسماء والصفات والإيمان به أهمية عظيمة، ومما يدل على أهميته ما يلي:

١. يجب على الجميع الإيمان بالأسماء والصفات إذا كان منصوصاً في كتاب الله والإنكار على من جحده [2]، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

٢. أن معرفة توحيد الأسماء والصفات والإيمان به كما آمن السلف الصالح، عبادة لله ﷻ فالله أمرنا بذلك، وطاعته واجبة [3].

٣. توعد الله المغيّرين والمحرفين بأسمائه وصفاته بنزول العقوبة وتحذير للمسلمين أن يفعلوا كفعلهم، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠][4].

٤. إن هذا العلم أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق؛ فالاشتغال بفهمه، والبحث فيه اشتغال بأعلى المطالب، وأشرف المواهب، حيث وضح السعدي أهمية هذا العلم قائلاً: "والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلى هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته" [5].

٥. أمر الله بأن يدعوه بها عند الحاجة فإنه إذا دعي بأحسن أسمائه كان ذلك من أسباب الإجابة[6]، وسبباً في دخول الجنة لمن يحصوها، وعمل بمقتضاها بأن وثق بالرزق إذا قال الرزاق وعلم أن الخير والشر من الله تعالى إذا قال الضار النافع فشكر على المنفعة وصبر على المضرة وعلى

---

(١) انظر: شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ٦٥/١، دار أطلس الخضراء، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، ٢٢٧/٥، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٣) انظر: تفسير القرآن، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهب، ٥١٥/١، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٣٠٥/٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٧٨٧.

(٦) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٣٠٥/٢.

هذا سائر الأسماء [١]، قال ﷺ: **(لله تسعة وتسعون اسماً –مائة إلا واحدة– لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يُحب الوتر)** [٢]، أي لله الصفات الحسنى[٣].

ثالثاً: ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات:

لقد اعتنى علماء الإسلام، قديماً وحديثاً، في بيان أسماء الله وصفاته، وشرحها، وإيضاحها، وبيان ثمرات الإيمان بها، فمن الثمرات التي تحصل من جراء الإيمان بها ما يلي:

١. العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله، وإذا شاء العباد أن يعرفوا ربهم فليس لهم سبيل إلى ذلك إلا التعرف عليه من خلال النصوص الواصفة له، المصرّحة بأفعاله وأسمائه، كما في آية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الصمد، وغيرها.

٢. أن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له، العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له [٤]، وأن جماله تعالى وكماله وأسماءه وصفاته تقتضي من عباده غاية الحب والذل والطاعة له [٥].

٣. معرفة كلمة لا إله إلا الله يفيد أنه لا بد من قيام الساعة لأن الإله وعد بذلك وهو متصف بالكمال ولا شريك له يمنعه من إنجاز وعده [٦].

٤. لكل صفة من صفات الله تعالى لها عبودية خاصة، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى الله وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح

---

(١) انظر: روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، ٣٨٣/٣، دار الفكر، بيروت.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة، ٢١٨/١١، ح (٦٤١٠)، صحيح مسلم، ٢٠٦٢/٤، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٢٦/٧.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٧٨٧.

(٥) انظر: مفتاح دار السعادة ، ابن قيم الجوزيه ، ٢ /٩١ .

(٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٢٣٠/١٨.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها وكذلك عمله بكماله وجماله وصفاته العلي يوجب له محبة خاصة [١].

رابعاً: أسماء الله وصفاته في سورة الأنعام:

١. **صفة الألوهية:** قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣]، وكلمة الله تعني الذي له هذا الاسم المستجمع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى المدعو به تألهاً له وخضوعاً وتعبداً [٢]، ويعتبر اسم الله كذلك صفة من صفاته فالله: هو المألوه المعبود ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال [٣].

٢. **صفة الخلق:** ذكرت هذه الصفة في سورة الأنعام ست مرات منها:

- قال تعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠١]، ومعنى خلق أي أوجد واخترع وقدر [٤]، وهذا وصف لله ﷻ يثبت كمال حق العبودية له وحده، وأنه لا يستحق الحمد الكامل سواه [٥].

٣. **صفة الإرادة والمشيئة:** قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥]، حيث وصف الله نفسه بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة، وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته [٦]، وأن الله ﷻ يريد هدى المؤمن وضلال الكافر، وهذا عند

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، ٩٠/٢.

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ٥٨٧/٢.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٢٩٨/٥.

(٤) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ١٥٣/٧.

(٥) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٤٣١/٥.

(٦) انظر: الرسالة التدمرية، ابن تيمية، ص٢٥.

جميع هل السنة بالإرادة القديمة التي هي صفة ذاته تبارك وتعالى [١].

٤. **الحَكم:** قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام:١١٤]، والحكم أبلغ من الحاكم، إذ لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق، لأنها صفة تعظيم في مدح، والحاكم صفة جارية على الفعل، فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق [٢].

٥. **الحكمة:** قال تعالى: ﴿وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، أي حكيم فيما أمر به ونهى، وأثاب، وعاقب، وفيما خلق وقدر [٣]، والحكمة تعني وضعه الأشياء في مواضعها، وإيقاعها على أحسن الوجوه [٤]، وقد ذكرت خمس مرات في سورة الأنعام.

٦. **العلو والفوقية:** قال تعالى: ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨]، فسلف الأمة يمرون هذه الآيات بغير تأويل ويقولون: إن الله مستو على عرشه فوق السموات وفوق العالم كله لا فوق كل شخص وحده، وهو بهذا بائن من خلقه، وإنه مع ذلك ليس كمثله شيء، فليس بمحدد ولا محصور ولا متحيز [٥]، وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله فوق جميع مخلوقاته، مستوٍ على عرشه، في سمائه، وعالياً على خلقه، بائناً منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه خافية [٦]، وفسر بعض المفسرين الفوقية في هذه الآية أنها فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم [٧]. والرأي الأول أصح و اسلم .

٧. **الخبير:** قال تعالى: ﴿وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، أي المطلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور [٨]، وذكرت ثلاث مرات في سورة الأنعام.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣٤٢/٢.

(٢) انظر: جامع الأحكام، الطبري، ٧٠/٧.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٥١.

(٤) انظر: تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ٣٥/١، دار ومكتبة الهلال، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ.

(٥) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٨٢/٧.

(٦) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، ص٢٥٧، الدرر السنية، دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

(٧) انظر: جامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٩٩/٦.

(٨) تيسير الكلام الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٥١.

٨. **العلم:** قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾ [الأنعام:٧٣]، وقال تعالى: ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ [الأنعام:١٣]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام:٨٣]، حيث ذكرت ثمان مرات في سورة الأنعام، ومعنى العلم الشديد العلم بكل معلوم(١).

٩. **السمع:** قال تعالى: ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ [الأنعام:١٣]، ومعنى السميع: العالم العظيم بالمسموعات أو بالمحسوسات (٢).

١٠. **القدرة:** قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا**﴾ [الأنعام:٦٥]، وقال تعالى: ﴿**فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الأنعام:١٧]، ومعنى القدرة: أي ما يصيبك أيها الإنسان من ضرر أو شدة من ألم أو فقر أو مرض أو أي مصيبة تحصل، أو حزن أو ذلك ونحوه، فلا صارف له عنك ولا مزيل له إلا الله تعالى لأنه القادر على كل شيء، أي على كل شيء جائز أن يوصف الله تعالى بالقدرة عليه، وكذلك إن يحصل لك أيها الإنسان خير من صحة أو غنى أو عزّ ونحوه، فهو أيضاً من الله ﷻ، لكمال قدرته على كل شيء (٣).

١١. **القاهر:** قال تعالى: ﴿**وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام:١٨]، أي المستولي المقتدر (٤).

١٢. **اللطف:** قال تعالى: ﴿**وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٣]، وفسر السعدي اللطف بقوله: الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن، ومن لطفه، أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب، حتى أنه يقدر عليه الأمور، التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها (٥).

١٣. **الوكيل:** قال تعالى: ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [الأنعام:١٠٢]، فوكالته من نفسه لنفسه، متضمنة لكمال العلم، وحسن التدبير والإحسان فيه، والعدل، فلا يمكن لأحد أن يستدرك على الله، ولا يرى في خلقه خللاً ولا فطوراً، ولا في تدبيره نقصاً وعيباً، ومن وكالته: أنه تعالى، توكل

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥٦/٧.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٣) التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ٥٣٤/١، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٢٢هـ.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٥٣٤/١.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٦٨.

ببيان دينه، وحفظه عن المزيلات والمتغيرات، وأنه تولى حفظ المؤمنين وعصمتهم عما يزيل إيمانهم ودينهم [١].

١٤. **الربوبية:** قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥]، والرب وصف لله تعالى، مأخوذ من رب الشيء يربه بمعنى قام بإصلاحه وتقويمه، ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح والتربية [٢]، ومعناها هنا أن الله مربيهم لأنه القائم عليهم والمهذب لهم بما خلق فيهم من عقول مدركة تدرك الخير والشر، وتختار ما تفعل وتحاسب على ما تقدم من خير فتنال به الثواب، وما تكسب من شر فينالها العقاب [٣].

١٥. **الرحمة:** قال الله تعالى: ﴿قُلْ للهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢]، وهي من صفات الله وتكون بجميع عباده، فإنه تعالى أوجب على ذاته الرحمة بخلقه [٤]، وعندما يسمع العربي لفظ الرحيم يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويرضيه ﷻ، ويعلم أن لله صفة ثابتة هي الرحمة التي عنها يكون أثرها، وإن كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين، والرحيم دال على أنه يرحم خلقه برحمته، أي صفة فعل له ﷻ [٥].

١٦. **الغني:** قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣]، والغني صفة ذات لله ﷻ لأنه تبارك وتعالى لا يفتقر إلى شيء من جهة من الجهات [٦]، ويعلق الرازي على هذه الصفة بقوله: "إنه تعالى غني في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه عن كل ما سواه لأنه لو كان محتاجاً لكان مستكملاً بذلك الفعل والمستكمل بغيره ناقص بذاته وهو على الله محال" [٧].

١٧. **الرزق:** قال تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ [الأنعام:١٤٢]، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]، ومعنى الرزّاق: الكثير الرزق، صفة من صفات الفعل، وهو شأن من شؤون ربوبيته ﷻ، لا يصح أن ينسب إلى غيره، فلا يسمى غيره رازقاً كما لا يسمى خالقاً، فالأرزاق كلها بيد الله وحده، فهو خالق الأرزاق والمرتزقة، وموصلها إليهم، وخالق أسباب التمتع بها؛

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٦٨.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٢/١.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٥٨/١.

(٤) انظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ٥٣١/١.

(٥) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٤٠/١.

(٦) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣٤٧/٢.

(٧) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٥٤/١٣.

فالواجب نسبتها إليه وحده وشكره عليها فهو مولاها وواهبها [١].

١٨. **الغفور**: قال تعالى: ﴿وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٤٥]، وغفور من أبنية المبالغة؛ فالله ﷻ غفور؛ لأنه يفعل ذلك لعباده مرة بعد مرة إلى ما لا يحصى، فجاءت هذه الصفة على أبنية المبالغة لذلك، وهو متعلق بالمفعول؛ لأنه لا يقع الستر إلا بمستور يُستر ويُغطى [٢].

١٩. **العزيز**: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦]، ومعنى العِزَّة: المنعة والغلبة، والعِزَّة من صفات ذاته تعالى التي لا تنفك عنه، فغلب بعزَّته، وقهر بها كل شيء، وكل عِزَّة حصلت لخلقه؛ فهي منه [٣].

٢٠. **الولي**: قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١].

٢١. **الفطر**: قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٤]، ومعنى الفطر: مبدعهما، أي مبدئهما على غير مثال سابق، حيث وصف الله تعالى بما ينافي اتخاذ غيره ولياً، فقال: فاطر السموات والأرض [٤].

٢٢. **الحق**: قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، والحق في اللغة هو الثبات المتحقق، وهذا الوصف لا يتحلى به أحد من الخلق إلا على سبيل العارية المؤقتة [٥]، فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفاً، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفاً، فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق [٦].

٢٣. **السرعة في الحساب** : قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ﴾ [الأنعام:١٦٥]، والمعنى أن حسابه لعباده يوم القيامة سريع مجيئه فبادروا ذلك بأعمال الخير، أو أنه وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم، وأنه لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ فيحاسبهم في حالة واحدة [٧]، فالله ﷻ سريع في حسابه، سريع عقابه، سريع في

---

(١) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، ص١٧٧.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ص٣٢٠.

(٣) انظر: نفس المرجع السابق، ص٢٤٩.

(٤) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٧٧/٧.

(٥) المرجع السابق، ٤٠٥/٧.

(٦) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، ص١٣٦.

(٧) فتح القدير، الشوكاني، ٢٣٥/١.

إتيانه ومجيئه [1].

خامساً: وقفات ولمحات على صفات الله تعالى:

١. عدد الأسماء الحسنى التي ورد ذكرها في القرآن تسع وتسعين، وعدد الأسماء التي ذكرت في سورة الأنعام، أو ورودها، أربعة أسماء، وهي (فاطر، قاهر، لطيف، برهان) [2].

٢. أن التعقيب بصفتي السمع والعلم في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ [الأنعام:١٣]، أفاد الإحاطة التامة بجميع الخلائق، وبكل ما يصدر عنها، وفي هذا وعيد للمشركين بأن الله مطلع عليهم، وتسلية للمؤمنين بأن الله تعالى لا يخفى عليه حالهم [3]، وترى الباحثة أنه: في ذكر صفة الولي لله تعالى في قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام:١٤]، فيه أمر أهل الإيمان بالإعلان عن الإيمان والبراءة من الشرك والعصيان، فالولاية لا تكون إلا لله فهو تعالى الخالق الرازق وهو الضار النافع، وهنا يفسح المجال لإعلان الحق، وإظهار المسلم لهويته في وجه هذا العالم المادي، ورفع لواء التوحيد وتنكيس رايات الشرك، بالحجة والبيان، وفي هذه الآيات الكريمة توجيه لإخواننا المستضعفين والأقليات المسلمة في بلاد الغرب وغيرها من الدول ذات الأغلبية الكافرة أن على المسلم أن يعلن عن هويته ويُصرَّح بدعوته ويقيم شعائر دينه، ويحذر من الاندماج الذي يؤدي إلى الذوبان والانصهار والتبعية للغرب والتخلي عن جوهر الإسلام ومظاهره، مستعيناً على ذلك بالعقيدة الراسخة.

سادساً: منهجيات الإصلاح والتغيير في معرفة صفات الله تعالى:

١- يجب على المصلحين أن يأخذوا بالأسباب ويتوكلوا على الله، ولا يسألوا إلا الله ﷻ في التوفيق بدعوتهم [4].

٢- التفاوت في الرزق بين الناس سنة كونية وحكمة إلهية يجب التسليم بها.

---

(١) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، ص٢٠١.

(٢) انظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ٦١٥/٣، دار الفكر، بيروت.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، أحمد الشرقاوي، ص٢٨.

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٩١/٢، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (ت: ١٤١٥هـ)، ص ٣٧٥، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ.

٣- العلم بصفات الله توصل المسلم إلى معرفة الخالق ﷻ [١].

٤- معرفة صفات الله تجعل المسلم أكثر محبة لله تعالى وخشية منه.

٥- على المسلم التفكر بعظيم قدرة الله عليه [٢] .

٦- معرفة صفاته ﷻ تقتضي على المسلم طاعته وعبادته والرجوع إليه [٣].

٧- ينبغي على المسلم بمعرفة صفات الله أن يصلح من نفسه ويغير إلى الأصلح، بالرجوع إلى كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ.

٨- على المسلم أن يشكر الله تعالى على المنفعة ويصبر على المضرة.

٩- على العلماء أن يعلنوا البراءة من أهل الشرك والعصيان، وأن تكون الولاية لله تعالى الخالق الرازق.

١٠- إن معرفة أسماء الله وصفاته يعد منهجا قويما تقويم الفكر والسلوك .

المطلب الثالث

الإيمان بالملائكة

أولاً: تعريف الملائكة:

الملائكة في اللغة هو جمع ملك، وأصله: ملاك وزنه مفعل [٤]، وهو مقلوب مالك صفة مشبهة من الألوكة عند الكسائي، وهي الرسالة، فهم رسل إلى الناس، وهذا رأي الجمهور [٥]، وفي الاصطلاح هم أجسام نورانية لا يأكلون ولا يشربون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون[٦].

والإيمان بالملائكة هو: الاعتقاد أن الملائكة هم عباداً لله، ورفض معتقدات الجاهلية فيهم[٧]، والعلم بأنهم معصومون مطهرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون،

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٧٦/٩.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ٢٤٤/٧.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٩١/٢.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، ١٢٤/١.

(٥) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ٢٢٠/١.

(٦) التفسير المنير، الزحيلي، ١٢٤/١.

(٧) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣٩١/١.

لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، فإن لذتهم بذكر الله، وأنسهم بعبادة الله، وكما أن حياة كل واحد منا بنفسه الذي هو عبارة عن استنشاق الهواء ،فكذلك حياتهم بذكر الله تعالى ومعرفته وطاعته [١]، وأنهم وسائط بين الله وبين البشر، وبهم وصلت الكتب إلى الأنبياء، ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من أقسام هذا العالم [٢].

ثانياً: حكم الإيمان بالملائكة:

حكم الإيمان بالملائكة واجب، وهو الركن الثاني من أركان الإيمان [٣]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء:١٣٦].

والإيمان بالملائكة الأخيار الأطهار الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وهو إيمان بالغيب الذي لا يرى ولا يحس، وأول شعار المؤمن الإيمان، وهو الفيصل بين المسلم والزنديق، فالزنديق أو الملحد في دين الله تعالى لا يؤمن إلا بالمحسوس، ولا يصدق ما لا يرى ويحس، والمؤمن يعلم أن وراء المحسوس سراً خفياً، وقد أمرنا الله تعالى بالإيمان فحق علينا أن نؤمن بوجودهم، وهم مذكورون في كتابه الكريم، وفي الكتب التي صدقها، فالكفر بهم كفر بالله وبالقرآن [٤].

ثالثاً: عقيدة المسلمين في الملائكة:

١- هم خلق من خلق الله تعالى خلقهم الله من النور[٥]، عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: **(خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم)**[٦].

٢- أنهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، قال تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ المَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**﴾ [الإسراء:٤٠] ، إذ عبد فريق من العرب الملائكة كما عبدوا الأصنام، واعتلوا لعبادتهم بأن الملائكة بنات الله تعالى، فأبطل الله تعالى أصل معتقدهم في أن الملائكة

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١١٠/٧.

(٢) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ٨٧/٢.

(٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٧٤/٥.

(٤) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٥١٩/١.

(٥) انظر: أركان الإيمان : علي بن نايف الشحود ، ص ٥١ ، ط٤ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

(٦) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة، ح٢٩٩٦، ٢٢٩٤/٤.

بنات الله تعالى، وأنه لا يجوز أن يجعلوا مع الله آلهة أخرى [١]، وفي هذه الآيات رد على اليهود لأنهم قالوا هذه المقالة من أن الملائكة بنات الله [٢].

٣- من صفات الملائكة أنهم يتميزون بالطاعة التامة لله، فلا يخالفونه في أوامره، ويؤدّون ما يؤمرون [٣]، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم:٦].

٤- الملائكة قادرون على التمثل بأمثال الأشياء والتشكل بالأشكال الجسمانية فقد ثبت بالقرآن الكريم وبالأحاديث الصحيحة، حيث إن جميع الرسل عاينوا الملائكة على صورة البشر كأضياف إبراهيم، وأضياف لوط، وكالذين تسوروا المحراب، وكجبريل حيث تمثل لمريم بشراً سوياً [٤]، قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٧-١٩]، أي تشبه لها في صورة آدمي سويّ الخلق منهم، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق [٥].

رابعاً: الملائكة في سياق سورة الأنعام:

جاء الحديث عن الملائكة في القرآن الكريم في مناسبات مختلفة وفي سور متعددة، حيث ذكرت في سورة الأنعام ٧ مرات، علماً بأنها وردت لفظة الملائكة أربع مرات منفردة، وفي السورة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٨-٩] ، وقال تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام:٥٠]، وثلاث مرات بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام:٩٣]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ [الأنعام:١١١]، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، ومن هذه الآيات نستنتج أمور هامة تخص الملائكة منها:

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر عاشور، ١٠٧/١٥.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٤٥٨/٣.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ٢٦٩١/٣.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٤٨٧/١٢.

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٦٣/١٨.

١- الحكمة من تشكل الملائكة على هيئة بشر [١]:

أ- أن الجنس إلى الجنس أميل.

ب- أن البشر لا يطيق رؤية الملك.

ج- أن طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر، وربما لا يعذرونهم في الإقدام على المعاصي.

د- أن النبوة فضل من الله فيختص بها من يشاء من عباده، سواء كان ملكاً أو بشراً.

ومن هذه النقاط:

١- نستشعر رحمة الله بعباده ولطفه بهم، فينبغي شكر الله على هذه النعمة و على الدعاة والمصلحين، أن يوضحوا للعصاة ذلك.

٢- لا تنزل ملائكة غير الذين سخرهم الله للأمور المعتادة مثل الحفظة، وملك الموت، والملك الذي يأتي بالوحي إلا ملائكة تنزل لتأييد الرسل بالنصر على من يكذبهم، مثل الملائكة التي نزلت لنصر المؤمنين في بدر، ولا تنزل الملائكة بين القوم المغضوب عليهم إلا لإنزال العذاب بهم، كما نزلت الملائكة في قوم لوط، ولعل حكمة ذلك أن الله فطر الملائكة على الصلابة والغضب للحق بدون هوادة، وجعل الفطرة الملكية سريعة لتنفيذ الجزاء على وفق العمل [٢]، وفي هذا ترى الباحثة أنه فيه رسالة للمصلحين والمغيرين أن يكونوا أشداء أقوياء في نشر الدعوة والحق، وكذلك نستشعر من هذه المخلوقات العظيمة عظمة الخالق ﷻ، وقوته وسلطانه، مما يزيدنا حباً لله تعالى، وحباً لهذه المخلوقات وتقديرها.

٣- إن الملائكة موكلون بقبض أرواح المؤمنين والكافرين، وقد ورد أن أرواح الكافرين تنزع انتزاعاً شديداً، وتسل من جسومهم، كما يسل الحرير من الشوك؛ أما روح المؤمن فتنشط للخروج فرحاً بلقاء ربها، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [الأنعام:٩٣] [٣]، **فترى الباحثة** أنه على الدعاة والمصلحين أن يحذروا العصاة من هذا اليوم العصيب، ويحثوا المؤمنون على المداومة على طاعة الله.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٤٨٧/١٢.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤٤/٧.

(٣) انظر: أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ)، ص١٦٤، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، ١٩٦٤م.

خامساً: منهجيات الإصلاح والتغيير من خلال الإيمان بالملائكة:

١- وجوب الإيمان بالملائكة فهو الركن الثاني من أركان الإيمان، وعدم الإيمان بهم كفر بالله تعالى [١] .

٢- الملائكة جند من جنود الله منهم ما هو مكلف بالوحي، ومنهم مكلف بمراقبة أعمال البشر، ومنهم ما هو مكلف بقبض الأرواح كما ورد في سورة الأنعام، ومنهم ما هو مكلف بنصر المؤمنين وتأييدهم، ومنهم مكلف بإنزال العذاب على المشركين [٢] .

٣- يستشعر المؤمن قدرة الله تعالى وعظمته، وذلك واضح في عظم خلق الملائكة.

٤- اطمئنان المؤمن إلى أنه محاط برعاية الله تعالى له، بهؤلاء الخلق العظام الذين يرعون شؤونه، ويسيرون كثيراً من شؤون الكون بإذن الله تعالى [٣].

٥- حثُ المؤمن على العمل الصالح وزجر السيئات عندما يعلم أن الملائكة لا تمل من العبادة وطاعة الله، ويعلم أن الملائكة يترصدون جميع أعماله ويسجلونها عليه.

٦- أن المسلم إذا آمن بوجود الملائكة الذين كلفهم الله بهذه الأعمال العظيمة تخلَّص من الاعتقاد بوجود مخلوقات وهمية تسهمُ في تسيير أمور الكون، فتتطهر عقيدة المسلم من شوائب الشرك وأدرانه.

٧- على العلماء أن يغلقوا باب الخرافة والتخيلات الباطلة، والاعتقاد الزائف في الملائكة، وذلك ببيان الحق في شأنهم، وتوضيح ما يخص البشر، وينفعهم العلم به من أمر الملائكة[٤].

٨- أن يعلم المسلم أن الملائكة لا ينفعونه ولا يضرونه، وإنما هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

٩- شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده، حيث وكّل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم وغير ذلك، مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.

١٠- الإيمان بالملائكة تجعل المصلح يصبر على طاعة الله، ويواصل الجهاد في سبيل الله، وعدم اليأس والشعور بالطمأنينة، فعندما يصبح المصلح غريباً في وطنه وبين أهله وقومه حينما يدعوهم إلى الله، ويجد منهم الصدّ والاستهزاء يجد من ملائكة الله أنيساً ورفيقاً يصحبه

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٧٤/٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤٤/٧.

(٣) انظر: أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود، ص ٦٢.

(٤) انظر: نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

ويطمئنه ويشجعه على مواصلة السير في طريق الإصلاح والتغيير.

١١- الإيمان بالملائكة تجعل المؤمن يستقيم على أمر الله ﷻ ويصلح من نفسه، فإن من يستشعر وجود الملائكة معه وعدم مفارقتها له، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه، ليستحي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه في أمر، ولا يعصيه في العلانية أو في السرّ، فكيف يعصي الله مَنْ علم أن كل شيء محسوبٌ ومكتوبٌ؟ (١) .

١٢- عندما يؤمن المصلح والداعية المسلم بالملائكة تجعله مطمئن إلى حماية الله له، فقد جعل الله عليه حافظاً يحفظه من الجن والشياطين، ومن كل شرّ، قال تعالى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ** ...﴾ [الرعد:١١] (٢) .

١٣- المسلم عندما يؤمن بالملائكة وأعمالهم، ويرى كيف أن الله ﷻ وكل ملائكة بالسماء، وملائكة بالأرض، وملائكة بالجبال، وملائكة بالسحاب ... الخ، وكل ذلك من أجل الإنسان وراحته يتوجه إلى الله بالشكر فتزداد محبة الله في قلبه، ويعمل على طاعته.

المطلب الرابع

الإيمان بالكتب السماوية

أولاً: تعريف الإيمان بالكتب السماوية:

هو التصديق بكل ما أنزل على الأنبياء من الوصايا والحكم والأحكام والشرائع والآداب والأخلاق (٣)، الذين تضمن ذكرهم كتاب الله المنزل على محمد ﷺ، أو ما أخبر هو به (٤)، وأن تعلم أن كلها وحي من عند الله وليس لأحد من المخلوقات أن يلقي فيها شيئاً من ضلالاتهم ولا سيما في القرآن العظيم (٥)، وعدد هذه الكتب، أربعة وهي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن (٦).

ثانياً: حكم الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية واجب، وهو الركن الثالث من أركان الإيمان، بعد الإيمان بالله وملائكته (٧)، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ**

---

(١) انظر: أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود، ص ٦٢.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ١٦٨/١.

(٤) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٣٩١/١.

(٥) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تفسير النيسابوري، ٨٨/٢.

(٦) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ١٦٨/١.

(٧) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٧٤/٥.

﴿وَالكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦]، ومن يكفر بكتبه التي أنزلها ﷻ على أنبيائه، فقد خرج عن طريق الهدى وبعد عن السبيل القويم بعداً كبيراً، لأنه بكفره بذلك يكون قد خالف الفطرة، وانحرف عما يقتضيه العقل السليم، وأوغل في الشرور والآثام إيغالاً شديداً، يؤدي به إلى خزي الدنيا وعذاب الآخرة [(١)]، ومن فرّق بين كتب الله، فآمن ببعض وكفر ببعض كاليهود والنصارى فلا يعتد بإيمانه ولا يعترف به؛ لأن الكفر بكتاب أو برسول كفر بالكل، ولو آمن إيماناً صحيحاً بنبيه وكتابه لما كفر بمحمد المبشر به عندهم [(٢)].

ثالثاً: عقيدة المسلمين في الإيمان بالكتب السماوية:

١- وجوب الإيمان بجميع الكتب السماوية التي نزّلها الله على رسله، دون تفريق، كالصحف العشر التي أنزلت على إبراهيم، والزبور الذي نُزِّل على داوود، والتوراة التي نُزِّلت على موسى، والإنجيل الذي نُزِّل على عيسى، والقرآن الذي نُزِّل على محمد، عليهم الصلاة والسلام، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُولُوا آَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦] [(٣)].

٢- إن جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن الكريم كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ﴾ [المائدة:٤٨] [(٤)].

٣- القرآن الكريم محفوظ من الله في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب السماوية فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغياً

---

(١) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٣٤٦/٣، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٧م، التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ١٠٠/١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، السعودية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٣١٤/٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٣٢٢/١.

(٤) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د.محمد عبد العزيز بسيوني، ٣٧٠/٤، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٢٢١/٦.

فوقع التحريف، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] [١].

رابعاً: الكتب السماوية في سورة الأنعام:

لقد ذكر لفظة الكتاب في سورة الأنعام إحدى عشرة مرة، أغلبها يقصد منها القرآن الكريم أو التوراة، وأغلب الآيات ربطت بين التوراة والقرآن الكريم، وأية واحدة ربطت بين التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام:١٥٦]، ومن الآيات التي وردت في ذكر التوراة والقرآن:

١- قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٥٤]، تشير هذه الآيات إلى:

أ- أن الله تعالى يقرر بهذا أن الشرائع السماوية في الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر ظاهره وباطنه وأن حديثها في الوحي والتنزيل واحد [٢].

ب- الحكمة من ذكر التوراة في القرآن الكريم أكثر من باقي الكتب السماوية لاشتهارها عند مشركي العرب وسماعهم أخبارها [٣].

ج- الغاية من أنزال التوراة على موسى عليه السلام [٤]:

- لتفصيل كل شيء تحتاج إليه أمة بني إسرائيل في عقائدها وعباداتها وفضائلها وأحكامها العامة والخاصة.
- لتبين لنبي إسرائيل الحق والصواب.
- رحمة لهم في دنياهم لما يحمله من الدعوة إلى العدل والخير رجاء أن يوقنوا بلقاء ربهم.
- ليعمل بنو إسرائيل الصالحات ويتخلون عن المفاسد والشرور لما تجلبه لهم من غضب الله تعالى وعذابه.

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ١٨٤/٢، دار الكلم الطيب، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧٤٥/٥.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٠٧/٨.

(٤) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ١٤٤/٢، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

د- في قوله: ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٤]، أي أنه مناسب لزمنه، وقيم تناسب الوقت الذي يعيشونه، ولله المثل الأعلى، عندما يكون لك ولد صغير السن فتقول: أنا فصلت له ملابسه، أي فصلت له الملابس التي تناسبه، وحين يكبر لن تظل ملابسه القديمة صالحة لأن يرتديها، فإذا ما جئنا بتفصيل جديد من في القرآن فهو مناسب لوقته، وإن كل تفصيل مناسب لزمنه، وآيات القرآن مفصلة جاهزة ومعدة لكل زمن وللناس جميعاً إلى أن تقوم الساعة [١].

هـ- الإصلاح في التوراة: يعني تمام الحال، والتمام الكمال، أي كانت التوراة كمالاً لما في بني إسرائيل من الصلاح الذي هو بقية مما تلقوه عن أسلافهم، من صلاح إبراهيم، وما كان عليه إسحاق ويعقوب والأسباط عليهم السلام، فكانت التوراة مكملة لصلاحهم، ومزيلة لما اعتراهم من الفساد، وأن إزالة الفساد تكملة للصلاح [٢].

و- حال بني إسرائيل قبل نزول التوراة: إن بني إسرائيل كانوا مؤمنين بلقاء الله من قبل نزول التوراة، ولكنهم طرأ عليهم من أزمنة طويلة، من أطوار مجاورة القبط، وما لحقهم من المذلة والتغرب والخصاصة والاستعباد، ما رفع منهم العلم، وأذوى الأخلاق الفاضلة، فنسوا مراقبة الله تعالى، وأفسدوا، حتى كان حالهم كحال من لا يؤمن بأنه يلقى الله، فأراد الله إصلاحهم ببعثة موسى عليه السلام، ليرجعوا إلى ما كان عليه سلفهم الصالح من مراقبة الله تعالى وخشية لقائه، والرغبة في أن يلقوه وهو راض عنهم، وهذا تعريض بأهل مكة ومن إليهم من العرب، فكذلك كان سلفهم هدى وصلاح، فدخل فيهم من أضلهم ولقنهم الشرك وإنكار البعث، فأرسل الله إليهم محمداً ﷺ ليردهم إلى الهدى ويؤمنوا بلقاء ربهم [٣]، وترى الباحثة فيه: رسالة إلى المصلحين والدعاة عليهم أن يقوموا مقام الأنبياء لأن النبوة انتهت برسالة محمد ﷺ خاتم النبيين، بأن يحاربوا الفساد والضلال الذي وقعت فيه الأمة، ليرجعوا إلى ما كان عليه سلفهم الصالح، ويكونوا خير أمة أخرجت للناس.

٢- قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١]، وتدل هذه الآيات على:

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، ٤٠٠٦/٧، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٧٦/٨.

(٣) انظر:التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ١٧٧/٨.

أ- صفات التوراة في هذه الآيات [١]:

الصفة الأولى: أنه تعالى سماه نوراً تشبيهاً له بالنور الذي به يبين الطريق.

الصفة الثانية: إن القوم كما يخفون الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ، فكذلك يخفون الآيات المشتملة على الأحكام الموجودة في التوراة، إنهم حاولوا على إخفاء الآية المشتملة على رجم الزاني المحصن.

الصفة الثالثة: أن التوراة كانت مشتملة على البشارة بمقدم محمد عليه السلام واليهود قبل مقدم رسول الله ﷺ كانوا يقرؤون تلك الآيات وما كانوا يفهمون معانيها، فلما بعث الله محمداً ظهر أن المراد من تلك الآيات هو مبعثه ﷺ.

ب- ليس المراد بالآية مجرد إلزامهم بالاعتراف بإنزال التوراة فقط، بل بإنزال القرآن أيضاً [٢].

ج- في قوله تعالى: ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام:٩١]، دلالة على أنه:

- تعظيم الله واجب، ومن مقتضى تعظيمه الاعتراف بإنزاله الكتب السماوية على أنبيائه، رحمة بعباده، وإصلاحاً لشأنهم [٣]، وترى الباحثة فيه: استشعار المسلم لنعم الله عليه وآلاءه التي لا تعد ولا تحصى، فقد جعل له كتباً تهديه سبل الرشاد، فلم يتركه سبحانه هملاً تتخطفه الأهواء والشهوات، وتتقاذفه الميول والرغبات، بل هيَّأ له من الأسباب ما يُصلِحُ أمره ويسددُ وجهته.
- لا يجوز كتم العلم الديني عن من يهتدي به [٤]، والواجب على العالم إظهار جميع ما علمه من أحكام الله، ويحرم عليه إظهار بعضها، وإخفاء بعضها الآخر [٥]، **ترى الباحثة** أنه على الدعاة والمصلحين أن يستفيدوا من كل ما تعلموه ودرسوه من الأمور الشرعية، في نشر دعوتهم، وتغيير الفساد عند شعوبهم.
- من المؤسف أن هذا القول الذي قاله مشركو مكة في جاهليتهم إنما يقوله أمثالهم في كل زمان بل منهم من يقولونه الآن، ممن يزعمون أن الأديان من صنع البشر، قد تطورت وترقت بتطور البشر في أحوالهم، وكثير من هؤلاء المثقفين على أيد الأجانب، وكثير منهم يحتل مراكز كبيرة في الدول العربية والإسلامية غرتهم الحياة الدنيا، وغرهم الغرور [٦].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٦٣/١٣.

(٢) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، ٤٢٩/٤، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٩٣/٧.

(٤) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين قاسم الحلاق القاسمي، ٤٢٩/٤.

(٥) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٩٣/٧.

(٦) انظر: تيسير التفسير، إبراهيم القطان (ت: ١٤٠٤هـ)، ٤٥٨/١.

٣- قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام:٩٢]، تدل هذه الآيات على:

أ- إن سائر حقائق العقيدة الإسلامية الأساسية جاء بها كل رسول... وصدق الكتاب الأخير(القرآن) ما جاءت به الكتب قبله، إنما تلك الأقوال اثر من آثار الثقافة الأوروبية، التي تزعم أن أصول العقيدة-بما فيها العقائد السماوية- قد تطورت وترقت، بتطور الأقوام وترقيها! وما يمكن أن يدافع عن الإسلام بهدم أصوله التي يقررها القرآن! فليحذر الكتاب والقارئون هذا المزلق الخطير!!! فأما حكمة إنزال هذا الكتاب، فلكي ينذر به الرسول ﷺ أهل مكة -أم القرى- وما حولها [١].

ب- إن كل الكتب السماوية السابقة كانت كتب منهج، وكانت المعجزة منفصلة عن المنهج؛ فمعجزة موسى عليه السلام -كما نعرف- هي العصا، ومنهجه التوراة، وعيسى عليه السلام معجزته إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ومنهجه الإنجيل، فكن رسول الله ﷺ تميز بأن معجزته عين منهجه، لأن كل دين من الأديان السابقة كان لزمن محدود، في مكان محدود، وجاء ﷺ بالدين الجامع المانع، لذلك جاءت المعجزة هي المنهج، لكن الإسلام جاء ليعم كل الأزمنة وكل الأمكنة، ولذلك لزم أن تكون المعجزة مستصحبة للمنهج؛ حتى يستطيع من يأتي بعد عصر النبوة إلى قيام الساعة أن يقول: مُحمد رسول الله تلك معجزته [٢].

ج- القرآن يخاطبنا بأسلوب يحتمله العقل المعاصر، وإذا ما جدّ جديد نجد الأمر مكنوزاً في القرآن، ونجد تأويلاً جديداً لا ينسخ التأويل الآخر ولكنه يرتقي به [٣].

وترى الباحثة: أن هذه الآيات تمنحُ المؤمن الشعورَ بالراحة والطمأنينة، وذلك بمعرفته أن الله ﷻ قد أنزل على كل قوم من الشرائع ما يناسبُ حالهم، ويحققُ حاجتهم، ويهديهم لما فيه صلاحُ أمرهم في الدنيا.

خامساً: منهجيات الإصلاح والتغيير بالإيمان بالكتب السماوية:

١- الإيمان بالكتب السابقة ركن من أركان الإيمان لا يتم الإيمان به [٤].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٤٨/٢.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٧٨٦/٦.

(٣) انظر: نفس المرجع السابق، ٣٧٨٦/٦.

(٤) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٧٤/٥.

٢- الإيمان بالكتب السابقة يؤكد وحدة الرسالات الإلهية، وأن الإسلام جامع لكل الديانات السماوية، والمسلمون أولى الناس جميعاً بقيادة البشرية على نهج الإسلام [١] .

٣- الإيمان بالكتب الإلهية جزء من الإيمان بالقرآن وجزء من الإيمان بأن الله سبحانه هو الهادي، وأن هداية الله لم تنقطع عن البشر، فما من أمة إلا وقد أنزل الله بها هدى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤] [٢] .

٤- المسلم يؤمن أن القرآن قد اشتمل على كل ما سبقه من كتب، وهو سليم من أي تحريف، فالقرآن يصدق بالكتب السابقة، وهو المرجع الوحيد لبيان ما فيها من حق، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨] .

٥- الإيمان بالكتب السابقة ينمي لدى المسلم الشعور بوحدة البشرية ووحدة دينها، ووحدة رسلها، ووحدة مصدرها، وأن الأمة الإسلامية ورثت العقائد السماوية ووحدة النبوات منذ فجر البشرية، والمحافظة على تراث العقيدة وتراث النبوة، ورائدة موكب الإيمان على الأرض إلى أخر الزمان.

المطلب الخامس

الإيمان بالرسل

أولاً: تعريف الإيمان بالرسل:

هو الاعتقاد بأن الرسل صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، الذي أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلّغوا عن الله ورسالاته، وبيّنوا للمكلفين ما أمرهم الله به، وأنه يجب احترامهم، وأن لا يفرّق بين أحد منهم [٣]، وأن تعلم كونهم معصومين عن الذنوب من باب الاعتقاد في أمر التبليغ وفي الفتيا وفي الأخلاق وفي الأفعال كما مر في قصة آدم، وأن بعض الأنبياء أفضل من بعض كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣] [٤].

---

(١) انظر: الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، علي محمد محمد الصلابي، ص ١٧٩، المكتب العصرية للطباعة والنش، ط١.

(٢) نفس المرجع، ص ١٧٩.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ١٦٨/١.

(٤) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ٨٨/٢.

ثانياً: حكم الإيمان بالرسل:

الإيمان بكافة الرسل واجب [١]، وهو الركن الرابع من أركان الإيمان، والإيمان ببعض الرسل وترك البعض هو كفر والعياذ بالله تعالى [٢]، كما فعل اليهود والنصارى [٣]، لأنهم وسائط بين الله وبين عباده [٤]، قال تعالى: ﴿آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

ثالثاً: الرسل في سياق سورة الأنعام:

أ- عدد الأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن خمس وعشرين رسولاً [٥]، وذكرت سورة الأنعام تسعة عشر رسولاً، خصت الآيات كثيراً سيدنا موسى وإبراهيم ومحمد عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٨٣-٨٦]، إن الإنسان مهما ارتقت معارفه لا يمكن أن يصل إلى الكمال الذي يؤهله لنيل السعادة الأبدية إلا إذا اهتدى بهدي النبيين والمرسلين، فإن إرسالهم وإنزال الوحي عليهم وإرشادهم للناس سبب لكل ارتقاء إنساني في حياته الجسمانية والروحية فبذلك تذهب الضغائن والأحقاد من القلوب، ويزول الخلاف والشقاء بين الناس، ويعيشون في وفاق ووئام، فكانت رسالة الرسل أداة تنظيم المجتمع، وواسطة الرقي، وسبيل الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي، والحد من غطرسة الحاكم وظلم الفرد والجماعة، فمن أنكر رسالة الرسل ما عرف الله حق المعرفة، ولا قدره حق قدره [٦]، وترى الباحثة: أن كثرة تعدد الرسل تُشعر مدى احتياج الناس للرسل، ومدى عناية الله بعباده وحبه لهم وحرصه على هداية عباده، فعلى الناس مقابلة بحب الله وطاعته وطاعة رسله.

---

(١) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٢٨١/١.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) انظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ص ١٦٣، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ٨٨/٢.

(٥) أركان الإيمان :على بن نايف الشحود ، ص ١٠٠ .

(٦) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٨٩/٧.

ب- قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ * وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥٠-٥١]، وتشير هذه الآيات إلى عدة أمور مهمة في الرسل منها:

١. أن وظيفة الرسل هي التبليغ: ويكون بالتبشير والإنذار، قال تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام:٥٠] (١)، أي بالترغيب والترهيب، قال الحسن البصري: مبشرين بسعة الرزق في الدنيا والثواب في الآخرة يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]، والإنسان وحده هو الذي يسجل لنفسه ما يستحق من نعمة أو نقمة، فإذا آمن بالله ربّا وأصلح عمله، حظي بالأمان والسعادة والسرور، وإذا كذّب بآيات الله المنزلة على رسله، مسّه العذاب بكفره وفسقه (٢)، **وترى الباحثة** أنه في ذلك بيان عظيم عناية الله تعالى بعباده حيث أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم يبينون لهم آياته وشريعته، ويبشرونهم بجزيل الثواب لمن آمن بهم، وينذرون من كفر بهم سوء العقاب.

٢. ينفي عن الرسول بقول الحق جل وعلا ثلاثة أشياء: منها شيئان ينفيان الألوهية عن الرسول ﷺ، وهي ملكية خزائن الكون، وعلم الغيب، وشيء ثالث وهو أنه ليس مَلَكاً، إنما يمشي في الأسواق ويتكسب العيش بالعمل، والملك لا يفعل ذلك فهو في حقيقة الأمر من البشر (٣)، والفائدة من نفي هذه الأحوال: إظهار الرسول تواضعه لله وعبوديته له، رداً على اعتقاد النصارى في عيسى عليه السلام، وإظهار عجزه عن الإتيان بالمعجزات المادية القاهرة القوية، فهذا من قدرة الله اللائقة به، ويعني ذلك أنه لا يدعي الألوهية ولا الملكية (٤)، **وترى الباحثة** أن في ذلك إمكان بلوغ البشر درجات عالية في القرب من الله تعالى بالطاعة، لأن المرسلين إليهم هم من جنسهم.

٣. شفاعة الرسول تكون بإذن الله فهو الشفيع حقيقة، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٥٦/٧.

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٠٦/٧.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٦٤٢/٦.

(٤) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢١٠/٧.

أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ:٢٣] [١]، **وترى الباحثة** أن في ذلك محبة الرسل، والثناء والصلاة والسلام عليهم، والدعاء لهم.

٤. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام:٣٥]، وتدل الآيات على أنه كل معجزة تظهر على يد نبي أو رسول تكون بإرادة الله وإذنه، ولولا ذلك لما حدثت ، أمر الهداية مرجعه إلى الله، فلو شاء لهدى الناس جميعاً، وترى الباحثة فيه رسالة للمصلحين ألا يحزنوا على كفر العصاة وعدم الاستجابة لهم [٢] .

رابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير من خلال الإيمان بالرسل:

١- الإيمان بالرسل واجب، وهو الركن الرابع من أركان الإيمان [٣].

٢- إن إرسال الرسل ضرورة من ضروريات إصلاح العبد في معاشه ومعاده، حيث إنه باتباعهم يجلب لنفسه ما ينفعه ويدفع عن نفسه ما يضره في دنياه وآخرته [٤] .

٣- بإرسال الرسل يصلح الله الأمم أو يغير ما بأنفسهم.

٤- الإيمان بالأنبياء والرسل يجعل الأمة الإسلامية تشهد على باقي الأمم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣][٥] .

٥- معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة عن طريق ما جاء به الرسل عليهم السلام.

٦- بيان عظيم عناية الله تعالى بعباده حيث أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم يبينون لهم آياته وشريعته، ويبشرونهم بجزيل الثواب لمن آمن بهم، وينذرون من كفر بهم سوء العقاب.

٧- بيان إمكان بلوغ البشر درجات عالية في القرب من الله تعالى بالطاعة، لأن المرسلين إليهم هم من جنسهم [٦] .

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٤٣٠/٦.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ١٨٨/٧.

(٣) انظر: نفس المرجع السابق، ١٦٨/١.

(٤) انظر: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الأنفال والتوبة، إعداد: عبد المؤمن إبراهيم محمد الفقي، إشراف الأستاذ الدكتور زكريا الزميلي، ص ٢٢٩.

(٥) انظر: نفس المرجع، ص ٢٢٩.

(٦) أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود، ص ١٣٣.

٨- محبة الرسل، والثناء والصلاة والسلام عليهم، والدعاء لهم على ما تحمّلوه من أذى أقوامهم، وما صبروا عليه من مشقات الدعوة، والاقتداء والتأسّي بهم في ذلك، ومتابعتهم على نهجهم وسنتهم، وسيرتهم ودعوتهم إلى الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] (١) .

المطلب السادس

الإيمان باليوم الآخر

أولاً: تعريف الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر:

هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت، والحشر والنشر من القبور، والحساب والميزان، والصراط، والجنة والنار، وأنهما دار ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين(٢)، وأن من أحسن فله النعيم المقيم، ورضوان من الله أكبر، وأن من خالف وغير وبدل فجزاؤه جهنم، وبئس المصير، وإن ذلك كله مادي حسي، وليس روحياً كما توهم بعض الكاتبين (٣).

ثانياً: حكم الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر واجب، وهو الركن الخامس من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] ، وهو أصل الدين، ومن آمن بها آمن بالقرآن (٤)، والكفر باليوم الآخر هو طريق الضلال البعيد، الذي لا يستطيع التائه الضال إذا سار فيه أن يعود إلى الحق، إذ كلما أصر على الكفر باليوم الآخر ضل في فهم معنى الحياة، وبذلك ينزل إلى مرتبة الحيوان الذي لا يعرف أنه موجود لغاية، وأن له نهاية هي ابتداء لحياة أفضل

---

(١) أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود ، ص ١٣٣.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ١٦٨/١.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٥١٩/١.

(٤) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٩٤/٧.

وأبقى، ومن ظن ألا حياة إلا هذه الحياة الفانية، فهو يلهو ويلعب، ويعيث ويفسد، ولا ينتقل من ضلال إلى إلا ضلال، لا يهتدي بهدى، ولا يسترشد بإرشاد [١]، والذين ينكرون الآخرة اليوم لأنها "غيب" إنما هم الجهال الذين يدعون العلم [٢].

ثالثاً: الإيمان باليوم الآخر في سورة الأنعام:

١- **دليل اليوم الآخر:** قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢] ، هذه الآية دليل من أدلة اليوم الآخر، وهو أن يكون المقصود من هذا الكلام تقرير أمر المعاد، فنقول لما ثبت أن تخليق بدن الإنسان إنما حصل، لأن الفاعل الحكيم والمقدر الرحيم، رتب حلقة هذه الأعضاء على هذه الصفات المختلفة بحكمته وقدرته، وتلك القدرة والحكمة باقية بعد موت الحيوان فيكون قادراً على إعادتها وإعادة الحياة فيها[٣] وإنَّ القادر على فعل الشيءِ ابتداء و إيجاده من العدمِ لا يعجزه أن يعيدَ ذلك الشيء بعد عدم وذلك يدل على صحة القول بالمعاد [٤] .

٢- **أثر الإيمان باليوم الآخر على المسلم:** قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام:٩٢] ، وتدل الآيات على ما يلي [٥]:

أ- أن الذي يؤمن بالآخرة هو الذي يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب، ومن كان كذلك فإنه يعظم رغبته في تحصيل الثواب، ورهبته عن حلول العقاب، ويبالغ في النظر والتأمل في دلائل التوحيد والنبوة، فيصل إلى العلم والإيمان.

ب- أن دين محمد ﷺ مبني على الإيمان بالبعث والقيامة، وليس لأحد من الأنبياء مبالغة في تقرير هذه القاعدة مثل ما في شريعة محمد ﷺ، فلهذا السبب كان الإيمان بنبوة محمد ﷺ وبصحة الآخرة أمرين متلازمين، وهم على صلاتهم يحافظون والمراد أن الإيمان بالآخرة كما يحمل الرجل على الإيمان بالنبوة، فكذلك يحمله على المحافظة على الصلوات، وترى الباحثة: أن الإيمان بالآخرة يحمل على كل الطاعات.

٣- **تهديد ووعيد لمنكري البعث:** قال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام:١٣٤] .

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ١٩٠٥/٤.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠٧٣/٢.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٤٨٠/١٢.

(٤) الإيمان بيوم القيامة وأهواله : علي بن نايف الشحود ، ص ٢.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٦٦/١٣.

أ- إن البعث يكون بعده الحشر والحساب، ثم العقاب أو الثواب [١].

ب- الجملة مؤكدة بمؤكدين: إن، واللام، للرد على منكري البعث [٢].

ترى الباحثة أنه في هذه الآية تضمنت إنذارين في الدنيا لتصحيح الأعمال بالتهديد بعذاب الاستئصال، وإنذاراً في الآخرة للرهبة من الحساب وعذاب النار.

ولا شك بأن المصير مختلف بين أهل الطاعة وأهل المعصية، فالعاقبة الحسنة المحمودة لمن آمن بالإسلام وأطاع الله، والمصير المشؤوم لمن كفر بالله وعصاه ورفض أوامره وتحدى رسله.

رابعاً : منهجيات الإصلاح والتغيير في الإيمان باليوم الآخر:

١- من صدق بالآخرة خاف العاقبة، وحرص على العمل الصالح الذي ينفعه [٣]، أما الذي لا يؤمن بالآخرة فلا يسمع ولا ينصاع ولا ينقاد لك حين تأمره لأنه لا يرى ثواباً أو عقاباً ولا ينتهي عن السرقة، أو الكبر، أو الموبقات جميعاً؛ لأنه لا يخاف من الآخرة، فمن يؤمنون بالآخرة هم كل واحد يريد أن ينجي نفسه من العقاب، ومن الوعيد، ويدخل نفسه في الوعد وفي الثواب، فمثلاً – ولله المثل الأعلى – حين نقول للولد: اذهب لتلقي العلم، قد يرد: أنا لا أريد شهادة، فيجبره والده في البداية أن يستذكر، ثم نجد الشاب بعد مشوار المذاكرة يخاف من الرسوب، وأن عليه أن يجتهد وأن ينجح، أما إن لم يوجد امتحان في آخر العام، فالمذاكرة وعدمها سواء لديه، فمن أقرب – إذن – إلى الاستجابة لنداء العدل والخير؟ إنه من يؤمن بالآخرة [٤].

٢- لن يذهب أحدٌ لتعاليم القرآن ليأخذها وينفذها إلا من يؤمن بأن هناك يوماً نذهب فيه جميعاً إلى الآخرة [٥].

٣- الإيمان بالآخرة سبب لكل خير، والكفر به لكل باطل وشر [٦].

٤- كل من آمن بالبعث والمعاد وقيام الساعة أو اليوم الآخر يؤمن ويصدق بصحة القرآن الكريم الذي أنزل على محمد، وهؤلاء المؤمنون هم الذين يحافظون على صلواتهم، أي يقيمون

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، ٢٦٨١/٥.

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٥٠/٨.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٢٤/٥.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٧٨٩/٦.

(٥) انظر: نفس المرجع السابق، ٣٧٨٨/٦.

(٦) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٩١/٢.

ما فرض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها، ويسرعون إلى كل أمر آخر أمروا به [١].

٥- إن الذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بالحق والخير؛ لأنهم يرون أن الحياة الدنيا فيها التنازع بين الخير والشر، بين النفس اللوامة، والنفس الأمارة، ولا بد أن ينتصر الخير، لأنه الفطرة، ولا يكون ذلك إلا بحياة أخرى، ولأن الذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بحكمة الإيجاد والتكوين، ولا يمكن أن تكون نتيجة الحياة النهائية هي تلك المغالبة وذلك التفاخر [٢].

٦- إن الإيمان بالغيب يجعل النفس مستسلمة لله تعالى راضية بما عنده، وما أعده لها من نعيم[٣].

٧- كل جزئية في النظام الإسلامي منظور فيها إلى حقيقة الحياة الآخرة، وما تنشئه في التصور من سعة وجمال وارتفاع، وما تنشئه في الخلق من رفعة وتطهر وسماحة، ومن تشدد في الحق، وتحرج وتقوى وما تنشئه في النشاط الإنساني من تسديد وثقة وتصميم، من أجل ذلك كله لا تستقيم الحياة الإسلامية بدون يقين في الآخرة، ومن أجل ذلك كله كان هذا التوكيد في القرآن الكريم على حقيقة الآخرة [٤] .

المطلب السابع

الإيمان بالقضاء والقدر

أولاً: تعريف القضاء والقدر:

١- **تعريف القضاء:** عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحـوال الجاريـــة في الأزل إلى الأبد، وفي اصطلاح الفقهاء: القضاء: تسليم، مثل الواجب بالسبب [٥].

٢- **تعريف القدر:** هو التصديق بأن الله تعالى قدّر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ﷻ، وحاصل الإيمان بالقدر ما دل عليه قوله تعالى: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصَّفات:٩٦] ، وقوله: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩]، ونحو ذلك، والله تعالى خلق الخير والشر، وقدر مجيئه إلى العبد في أوقات معلومة، يكون الإنسان فيها هو

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٩٢/٧.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٥٩٠/٥.

(٣) انظر: نفس المرجع السابق، ٢٥٩٠/٥.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠٧٠/٢.

(٥) انظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ص١٧٧، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

المختار لما يعمله أو يتركه [1]. أو " ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه – عز وجل – قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها " [2].

وترى الباحثة أنه يمكن أن يعرف القضاء والقدر تعريفاً مختصراً فيقال: هو علم الله بالأشياء، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لها.

ثانياً: الإيمان بالقضاء والقدر في سياق سورة الأنعام:

بعد دراسة الباحثة لآيات سورة الأنعام وجدت الباحثة أن الآيات كثيرة تذكر مراتب القضاء والقدر وهي أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد [3]، ومن هذه الآيات:

المرتبة الأولى: مرتبة علم الله الشامل لجميع الأشياء: قال تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [الأنعام:٥٩] ، وتشير هذه الآية إلى عدة أمور:

أ- **يقصد مفاتيح الغيب:** أي خزائن غيب السموات والأرض والأرزاق والأقدار [4]، وأن رسول الله ﷺ قال: (**مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [لقمان:٣٤] [5]).

ب- في قوله تعالى: ﴿**فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [الأنعام:٥٩] ، تدل أن الله جل ثناؤه أثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق كما قال ﷻ: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ**

---

(١) انظر: الوسيط ، الزحيلي، ١٦٩/١.

(٢) القضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ص ٢١، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١٣، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، بتصرف يسير.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٥٥.

(٤) انظر: النكت في العيون، الماوردي، ١٢١/٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾ [الأنعام:٥٩] ، برقم (٤٦٢٧).

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد:٢٢] [١].

ج- وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها [٢].

د- إن هنالك سنناً ثابتة لهذا الكون يملك "الإنسان" أن يعرف منها القدر اللازم عليه، حسب طاقته وحسب حاجته، للقيام بالخلافة في هذه الأرض، وقد أودعه الله القدرة على معرفة هذا القدر من السنن الكونية وعلى تسخير قوى الكون وفق هذه السنن للنهوض بالخلافة، وتعمير الأرض، وترقية الحياة، والانتفاع بأقواتها وأرزاقها وطاقاتها، وإلى جانب هذه السنن الثابتة – في عمومها- مشيئة الله الطليقة لا تقيدها هذه السنن وإن كانت من عملها.

وهناك قدر الله الذي يُنفذ هذه السنن في كل مرة تنفذ فيها، فهي ليست آلية بحتة، فالقدر هو المسيطر على كل حركة فيها وإن جرت وفق السنة التي أودعها الله إياها، وهذا القدر الذي يُنفذ هذه السنن في كل مرة تنفذ فيها غيب لا يعلمه أحد علم يقين وأقصى ما يصل إليه الناس هو الظنون والاحتمالات، وهذا ما يعترف به العلم البشري أيضاً وإن جريان القدر بهذا أو ذاك غيب من غيب الله، لا سلطان لأحد عليه إلا الله [٣].

المرتبة الثانية: مرتبة كتابه المحيط بجميع الموجودات: قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنعام:٣٨] ، في هذه الآية دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر[٤]، **وترى الباحثة:** أن المؤمن بالقدر يعلم أن ما به من نعمة فهي من الله وحده، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة، فيبعثه ذلك على إفراد الله بالشكر؛ فإذا نزل به ما يحب شكر الله عليه؛ إذ هو المنعم المتفضل، وإذا نزل به ما يكرهه شكر الله على ما قدَّره عليه.

المرتبة الثالثة: مرتبة مشيئته وقدرته النافذة لكل شيء: وهذه المرتبة ركزت عليها كثيراً سورة الأنعام وهي كالآتي:

أ- قال الله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام:١٤٨] ، وتدل الآيات على أن الإيمان بالقدر معلوم بالفطرة قديماً وحديثاً، ولم ينكره إلا الشواذُّ من المشركين من الأمم، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره،

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، أبو بكر الرازي، ١٢/١٣.

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٦٥/٢.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١١٩/٢.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٥٥.

وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح؛ ولهذا قال ﷻ عن المشركين: قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] (١)، فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنهم احتجوا بها على الشرك، ثم بيَّن ﷻ أن هذا هو شأنُ من كان قبلهم، فقال: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام:١٤٨] ، وكانت العرب في الجاهلية تعرف القدر ولا تنكره، ولم يكن هناك من يرى أن الأمر مستأنف، فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر على شركهم، ولو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحاً ما أذاقهم الله بأسه، ولهذا قال الله لهم: ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي هل عندكم دليل صحيح، فتخرجوه لنا؛ لننظر فيه، ونتدبره.

والمقصود من هذا التبكيت لهم؛ لأنه قد عَلِم أنه لا عِلْم عندهم يصلح للحجة، ويقوم به البرهان، ثم أوضح لهم أنهم ليسوا على شيء من العلم، وأنهم إنما يتبعون الظنون، التي هي محل الخطأ، ومكان الجهل (٢).

ب- قال تعالى: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١] ، ودلّ قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ [الأنعام:١١١] على أنه تعالى ما شاء منهم الإيمان، فهم لا يؤمنون إلا أن يشاء الله إيمانهم (٣) ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء هي مرتبة من مراتب القضاء والقدر، وأهل السّنّة يقولون: "وصف الله الكفار بأنهم يجهلون بأن الكل من الله وبقضائه وقدره" (٤).

ج- قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢] ، وقال أهل السّنّة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢]: وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكلّ نبيّ عدوّ من الشياطين (٥)، وآيات أخرى قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام:٣٥] ، وفيه: أن المؤمن بالقدر يعلم أن الأمر أمر الله، وأن الملك ملكه، وأن ما شاءه الله كان، وما لم يشأه لم يكن، لا راد لفضله، ولا معقب لحكمه، فيقوده ذلك إلى إخلاص العمل لله، وتصفيته من كل شائبة تشوبه (٦).

---

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، ٧٩/٥.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني، ٢١٦/٢.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١١/٨.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١١٧/١٣.

(٥) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٠/٨.

(٦) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٩٣/٢.

المرتبة الرابعة: مرتبة خلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد: من الآيات الدالة عليها، قال تعالى: ﴿**الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ [الأنعام:١] ، أن رجلاً أتى أبي بن كعب، فسأله عن القدر، فقال: سبحان الله العظيم، إن الله خلق السموات والأرض، وخلق الخير والشر، وأسعد بالخير من شاء، وأشقى بالشر من شاء [(١)]، ويوضح سيد قطب رحمه الله عن خلق الإنسان وفق قدر الله كباقي المخلوقات بقوله: "يعطي وجوده وخلقه ابتداء بمشيئة الله، لا بمشيئته هو ولا بمشيئة أبيه وأمه: فهما يلتقيان ولكن لا يملكان أن يعطيا جنيناً وجوده! وهو يولد وفق الناموس الذي وضعه الله لمدة الحمل وظروف الولادة! وهو يتنفس هذا الهواء الذي أوجده الله بمقاديره هذه ويتنفسه بالقدر وبالكيفية التي أرادها الله له، وهو يحس ويتألم، ويجوع ويعطش، ويأكل ويشرب.. وبالجملة يعيش .. وفق ناموس الله، على غير إرادة منه ولا اختيار .. شأنه في هذا شأن السموات والأرض سواء، والله ﷻ يعلم سره وجهره، ويعلم ما يكسب في حياته في سره وجهره"[(٢)].

ثالثاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في الإيمان بالقضاء والقدر:

١- بالإيمان بالقضاء والقدر يعرف الإنسان قدر نفسه، فلا يتكبر ولا يبطر ولا يتعالى أبداً، لأنه عاجزٌ عن معرفة المقدور، ومستقبل ما هو حادث، ومن ثم يقر الإنسان بعجزه وحاجته إلى ربه تعالى دائماً، وهذا من أسرار خفاء المقدور، قال تعالى: ﴿**لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [الحديد:٢٣] [(٣)].

٢- الإيمان بالقضاء والقدر يطرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول مكروه؛ لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السموات والأرض، وهو كائنٌ لا محالة، فيصبر على ذلك ويحتسب الأجر [(٤)].

٣- الإيمان بالقضاء والقدر من أكبر الدواعي التي تدعو إلى العمل والنشاط والسعي بما يرضي الله في هذه الحياة، ومن أقوى الحوافز للمؤمن لكي يعمل ويقدم على عظائم الأمور بثبات وعزم ويقين.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، ١٢٥٩/٤، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠٣١/٢.

(٣) انظر : أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود، ص ١٤١ بتصرف يسير.

(٤) انظر : نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة.

٤- المؤمن بالقضاء والقدر دائماً على حذر: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩] ، فقلوب العباد دائمة التقلب والتغير، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والفتن التي توجه سهامها إلى القلوب كثيرة، والمؤمن يحذر دائماً أن يأتيه ما يضله كما يخشى أن يختم له بخاتمة سيئة، وهذا لا يدفعه إلى التكاسل والخمول، بل يدفعه إلى المجاهدة الدائبة للاستقامة، والإكثار من الصالحات، ومجانبة المعاصي والموبقات، كما يبقى قلب العبد معلقاً بخالقه، يدعوه ويرجوه ويستعينه، ويسأله الثبات على الحق، كما يسأله الرشد والسداد [١].

٥- الإيمان بالقدر يغرس في نفس المؤمن حقائق الإيمان المتعددة، فهو دائم الاستعانة بالله، يعتمد على الله، ويتوكل عليه مع فعل الأسباب، وهو أيضاً دائم الافتقار إلى ربه – تعالى – يستمد منه العون على الثبات، ويطلب منه المزيد، وهو أيضاً كريم يحب الإحسان إلى الآخرين، فتجده يعطف عليهم [٢] .

٦- الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تعصف بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بين المؤمنين، وذلك مثل رذيلة الجسد، فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لأنه هو الذي رزقهم وقدّر لهم ذلك، وهو يعلم أنه حين يحسدُ غيره إنما يعترض على المقدور.

٧- مواجهة الصعاب والأخطار بقلب ثابت: إذا آمن العبد بأن كل ما يصيبه مكتوب، وآمن أن الأرزاق والآجال بيد الله، فإنه يقتحم الصعاب والأهوال بقلب ثابت وهامة مرفوعة، وقد كان هذا الإيمان من أعظم ما دفع المجاهدين إلى الإقدام في ميدان النزال غير هيابين ولا وجلين، وكان الواحد منهم يطلب الموت في مظانه، ويرمي بنفسه في مضائق يظن فيها هلكته، ثم تراه يموت على فراشه، فيبكي إن لم يسقط في ميدان النزال شهيداً، وهو الذي كان يقتحم الأخطار والأهوال [٣].

وأخيراً **ترى الباحثة** أن المؤمنين بالقضاء والقدر لهم دور في الإصلاح والتغيير حيث إنه يهب صاحبه ثباتاً ورسوخاً في مقاومة الباطل ومواجهة الظلم والطغيان، وإنكار المنكر، لا يهاب فرعوناً متألهاً ولا طاغوتاً متجبراً، وذلك أن الناس عادة يخافون على أمرين نفيسين عندهم وهما: العمر والرزق، والعمر محتوم، والرزق مقسوم، ولهذا وقف المؤمنون في وجه الطغاة والجبارين، ولم يعبئوا بجبروتهم، ولم يهنوا أمام قوتهم، وطغيانهم، وفي عصرنا رأينا العلماء والدعاة

---

(١) انظر : القضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ص ١١١، بتصرف يسير .

(٢) أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود، ص ١٤٧.

(٣) القضاء والقدر، عمر الأشقر، ص ١١١-١١٢.

الشامخين يواجهون المستعمرين، وأذناب المستعمرين من الملوك والرؤساء، لا يبالون بما يصيبهم في سبيل الله .

المطلب الثامن

مصير الكفار يوم القيامة

إن الله هو الخالق المالك المتصرف في هذا الكون، وإن الإنسان خلق من خلقه، وسخر له جميع ما في الكون، وشرع له شرعه، وأمره باتباعه، فإن آمن وأطاع ما أمر به، وانته عم نهاه عنه، فاز بما وعده الله به في الدار الآخرة من النعيم المقيم، وسعد في الدنيا بما يمن عليه من أصناف النعم، وكان متشبهاً بأكمل الخلق عقولاً، وأزكاهم نفوساً، وهم الأنبياء والمرسلون والصالحون والملائكة المقربون، وإن كفر وعصى ربه، خير دنياه وآخرته، وتعرض لمقته وعذابه في الدنيا والآخرة، وكان متشبهاً بأخبث الخلق، وأنقصهم عقولاً، وأحطهم نفوساً من الشياطين والظلمة والمفسدين والطواغيت، هذا على سبيل الإجمال، وستبين الباحثة مصير الكفار يوم القيامة على وجه التفصيل في سورة الأنعام وهي:

أولاً: توبيخٌ وتهكُّم:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام:٢٢] ، تذكر الآيات صورةٍ حيَّةٍ من صورِ القيامةِ ومشهدٍ من مشاهدِ الحشر حيث يخبر الله تعالى عن مآل أهل الشرك يوم القيامة، وأنهم يسألون ويوبخون فيقال لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (١)، حين يُعرض أولئك المُعرِضون المتعنتون المكابرون على ربهم، ويمثلون أمام المحكمة الإلهية العادلة، لا يتخلّف منهم أحد.

ثانياً: براءةٌ وحسرة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣] ، أي لم يكن حبهم للأصنام وإعجابهم بها واتباعهم لها لما سئلوا عنها ووقفوا على عجزها إلا التبرؤ منها والإنكار لها (٢)، أو لم يكن جوابهم إلا الكذب على الله طمعاً في النجاة بأي وسيلة (٣).

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٤٦٨/٥.

(٢) انظر: البحر المحيط، أبي حيان، ٤٦٥/٤.

(٣) انظر: روح المعاني، للألوسي، ٢٧٦/٥.

قال مجاهد: إذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله ﷺ للمؤمنين قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فإذا قال لهم الله: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم [1].

ثالثاً: خزي وندامة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧] ، أي لو ترى أيها الرسول أو أيها السامع بعينيك هؤلاء الضالين المكذبين إذ تقفهم ملائكة العذاب على النار فيقفون عندها مشرفين عليها من أرض الموقف وهي هاوية سحيقة أو مقصورين عليها لا يتعاونها، أو يقفون فوقها على الصراط، وترى ما يحل بهم حينئذ وما يكون من أمرهم، ومن ندمهم على كفرهم، ومن حسرتهم وتمنيهم ما لا ينال لرأيت أمراً عظيماً لا تدركه العبادة ولا يحيط به الوصف، فإن أول شيء يقع حينئذ في قلوبهم، ويسبق التعبير عنه إلى ألسنتهم، هو الندم على ما سلف منهم، وتمني الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا، وألا يكذبوا بعد عودتهم إليها بآيات ربهم كما كذبوا من قبل، وأن يكونوا من المؤمنين بما جاء به الرسول [2].

رابعاً: الاعتراف والإقرار بذنبهم:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٣٠] ، وتدل هذه الآيات تقرير واقعي لحال من وقع في قبضة الحاكم الذي يقضي في جريمته، وإذا كان الغالب على حال المتهمين الإنكار بين يدي قاضي الدنيا، فإن المتهم إذا لم يجد مفراً من الإقرار بجريمته، بادر إلى الاعتراف بكل ما عمل.

وهكذا شأن الكفار والمشركين إذا قدموا للحساب بين يدي الله، أدركوا ألا فائدة من الإنكار، وحينئذ إذا سئلوا عن البعث والمعاد، أقسموا بالله أنه حق ثابت، فيكون الحكم الصادر في حقهم تنفيذ العقاب المقرر عليهم، جزاء وفاقاً على كفرهم [3].

خامساً: الخسران الأعظم:

قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ﴾ [الأنعام:٣١] ، بين الله ﷻ في هذا النص أن الذين يكذبون باليوم الآخر تصيبهم خسارة، وخسرانهم **أولاً:** لأنهم يفقدون العزاء الروحي الذي

---

(١) انظر: الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ٥٤٣/٢، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٤٩٧/١.

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٩٣/٧.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٧٩/٧.

يصيب كل إنسان مما يعاني في الحياة، فلو كانت الحياة الدنيا لا حياة بعدها يكون الشقاء النفسي المقيم لكل من يصيبه ألم فيها، أو يقع في نفسه أنه في شقاء لأنها فيها السعادة في زعمه، **وثانياً:** يفقد الإنسانية، إذ يكون كالحيوان الذي يأكل ليعيش، ويعيش ليأكل فيفقد كل المعنويات العالية، **ثالثاً:** لأنه يرتع في الشهوات الموبقة، ورابعاً: يكون في تناحر مستمر، إذ لا يخشى الله ولا يرهب عقابه، وأخيراً يخسر بتلقي العذاب الذي يقع عليه يوم تقوم القيامة، وفيه ترغيب في الإيمان باللقاء، وترهيب من تكذيبه، وإنهم إذ يكذبون يستمرون في ضلالهم حتى تجيئهم الساعة بغتة أو فجأة من غير أن يكونوا على أهبة لها [(١)]، تفسر الخسارة هنا: بأن كل رأس مال يحتاج إلى عمل يزيده، لكن أن يكون العمل قد أضاع المال، فهذا يعني الخسارة مرتين، مرة لأن رأس المال لم يبق عند حده بل إنه قد فنى وذهب وضاع، وثانية لأن هناك جهداً من الإنسان قد ضاع وأضاع معه رأس المال[(٢)]، والسبيل الأصلح لعدم الوصول إلى هذا الموقف العصيب، ترى الباحثة أن لا يغتر أي إنسان بهذه السعادات الجسمانية التي هي من عند الله، ولا يكتفي بهذه الخيرات العاجلة، بل يسعى في إعداد الزاد ليوم المعاد لكي لا يحصل له الخسران.

سادساً: حمل الأوزار العظيمة على ظهورهم:

قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾ [الأنعام:٣١] ، إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله شيء هو أحسن الأشياء صورة وأطيبها ريحاً ويقول: أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم فذلك قوله: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**﴾ [مريم:٨٥] ، قالوا ركبانا وإن الكافر إذا خرج من قبره استقبله شيء هو أقبح الأشياء صورة وأخبثها ريحاً فيقول: أنا عملك الفاسد طالما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك اليوم فذلك قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم [(٣)].

ترى الباحثة في أن كمال السعادة في الإقبال على الله تعالى والاشتغال بعبوديته والاجتهاد في حبه وخدمته وأيضاً في الانقطاع عن الدنيا وترك محبتها.

سابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير عند معرفة مصير الكافر يوم القيامة:

١- على النفس المسلمة طاعة الله والمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى والاستغفار، فهما المنجيان من عذاب الله.

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٤٨٠/٥.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٥٨٤/٦.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٥١٤/١٢، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٥٠٠/١.

٢- على المصلحين أن ينهوا العصاة وأن يحذروهم من أن يكون مصيرهم مثل مصير هؤلاء المشركين.

٣- إن الناظر إلى حال أكثر الأمة يراها قد نسيت هذا اليوم، فتمتعت بمتاع هذه الدنيا الفانية، والتي قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرَّحمن:٢٦] ، وأهملت طاعة ربها، لذلك على الإنسان أن يتفكر في هذا اليوم، وفي هذه اللحظات، وأن يحسب لها حساباً صعباً، لذلك جاءت هذه السورة فبينت هذه المنهجية التي هي في غاية الأهمية، فإن الإنسان أمام فرص كثيرة لكي يصلح نفسه، ويغيرها إلى الأفضل، فبذلك يفوز بالنعيم المقيم يوم القيامة، وذلك الجنة، وإذا أصر الإنسان على عصيانه، وعلى فجوره فإن مآله يوم القيامة الخسران [١] .

٤- لا بد على الإنسان أن يعتبر بحال ومصير الكفار قبل أن يكون هو عبرة لغيره.

المطلب التاسع

مظاهر قدرة الله تعالى

لقد احتوت سورة الأنعام على محاجة المشركين، وإثبات الألوهية له ﷻ؛ لذلك اشتملت على آيات كثيرة تدل على قدرته؛ لتدعوا المشركين إلى الرجوع إلى الله ومن الآيات التي تدل على قدرة الخالق ﷻ:

أولاً: القدرة الإلهية على خلق السموات والأرض والإنسان والبعث:

قال تعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١-٣]، فإن الآيتين المتقدمتين ١-٢، يدلان على كمال القدرة الخالق تعالى [٢].

١- قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أخبر عن قدرته وعمله وإرادته فقال: الذي خلق أي اخترع وأوجد وأنشأ وابتدع، فرفع السماء بغير عمد وجعلها مستوية من غير أود، وجعل فيها الشمس والقمر آيتين، وزينها بالنجوم، وأودعها السحاب، والغيوم علامتين، وبسط

---

(١) منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي المؤمنين والنور، دراسة موضوعية، إعداد: جهاد محمد إسحاق شراب، إشراف د. جمال محمود محمد الهوبي، ص ٤١، الجامعة الإسلامية – غزة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٤٨١/١٢.

الأرض، وأودعها الأرزاق والنبات، وبث فيها من كل دابة آيات، وجعل فيها الجبال أوتادا وسبلاً فجاجا وأجرى فيها الأنهار والبحار وفجر فيها العيون من الأحجار دلالات على وحدانيته، وعظيم قدرته وأنه هو الله الواحد القهار وبين بخلقه السموات والأرض أنه خالق كل شيء [١]، لكن من التقدم العلمـي الهائل فسوف يظل خلق السموات والأرض سراً يعجزُ عن إدراكه العلماء مهما تقدموا ومهما تعمقوا في البحوث والدراسات [٢].

٢- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢] ، إن الله خلق آدم من الطين كما خلق سائر الأحياء التي في هذه الأرض بل خلق كل فرد من أفراد البشر من سلالة من طين، فإن بنية الإنسان مكونة من الغذاء ومن ذلك البويضات التي في الأنثى والحيوان المنويّ الذي في الذكر فكلها مكونة من الدم، والدم من الغذاء، والغذاء من نبات الأرض أو من لحوم الحيوان المتولدة من النبات فالمرجع إلى النبات من الطين، والناظر في كل هذا يعلم جلياً أن القادر على كل هذا لا يعجزه أن يعيد هذا الخلق كما بدأه عند انقضاء آجاله التي قضاها له في أجل آخر يضر به لهذه الإعادة بحسب علمه وحكمته [٣]، وفي خلق الإنسان من طين دليل على قدرة الله ﷻ وإبداعه في صنعه [٤].

٣- قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣] ، إن المقصود من الآية المتقدمة إقامة الدليل على وجود الصانع القادر المختار، وبيان كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات، وتدل على كمال العلم وحينئذ يكمل العلم بالصفات المعتبرة في حصول الإلهية [٥].

ثانياً: القدرة الإلهية على الإنجاء من الظلمات:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ * قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٦٣-٦٧]، فالآية الكريمة تسوق للناس مظهراً من مظاهر قدرة الله وتبرهن

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٨٤/٦.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، أحمد الشرقاوي، ص١٥.

(٣) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ٧٢/٧.

(٤) انظر: التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، أحمد الشرقاوي، ص١٥.

(٥) انظر: مفاتح الغيب، الرازي، ٤٨١/١٢.

لهم على صحة البعث وهي القدرة الإلهية على الإنجاء من الظلمات حيث يمتن الله تعالى على عباده في إنجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر، أي الحائرين التائهين المتعرضين لأهوال المخاطر والمخاوف في البر والبحر، فحينئذ لا يجدون ملجأ غير الله يدعونه علانية وسراً، بخشوع وخوف واستغاثة وضراعة وتذلل حال كونهم يقسمون: لئن أنجاهم الله من هذه الشدائد والظلمات أو الضائقة التي وقعت بهم، ليكونوا من شاكري النعمة، المقرين بتوحيد الله، المخلصين له العبادة، دون إشراك [1].

وقدرة الله تعالى شاملة لجانبي الرحمة والفضل، والعذاب والعقاب، فهو قادر على إمداد خلقه بمختلف أنواع السعة والرزق والسلامة والنجاة، كما أبان في الآيات السابقة، وهو قادر أيضاً على إنزال مختلف أنواع العذاب كما ذكر في هذه الآيات، ومثل العذاب من فوق الرجم بالحجارة والطوفان والصيحة والريح كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح، ومثل العذاب من تحت الزلزال والبركان، والخسف والرجفة كما فعل بقارون وأصحاب مدين، ومثل العذاب الشديد الدائم: أن يخلط عليكم الأمر، فيفرق صفوفكم، ويجعلكم مختلفي الأهواء، ويفرق بين الأمراء على طلب الدنيا، وإيقاع الحرب والقتل في الفتنة.

والآية عامة في المسلمين والكفار، وقد تحقق كل ذلك في الوجود، فاستولى العدو على ديارنا وأنفسنا وأموالنا، واستولت الفتنة علينا بقتل بعضنا بعضا، واستباحة بعضنا أموال بعض، وما أسوأ حال العرب والمسلمين منذ تخلّوا عن تعاليم دينهم، وأصبحوا تبعاً للأعداء، وجسّدوا فيما بينهم الفرقة والخلاف.

وأما مصير الذين كذبوا بالقرآن، وهو القصص الحق، فليس أمرهم منوطاً بنبي الله، فما هو إلا منذر وقد بلّغ ما أمره به ربه، وإنما أمرهم راجع إلى الله، ولكل إنذار وقت، ولكل خبر حقيقة، ولكل شيء وقت يقع فيه من غير تقدّم وتأخر، وهذا شامل للعذاب في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وهذا وعيد من الله تعالى للكفار، لأنهم كانوا لا يقرّون بالبعث، ووعيد لهم في الدنيا، كما حدث لهم في بدر ولا يفرحنّ المسلمون بهذا الوعيد فإنهم يستحقون العقاب أيضاً إذا تخلوا عن قرآنهم لأن التخلي عن قريب من التكذيب به، فيشملهم الوعيد والإنذار [2].

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٣٦/٧.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ٢٤٤/٧ .

ثالثاً: القدرة الإلهية في الكون وخلق النبات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:٩٥-٩٩] ، تضمنت الآيات خمسة أنواع من الأدلة قدرته وحكمته وهي ما يلي:

النوع الأول: مأخوذ من دلالة أحوال النبات والحيوان: يخبر تعالى عن كماله، وعظمة سلطانه، وقوة اقتداره، وسعة رحمته، وعموم كرمه، وشدة عنايته بخلقه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى﴾، شامل لسائر الحبوب، التي يباشر الناس زرعها، والتي لا يباشرونها، كالحبوب التي يبثها الله في البراري والقفار، فيفلق الحبوب عن الزروع والنوابت، على اختلاف أنواعها، وأشكالها، ومنافعها، ويفلق النوى عن الأشجار، من النخيل والفواكه، وغير ذلك، فينتفع الخلق، من الآدميين والأنعام، والدواب، ويرتعون فيما فلق الله من الحب والنوى، ويقتاتون، وينتفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في ذلك [١]، وفي ذلك أكبر دلالة على قدرة الله [٢].

وفي قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ﴾، أي لا يقدر إلا الله أن يصنع ذلك، ولا يقدر إلا الله أن ينشئ الحياة منذ البدء من الموات، ولا يقدر إلا الله أن يجهز الكائن الحي بالقدرة على إحالة الذرات الميتة إلى خلايا حية، ولا يقدر إلا الله على تحويل الخلايا الحية مرة أخرى إلى ذرات ميتة، في دورة لم يعلم أحد يقيناً بعد متى بدأت، ولا كيف تتم [٣].

النوع الثاني: مأخوذ من الأحوال الفلكية، وهذا أدل على القدرة الإلهية لأن فلق ظلمة الليل بنور الصبح أعظم في كمال القدرة في فلق الحب والنوى بالنبات والشجر، ولأن الأحوال الفلكية أعظم في القلوب وأكثر وقعاً من الأحوال الأرضية، وتضمن هذا النوع ثلاث آيات فلكية لها صلة بالأرض وهي فلق نور الصبح، أي شاقّ الضياء عن الظلام وكاشفه، وخالق النور والظلمة، وجاعل الليل

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٦٥.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٣٤/٥.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٥٤/٢.

سكناً أي محلاً للسكون، وجاعل الشمس والقمر آيتين للحساب الذي يتعلق به مصالح العباد، لأنه تعالى قدر حركة الشمس والقمر بحساب معين [١]، فبالشمس تعرف الأيام ، ونعرف ساعاتها، فإن شروقها وغروبها يحدد عدد ساعات الليل والنهار ودرجاتهما، واختلاف أقاليم الأرض فيها طولاً وقصراً حتى يقل النهار في بعض الأرض ويكون الأكثر ليلاً، ويتناسب الليل والنهار في بعض الأرض، وبالشمس تعرف مناطق الارض على حسب تسلط نورها وأشعتها على الأرض وتكون الفصول الأربعة من صيف وخريف وشتاء وربيع، والقمر تقدر به الأشهر القمرية بالأهلة، وتعرف أيامها بحال الهلال [٢].

وكل ذلك دليل على كمال قدرة الله تعالى وكونه فضلاً من الله ورحمة وإحساناً على الخلق[٣].

النوع الثالث: ظاهرة سماوية وهو أنه تعالى خلق النجوم لمنافع العباد، بالاهتداء بنورها إلى الطرق والمسالك، في ظلمات البر والبحر، حيث لا يرون شمساً ولا قمراً، وذلك من أدلة كمال القدرة والرحمة والحكمة، ويستدل بالنجوم والكواكب والشمس والقمر أيضاً على معرفة القبلة، كما أن هذه الكواكب زينة للسماء، قال تعالى: ﴿**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ**﴾ [الصَّفات:٦] ، وهي أيضاً رجوم للشياطين، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ**﴾ [الملك:٥] ، وهي كذلك مثار التفكير في عظمة السموات، قال تعالى: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران:١٩١] [٤]، وهو ﷻ وحده الذي أنشأ هذه الكواكب النيرة ليهتدوا بها إلى الطرق والمسالك خلال سيرهم في ظلمات الليل بالبر والبحر حيث لا يرون شمساً ولا قمراً، وهذا من الدلائل على كمال قدرته ورحمته وحكمته [٥].

وفي ذلك أنه لا يجوز تصديق أوهام الذين يزعمون معرفة الغيب بالنجوم، دون علم الهيئة الفلكية الذي يعرف به من آيات قدرة الله وعلمه وحكمته ما لا يعرف من علم آخر، وقد اتسع هذا العلم في عصرنا هذا بما استحدث أهله من المراصد، المقربة للأبعاد، والآلات المحللة للنور التي يعرف بها سرعة سيره، وأبعاد الأجرام السماوية بعضها عن بعض، ومساحة الكواكب وكثافتها

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٣١١/٧.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٦٠١/٥.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٣١١/٧.

(٤) انظر: نفس المرجع، ٣١١/٧.

(٥) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٣٨/٥.

والمواد المؤلفة منها [١]، ودلت هذه الآية ونحوها، على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالّها الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك [٢].

النوع الرابع: الاستدلال بأحوال الإنسان، وخلق البشر من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، وإيداع أصول البشرية في الأصلاب والأرحام، والتفكير في تكوين النفس، قال تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات:٢١] ، وهذا من دلائل وجود الإله وكمال قدرته وعلمه، يوجب ذلك شكر النعمة، ويرشد إلى وحدة الأصل والنوع الإنساني، مما يقتضي وجوب التعارف والتعاون بين الناس لأنهم من أصل واحد وأب واحد، فهم أخوة، وما على الإخوة إلا التآلف، لا التناحر والتقاتل [٣].

النوع الخامس: مأخوذ من طريقة الإنبات وتنوع النبات واختلاف أصناف الفواكه والثمار: وهو إنزال المطر من السماء (السحاب) حيث أخبر الله أنه هو الذي أنزل من السماء ماء، فهو وحده الذي أنزل من السماء الماء فلم ينزل إلا بقدرته؛ وهو وحده الذي يثير السحاب حاملة المطر الذي ينزل ماء على الأرض، فنزوله من السماء، هو نزوله من السحاب؛ لأن السماء ما تعلو فوق الأرض، وسماها الله تعالى سماء؛ لأنها تغطي الناس بالغمام الذي يتكاثف فيصير ماء يهطل على الأرض مطراً [٤]، وإخراج مختلف أنواع النباتات والزروع بالماء، وإيجاد الكثرة الهائلة من الثمار والفواكه والأزهار المختلفة الأشكال والألوان والطعوم والروائح، وذلك من أجلّ أنواع النعم والإحسان، ومن أعظم الدلائل على كمال القدرة الإلهية [٥]، وترى الباحثة أن هذا من أعظم منن الله العظيمة، التي يضطر إليها الخلق، من الآدميين وغيرهم، وهو أنه أنزل من السماء ماء متتابعاً وقت حاجة الناس إليه، فأنبت الله به كل شيء، مما يأكل الناس والأنعام، فرتع الخلق بفضل الله، وانبسطوا برزقه، وفرحوا بإحسانه، وزال عنهم الجدب واليأس والقحط، ففرحت القلوب، وأسفرت الوجوه، وحصل للعباد من رحمة الرحمن الرحيم، ما به يتمتعون وبه يرتعون، مما يوجب لهم، أن يبذلوا جهدهم في شكر من أسدى النعم، وعبادته والإنابة إليه، والمحبة له، وأعظم شيء أن تحتضن الأعين الكون وتذرف الدمع خشية من الله وإعجاباً لصنع الله عز وجل.

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٥٣١/٧.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٦٥.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٣٠٨/٧.

(٤) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٦٠٥/٥.

(٥) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٣٠٨/٧.

رابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في معرفة مظاهر قدرة الله تعالى:

١- تقرير قدرة الله على كل شيء وعلمه بكل شيء، وحكمته في كل شيء [١].

٢- هذه الآيات الكريمات تنبيه على مواطن العبرة والنظر، وضرورة التأمل في آفاق الكون الزاخرة بالبراهين الحسية على وجود الله تعالى، فهي ترشدنا إلى حقيقة بالغة واضحة، وهي أن الله سبحانه لا هذه الأصنام، وبقية المخلوقات [٢].

٣- إنشاء جميع البشر من نفس واحدة يدل على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ووحدانيته، كما يوجب شكر النعمة [٣].

٤- هذه الآيات الدالة على قدرة الله تعالى تدل على أنه المستحق للعبادة لا غيره [٤].

٥- فائدة خلق النجوم وهي الاهتداء بها في السير في الليل في البر والبحر [٥].

٦- على الإنسان أن يعلم أن كمال الله غير متناهٍ، ولا يزال في ملك الله ما لا يستطيع إدراك حكمته إلى أن ينهي الله الأرض ومن عليها [٦].

٧- هذه الآيات الدالة على قدرة الخالق جاءت لتوضح للناس أن الله وحده المستحق للعبادة، والمتفرد بالألوهية، فمن كان ذا فطرة نقية، فسوق ينتفع بها ويكون لديه استعداد نفسي لاتباع الحق إذا ما ظهر له، وسوف ينقاد للتغيير والإصلاح وينتفع به، أما هؤلاء الذين أصروا على الشرك وشوهوا فطرتهم به، أمثال كفار قريش، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وغيرهم على مدى العصور والأزمنة لا يصلح معهم تغيير ولا ينفعهم إصلاح، فهؤلاء أصحاب النفوس المريضة العنيدة المتكبرة دائماً يطلبوا دليل ليس بهدف الوصول إلى الحقيقة، إنما بهدف التضييق والتعقيد، فالكون مليء بالبراهين والأدلة الكونية الدالة على قدرة الخالق تعالى [٧].

٨- هذه الآيات رسالة للعصاة وتهديد لهم، وهو أن الله قادر على إهلاكهم مثل ما أهلك غيرهم من المفسدين إن لم يصلحوا أنفسهم ويغيروها إلى الأصلح.

---

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، ٩٧/٢.

(٢) التفسير الوسيط، الزحيلي، ٥٨٥/١.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٣٠٨/٧.

(٤) التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٢٥/٥.

(٥) أيسر التفاسير، الجزائري، ٩٧/٢.

(٦) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٨١٥/٦.

(٧) انظر: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الحجر والنحل، إعداد: أمية الغرة، ص ٣٠.

٩- لابد على المسلمين أن يميزوا بين الجاهلية وينبذوها، والتقيد بشرائع الإسلام وأحكامه وموازينه وقيمه، وإنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها هذا العذاب، قال تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥] ، إلا بأن تنفصل هذه العصبة عقيدياً وشعورياً ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام "دار إسلام" تعتصم بها.

١٠- على الإنسان المؤمن أن يدعو ربه في أي حالة من حالاته – سواء أكان مضطجعاً أم قاعداً أم قائماً – حتى يكشف الله عنه هذا البلاء، وعندما يستجيب الله لدعاء هذا الإنسان لا ينسى هذا الإنسان فضل الله عليه كأنه لم يدع الله أن يزيل عنه الضر.

المطلب العاشر

العدل الإلهي في الثواب والعقاب

الملفت للنظر أن القرآن الكريم من أكثر الكتب الدينية التي اهتمت بهذا المجال الإصلاحي ووعدت الناس الذين يعملون أعمال حسنة بأن ينالوا أجرهم وهو الثواب وكذلك الذين يعملون أعمال سيئة بأن ينالوا أجرهم وهو العقاب، وهنالك آيات كثيرة تتحدث عن هذا المعنى وتؤكد بأن كل إنسان هو وحده المسؤول عن أعماله وعن نتائجها أمام الله، نذكر منها: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثر:٣٨] ، وقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر:١٨] ، وأيضاً قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء:١٣] ، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [الجاثية:١٥].

أولاً: الآيات التي تتحدث عن العدل الإلهي في الثواب والعقاب في سياق سورة الأنعام منها:

١- **العدل الإلهي في جزاء الحسنة والسيئة:** قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠] ، وتدل الآية على أنه: من جاء يوم القيامة بالخصلة الحسنة والفعلة الطيبة من الطاعات، فله جزاؤها عشر حسنات أمثالها، وهذا من قبيل العدل والفضل المحدود، ولكن قد تضاعف الحسنة بعد ذلك إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١] [(١)] ، وقال ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥] ، وأما من عمل سيئاً فإنه

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١١٩/٨.

سوف يعاقب بمقدار عصيانه فقط، ذلك عدل من الله [١]، فالمشرك يجازى على سيئة الشرك بخلوده في النار، وفاعل المعصية من المسلمين يجازى عليها بمثلها، وهذا إن لم يتب، أما إذا تاب أو غلبت حسناته سيئاته أو تغمده الله برحمته وتفضل عليه بمغفرته فلا مجازاة [٢]، وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب [٣]، فلا ينقص من ثواب المحسنين، ولا يزاد على عقاب المسيئين [٤].

٢- **العدل الإلهي في أن النفوس تجازى بأعمالها ولا يحمل أحد خطيئة غيره:** قال تعالى: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ [الأنعام:١٦٤] ، وتدل الآية على أنه فيها إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس تجازى بأعمالها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد، وهذا من عدله تعالى: كما قال: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**﴾ [فاطر:١٨] ، وقوله: ﴿**فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا**﴾ [طه:١١٢] [٥].

والكسب هنا في الآية كسب الإثم، ويكون عليها بالعذاب، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ [الأنعام:١٦٤] ، أي لا تحمل نفس وازرة وزر أخرى فكل امرئ بما كسب رهين، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى.

وإن جزاء الآخرة ثواباً وعقاباً مبني على ذلك، فلا يحاسب امرؤ بجريمة غيره، ولا يلقى عن شخص جرم ليلحق إلى غيره، والله تعالى علام الغيوب، وكل يحمل كتابه، ولكن في الدنيا عواقب للأعمال، قد تتعدى الفاعل، وقد قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾ [الأنفال:٢٥] ، فإنه إذا عم الفساد وانتشر، فسدت الجماعة وهلكت، ولا يكون أثره مقصورا على العصاة، بل يتعداه إلى غيرهم، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء:١٦] ، وإن عموم الفساد يكون من إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيعم العذاب، وفي قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ**

---

(١) انظر: تيسير التفسير، إبراهيم القطان (ت: ١٤٠٤هـ)، ٢٨/٢، ط١.

(٢) انظر: فتح البيان، محمد صديق خان بن حسن البخاري، ٢٩١/٤.

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٩١/٢.

(٤) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٢٠/٨.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ابن كثير، ٣٨٤/٣.

تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٤] ، (ثم) هنا للتراخي والترتيب؛ لأن ذلك يوم الدين فيكون الجزاء العادل، ينال كل امرئٍ ما كسب أو قصد، فالله تعالى يجازي على التقصير في بيان حدود الله ومنع العصاة، كما يجازي على ذات المعصية؛ لأن ترك الواجب معصية كارتكابها [١].

ثانياً: أثر العدل الإلهي في إصلاح المسلم وتغييره:

١- إن الاعتقاد في عدل الجزاء في الدار الآخرة، وفي ضخامة العوض عما يفوت ونفاسته استعدت النفس للبذل في سبيل الحق والخير والصلاح الذي تعلم أنه من أمر الله، وأنه مناط العوض والجزاء وصلح خلق الفرد واستقام سلوكه- متى استيقن من الآخرة كما هي في التصور الإسلامي- وصلحت الأوضاع والأنظمة، التي لا يتركها الأفراد تسوء وتنحرف، وهم يعلمون أن سكوتهم على فسادها لا يحرمهم صلاح الحياة الدنيا وحدها وخيراتها، ولكنه يحرمهم كذلك العوض في الآخرة، فيخسرون الدنيا والآخرة! [٢].

٢- أن الإنسان إذا عرف أنه يعيش في جميع أحواله وفق العدل الإلهي يعرف مصيره الآن وفي المستقبل؛ فتطمئن نفسه وتستقر روحه في السراء والضراء وفي الشدة والرخاء، ولا يهمه إلا أن يؤدي واجباته الدينية الملقاة على عاتقه، ويتحمل مسئوليته الدينية في جميع الأحوال، ويدافع عن مبادئه، ودينه أمام المنحرفين والمستكبرين والحكام الظالمين، ويقف أمام أعظم المصائب وأكبر بلاء يصيبه في سبيل دينه بإجلال وإكبار، وفي حالاته العادية يؤدي واجباته الملقاة على عاتقه بأفضل وجه ويتحمل المسئولية بأحسن صورة، ولا يلقي تبعات أعماله على القضاء والقدر، ولا ينسب أخطائه لغيره من أبناء البشر، ولا يتهم ربه في سوء عاقبته ودنياه بل وفي جميع أحواه، لأنه يعرف أن ذلك لا ينفعه شيء ولا يغير مصيره الذي يكتبه بيده وبأعماله التي هو يختارها وفق مصالحه الدنيوية أو مصالح عقائده الدينية.

٣- المؤمن بالعدل الإلهي يعرف أن الله تعالى ليس بظلام للعبيد، وسوف يرد له جزاء أعماله وأفعاله كلها، وإن كل ما يحصل هل من العقاب والثواب الدنيوي من الصحة والمرض، ومن الغنى والفقر، والرفعة والخفض في المقام والجاه، أو من اليسر والعسر والأفراح والمصائب، أو الأحوال الاجتماعية والثقافية وغيرها كالأخروية من الثواب والعقاب كلها تحت رعاية العدل الإلهي، ولو كان بمقدار ذرة يحسب له أو عليه، وهذا خلاف من لا يعتقد بالعدل من الله فإنه لا يطمئن بمصيره، ولا يهتم بدينه، ولا يراعي تعاليم ربه، وينسب قبائح أعماله لله ﷻ ، وإذا تنازل ينسبها للقضاء والقدر أو لمن هم مثله من البشر، ويبرر أحكام الظالمين والكفار، ويوجد

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧٦٦/٥.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠٦٩/٢.

الأعذار للمنحرفين والفجار، ولا يقيم وزن لمبدأ، ولا يعطي قيمة لعقيدة، ولا يلتزم بمسئولية ولا يهمه الضمير ولا يعتبر الوجدان، ولا ينظر إلا لمصالحه الدنيوية، ويفقد جميع الموازين الإنسانية، وتكون عنده الغاية تبرر الوسيلة.

٤- إن العقل السّوي والفطرة السليمة لا يستسيغان أن تنقضي الحياة وتنتهي دون تمييز بين العادل والظالم، والمحسن والمسيء، والصالح والطالح، فيكونوا جميعاً سواء، بل لا بد من يوم يُجازى فيه المحسنون على إحسانهم، ويُعاقب فيه المسيئون على إساءتهم، إن وجود الدنيا وما فيها من نعيم وشقاء، وسعادة وعناء، شاهدٌ على وجود حياة أخرى يوجد فيها العدل والخير والكمال.

٥- إن ما يلحق العاصي من العذاب المخلد نتيجة ما قدمت وكسبت يداه في النشأة الأولى، وعلى مقدار ما اقترفته من المعاصي والآثام بلا زيادة عليها عدلاً من الله اتجاه العاصي [١].

٦- ليعلم المسرف المبالغ في اقتراف الجرائم المستوجبة للعذاب أن الله المتصف بالعدل القويم ليس بظلام للعبيد، يعني ليس بمبالغ في جزاء الانتقام عن مقدار الجرائم والآثام مثل مبالغته في جزاء الإنعام والإحسان تفضلاً وامتناناً [٢].

المطلب الحادي عشر

القرآن إعجاز وهداية

أولاً: منزلة القرآن الكريم وفضله:

فضل القرآن لا يدانيه فضل ومكانته لا تسموا إليها مكانة فمن فضائل القرآن:

١- أن القرآن يمثل كتباً فخماً عظيماً لا يحتمل الشك ولا الريب فيه، وذلك لإعجازه، وما يحمله من هدى ونور لأهل الإيمان والتقوى يهتدون بهما إلى سبيل السلام والسعادة والكمال، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] [٣].

٢- ذكر أن الله ﷻ يرفع بالقرآن أقواماً ويضع آخرين، قال رسول الله ﷺ : **(إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)** [٤].

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ) ٥٤٨/١، دار ركابي للنشر، الغورية، ط١، مصر، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٢) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، الشيخ علوان، ٥٤٨/١.

(٣) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٢٠/١.

(٤) صحيح مسلم، ٥٥٩/١، ح٨١٥، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه.

٣- وعد الله قارئ القرآن ومعلمه بأجر عظيم، عن عثمان ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)** [١].

٤- ضمن الله تعالى لكتابه السلامة من التحريف، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:٩] ، وتبين الآية: أن الله حفظ ألفاظ القرآن من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يجتاحهم [٢].

٥- يتحاكم المتحاكمون إليه إذا اختلفوا: قال تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:٣٨] ؛ لأنه لم يغادر شيئاً من الأحكام إلا بينها [٣]، فإن المؤمن لا يقدم شيئاً على حكم الله، كما أنه يقصد الآخرة ورضوان الله أكثر من حرصه على الدنيا، وهذا وعيد من الله لكل من حاد عن طاعة الله ورسوله، والرد إليهما عند الاختلاف، وهو في معنى قوله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ [النساء:٦٥] .

ثانياً: القرآن الكريم في سياق سورة الأنعام:

١- القرآن الكريم كتاب إعجاز: قال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ [الأنعام:٩٢] ، تدل هذه الآيات على:

أ- إن سائر حقائق العقيدة الإسلامية الأساسية جاء بها كل رسول.. وصدق الكتاب الأخير (القرآن) ما جاءت به الكتب قبله.. إنما تلك الأقوال آثار الثقافة الأوربية، التي تزعم أن أصول العقيدة – بما فيها العقائد السماوية- قد تطورت وترقت، بتطور الأقوام وترقيها! وما يمكن أن يدافع عن الإسلام بهدم أصوله التي يقررها القرآن! فليحذر الكتاب والقارئون هذا المزلق الخطير!!! فأما حكمة إنزال هذا الكتاب، فلكي ينذر به الرسول ﷺ أهل مكة – أم القرى- وما حولها [٤].

ب- إن كل الكتب السماوية السابقة كانت كتب منهج، وكانت المعجزة منفصلة عن المنهج؛ فمعجزة موسى عليه السلام -كما نعرف- هي العصا، ومنهجه التوراة، وعيسى عليه السلام معجزته إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ومنهجه الإنجيل، لكن رسول الله ﷺ تميّز بأن

---

(١) صحيح البخاري، ١٩٢/٦، ح (٥٠٢٧)، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٤٢٩.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٤٩٢/٥.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٤٨/٢.

معجزته عين منهجه، لأن كل دين من الأديان السابقة كان لزمن محدود، في مكان محدود، وجاء ﷺ بالدين الجامع المانع، لذلك جاءت المعجزة هي المنهج، لكن الإسلام جاء ليعم كل الأزمنة وكل الأمكنة، ولذلك لزم أن تكون المعجزة مستصحبة للمنهج؛ حتى يستطيع من يأتي بعد عصر النبوة إلى قيام الساعة أن يقول: محمد رسول الله وتلك معجزته [١].

ج- القرآن يخاطبنا بأسلوب يحتمله العقل المعاصر، وإذا ما جدّ جديد نجد الأمر مكنوزاً في القرآن، ونجد تأويلاً جديداً لا ينسخ التأويل الآخر ولكنه يرتقي به [٢].

وترى الباحثة أن هذه الآيات تمنحُ المؤمن الشعورَ بالراحة والطمأنينة، وذلك بمعرفته أن الله سبحانه قد أنزل على كلَّ قومٍ من الشرائع ما يناسب حالهم، ويحققُ حاجتهم، ويهديهم لما فيه صلاحُ أمرهم في الدنيا.

٢- القرآن الكريم كتاب هداية: قال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٥] ، في هذه الآية الإشارة إلى القرآن لأنه حاضر مهيأ كامل، وهو مبارك لأنه يشمل الخير والحق والفضل، وفيه مصالح الناس في معاشهم، وفيه الشريعة الإنسانية الكاملة ما ترك صغيرة ولا كبيرة من أمر الدين إلا بينها وفصلها تفصيلاً، ففيه ما يطهر الروح والجسم، وفيه ما يطهر الجماعة وينميها، وفيه ما يجمع الناس على الود والرحمة، وفيه ما يحقق العدالة والميزان في هذا الوجود، فهو مبارك، وإنه لمستمر لكل من يتلقاه مهتدياً بهدى الله تعالى، فهو حبل الله تعالى إلى يومه فهو مبارك في كل نواحيه، وهذا كقوله تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ [الأنعام:٩٢] ، وإذا كان الكتاب له هذه البركة وهذه الهداية فإن اتباعه يكون واجباً ولازماً، لمصلحتهم، فإن فيه النفع العميم [٣]، وفيه العلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه، وذكر الحكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه وحذر منه، وذكر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة، وأكبر سبب لنيل رحمة الله ابتاع هذا الكتاب، علماً وعملاً [٤]، وهو جامع لكل أسباب الهداية الدائمة، والسعادة الثابتة [٥]، وتكون

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٧٨٦/٦.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ٣٧٨٦/٦.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧٤٦/٥.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٨٠.

(٥) انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ٢٢٤/٥.

العلوم إما نظرية، وإما عملية أما العلوم النظرية، فأشرفها وأكملها معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه، ولا ترى هذه العلوم أكمل ولا أشرف مما تجده في هذا الكتاب وأما العلوم العملية، فالمطلوب، إما أعمال الجوارح وإما أعمال القلوب، وهو المسمى بطهارة الأخلاق وتزكية النفس ولا تجد هذين العلمين مثل ما تجده في هذا الكتاب، ثم قد جرت سنة الله تعالى بأن الباحث عنه والمتمسك به يحصل على عز الدنيا وسعادة الآخرة [١]، فغن ما علمه العرب من علوم القرآن وحكمه وهدايته قد أدّوه إلى سائر المسلمين من غيرهم فكانت فائدته عامة لجميع من أظلهم الإسلام بظله.

وفي ذلك امتنان منه سبحانه على الرسول وقومه وسائر المسلمين بإتيانهم هذا الكتاب الكريم الذي بسط فيه أصول العقائد مؤيدة بالدلائل، وتمم به مكارم الأخلاق وأمهات الفضائل، وجعل فيه من العبادات ما يزكّي النفوس ويطهرها، ومن المعاملات ما فيه المنافع للأفراد والجماعات، وأوجب فيه المساواة بين الأجناس والديانات، فلا يحابى مسلم لإسلامه، ولا يظلم كافر بكفره [٢].

ثالثاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في معرفة أن القرآن الكريم كتاب إعجاز وهداية:

١- إن القرآن مبارك في معانيه فهو يشمل كل علوم الدين والأخلاق، وفيه ذكر للكون، وفيه بيان العقيدة الإسلامية، وفيه أسماء الله الحسنى، وفيه أوصاف الله الذاتية، وثبوت الكمال المطلق لله تعالى، ونفي كل ما لا يليق بالله، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وفيه كل أصول التكليفات الدينية، وفيه القصص الحق عن النبيين، وعن الأمم التي خالفت أنبياءها، وكيف كان مصيرها، وكلما أمعن القارئ في ألفاظه وعباراته أشعت منها نوراً مبيناً، وذكراً حكيماً [٣].

٢- امتنان الله على الرسول ﷺ والمسلمين بإنزال هذا القرآن عليهم لبيان أصول الاعتقاد مع الدليل، وإتمام مكارم الأخلاق، وتشريع العبادات لتزكية النفوس وتطهيرها، والمعاملات لدفع الأفراد والجماعات، وتقرير أصول الحياة كالحرية والكرامة الإنسانية والمساواة بين الناس، فلا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى أو بالعمل الصالح [٤].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٦٤/١٣.

(٢) انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ١٨٩/٧.

(٣) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٥٨٨/٥.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٩١/٧.

٣- كل من آمن بالآخرة والمعاد، وقيام الساعة يؤمن ويصدّق بهذا الكتاب المبارك الذي أنزله على محمد، وهو القرآن [١].

٤- القرآن الكريم كتاب مبارك كثير الخير والعطاء، مصدق لما تقدمه من الكتب السماوية في صورتها الأصلية الصحيحة، ومهيمن عليها، وناسخ لما خالفه منها، ومبشر المحسنين بالجنة والمغفرة، ومنذر الكافرين والفاسقين بالنار والعذاب فيها [٢].

٥- إن القرآن يخاطبنا بأسلوب يحتمله العقل المعاصر، وإذا ما جدّ جديد نجد الأمر مكنوزاً في القرآن، ونجد تأويلاً جديداً لا ينسخ التأويل الآخر، ولكنه يرتقي به [٣]، وهذا هو الإعجاز القرآني.

وترى الباحثة: أنه لا عجب أن يكون القرآن الكريم هو منهج الإصلاح والتغيير؛ لجميع ما يعترض الحياة الإنسانية في مسيرتها؛ من مشاكل روحية وعقلية واجتماعية واقتصادية وسياسية، فهو تنزيل من حكيم عليم، يعلم احتياجات البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، يعلم ما يصلح لها في كل زمان ومكان، فاحتوى القرآن الكريم منهج الإصلاح والتغيير، وجعله باقياً إلى يوم الدين، ويستطيع المسلمون اليوم بهذا المنهج إصلاح العالم مما عتراه من فساد كما أصلح العرب عند نزوله.

---

(١) التفسير الوسيط، الزحيلي، ٥٨١/١.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٩٣/٧.

(٣) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٧٨٦/٦.

المطلب الثاني عشر

الجن من مخلوقات الله تعالى

أولاً: تعريف الجن:

١- **الجِنّ في اللغة:** أصل الجن: ستر الشيء عن الحاسة يقال: جنة الليل وأجنة وجن عليه، فجنه: ستره، وأجنه جعل له ما يجنه، وجن عليه كذا: ستر عليه، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ [الأنعام:٧٦] (١)، والجن خلاف الإنْس واحده جني، ويقال بات فلان ضيف جن بمكان خال لا أنيس به ومن كل شيء أوله ونشاطه وشدته وجن الشِّبَاب عنفوانه وجن النَّبَات زهره ونوره وجن اللَّيْل جنانه وجن النَّاس جنانهم (٢).

٢- **الجن اصطلاحاً:**

- الجن عالم غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر (٣).
- الجن هم أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية، وقيل نوع من الأرواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها (٤).

ثانياً: موقف الناس من الجن:

اختلف الناس قديماً وحديثاً في ثبوت وجود الجن فأنكر وجودهم معظم الفلاسفة، واعترف بوجودهم جميع من هم وسموهم بالأرواح السفلية، وزعموا أنهم أسرع إجابة من الأرواح الفلكية إلا أنهم أضعف، وأما جمهور أرباب الملل وهم أتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم، فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل بأشكال مختلفة، وقيل إنها جواهر وليس بأجسام ولا أعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة أنواعهم إلا الله تعالى، وقيل إنهم أجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلون في الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق، وينقسمون إلى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الأجسام اللطيفة الهوائية أن تكون مخالفة لسائر أنواع الأجسام في الماهية وأن يكون لها علم مخصوص وقدرة

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ٢٠٣/١.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤١/١.

(٣) عالم الجن والشياطين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ص ١١.

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٥١/٥.

مخصوصة على أفعال عجيبة أو شاقة يعجز البشر عن مثلها، وقد يتشكلون بأشكال مختلفة وذلك بإقدار الله تعالى إياهم على ذلك [١].

ثالثاً: الجن في سياق سورة الأنعام:

١- **علاقة الإنس بالجن:** قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا**﴾ [الأنعام:١٢٨] ، أي: تمتع كل من الجِنّي والإنسي بصاحبه، وانتفع به، فالجنّي يستمتع بطاعة الإنسي له وعبادته، وتعظيمه واستعاذته به، والإنسي يستمتع بنيل أغراضه، وبلوغه بسبب خدمة الجِنّي له بعض شهواته، فإن الإنسي يعبد الجِنّي، فيخدمه الجِنّي، ويحصل له منه بعض الحوائج الدنيوية [٢]، وإن العرب في الجاهلية كانوا يستعيذون بعظماء الجن وسادتهم من شرارهم في الأودية، فإن كل إنسي يوسوس له شياطين الجن مما يزين له الباطل والشر ويغريه بالفسق والفجور كما تقدم مفصلاً، فإن هذا الخلق الخفي الذي هو من جنس الأرواح البشرية يلابسها بقدر استعدادها للباطل والشر [٣].

إن الآيات تتناول طبيعة الولاء بين الشياطين من الإنس والجن عامة، فإن الظالمين –هم الذي يشركون بالله في صورة من الصور– يتجمع بعضهم إلى بعض في مواجهة الحق والهدى ويعين بعضهم بعضا على عداء كل نبي والمؤمنين به، إنهم فضلا على أنهم من طينة واحدة – مهما اختلفت الأشكال– هم كذلك أصحاب مصلحة واحدة، تقوم على اغتصاب حق الربوبية على الناس، كما تقوم على الانطلاق مع الهوى بلا قيد من حاكمية الله ..

ونحن نراهم في كل زمان كتلة واحد يساند بعضهم بعضا –على ما بينهم من خلافات وصراع على المصالح– إذا كانت المعركة مع دين الله ومع أولياء الله.. فبحكم ما بينهم من اتفاق في الطينة، واتفاق في الهدف يقوم ذلك الولاء .. وبحكم ما يكسبون من الشر والإثم تتفق مصائرهم في الآخرة على نحو ما رأينا في المشهد المعروض! وإننا لنشهد في هذه الفترة – ومنذ قرون كثيرة– تجمعاً ضخماً لشياطين الإنس من الصليبيين والصهيونيين والوثنيين والشيوعيين –على اختلاف هذه المعسكرات فيما بينها– ولكنه تجمع موجه إلى الإسلام، وإلى سحق طلائع حركات البعث الإسلامي في الأرض كلها.

---

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٣٤٨/٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٧٣.

(٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٥٧/٨.

وهو تجمع رهيب فعلاً، تجتمع له خبرة عشرات القرون في حرب الإسلام، مع القوة المادية والثقافية، مع الأجهزة المسخرة في المنطقة ذاتها للعمل وفق أهداف ذات التجمع وخططه الشيطانية الماكرة.. وهو تجمع يتجلى فيه قول الله سبحانه: ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأنعام:١٢٩] (١).

وترى الباحثة: أن هناك العصبة المؤمنة التي تسير على منهاج رسول الله ﷺ وتعلم أنها تقوم مقامه في هذه المعركة على هذا الدين، وعلى المؤمنين، وإن المؤمنين أولياء بعضهم بعضاً، وعلى المؤمنين الحذر في تعاملاتهم اليومية وأن يبتعدوا عن الخرافات والأباطيل التي وضعتها الجاهلية في نظرتها للجن من الذبح لها والاستعانة بها وغيرها من الأمور الباطلة التي ليس لها من سلطان.

٢- **عالم الجن مكلفون :** ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾ [الأنعام:١٣٠] ، واختلفت آراء المفسرين في الرسالة إلى الجن وهي على أربعة أقوال(٢):

الرأي الأول: أن الرسل كانت تبعث إلى الإنس خاصة، وأن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى الإنس والجن.

الرأي الثاني: أن رسل الجن، هم الذين سمعوا القرآن، فولّوا إلى قومهم منذرين، روي عن ابن عباس أيضاً، وقال مجاهد: الرسل من الإنس، والنذر من الجن، وهم قوم يسمعون كلام الرسل، فيبلّغون الجن ما سمعوا.

الرأي الثالث: أن الله تعالى بعث إليهم رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم، وهو ظاهر الكلام.

الرأي الرابع: أن الله تعالى لم يبعث إليهم رسلاً منهم وإنما جاءتهم رسل الإنس.

٣- **الجن مثل الإنس في الثواب والعقاب:** قال تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام:١٣٢] ، ولكل درجات مما عملوا أي لكل من الجن والإنس درجات متفاوتة مما عملوا فنجازيهم بأعمالهم، كما قال في آية أخرى، قال تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ**

---

(١) انظر: ظلال القرآن، سيد قطب، ١٢٠٨/٣.

(٢) انظر: زاد المسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ٧٨/٢.

دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف:١٩] ، وفيه دليل على أن المطيع من الجن في الجنة، والعاصي في النار وما ربك بغافل عما يعملون من أعمال الخير والشر[١]، فلمن عمل بطاعة الله درجات في الثواب، ولمن عمل بمعصيته دركات في العقاب[٢].

رابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في الجن خلق من مخلوقات الله:

١- الجن عالم غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أل الجان مخالف لأصل الإنسان [٣].

٢- بيان سنة الله تعالى في أن الأعمال هي سبب الموالاة بين الإنس والجن فذو العمل الصالح يوالي أهل الصلاح، وذو العمل الفاسد يوالي أهل الفساد [٤].

٣- الجن مكلفون فلكل العاملين من الجن والإنس مراتب بحسب أعمالهم، فلمن عمل بطاعة الله درجات في الثواب، ولمن عمل بمعصيته دركات من العقاب [٥].

٤- الأرواح الخبيثة تنضم إلى ما يشاكلها في الخبث، وكذا القول في الأرواح الطاهرة فكل أحد يهتم بشأن من يشاكله في النصرة والمعونة والتقوية [٦]،وأن الظالمين من الناس يوالي بعضهم بعضاً، ويناصر بعضهم بعضاً، بسبب ما بينهم من صلات في المشارب والأهداف والطباع، وأن الأمة التي لا تتمسك بمبدأ العدالة ، بل تسودها روح الظلم والاعتداء يكون حكامها عادة على شاكلتها لأن الحاكم الظالم لا يستطيع البقاء عادة في مجتمع أفراده تسودهم العدالة والشجاعة في الحق [٧].

٥- انتفع الإنس بالجن حيث دلوهم على المفاسد وما يوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس، حيث أطاعوهم واستجابوا لوسوستهم، وخالفوا أمر ربهم، فالجن نالت التعظيم منهم فعبدت، والإنس

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ١٨٦/٢.
(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٥٠/٨.
(٣) عالم الجن والشياطين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ص ١١.
(٤) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ١٢١/٢.
(٥) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٥٠/٨.
(٦) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٥٠/١٣.
(٧) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٨٠/٥.

بوسوستهم تمتعوا بإيثار الشهوات الحاضرة على اللذات الغائبة [١]، وعلى المؤمنين الحذر في تعاملاتهم اليومية، وأن يبتعدوا عن الخرافات والأباطيل التي وضعتها الجاهلية في نظرتها للجن من الذبح لها، والاستعانة بها، وغيرها من الأمور الباطلة التي ليس لها من سلطان.

٦- في خلق الجن إظهاره كمال قدرته سبحانه بخلق الأضداد: مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه، فإنه خالق الأضداد كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحر والبرد، والطيب والخبيث، فعلى المسلم أن يزداد إيماناً بالله وثقة به، وحباً له وتوكلاً عليه وطاعته.

٧- لا بد على المصلحين أن يوضحوا للناس حقيقة الجن، وأنهم هم مخلوقات مثل الإنس، وهم عباد الله مثلهم مثل الإنس مكلفون، وأن يغيروا من عقائدهم الفاسدة والخرافات والأباطيل الذي يقعون بها اتجاه الجن من الاستعانة بهم، والتقرب إليهم، واللجوء إليهم، أو إشراكهم في العبادة مع الله، أو طاعتهم وموالاتهم كما في الآيات في سورة الأنعام، فهم الأعداء المخفيين الذين يحاربون الناس دون أن يحسوا بهم نظراً لطبيعة خلقهم.

٨- على المسلم أن يحسم الأمر، ويعتقد في الجن كما ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وكل ما خالف ذلك فهو باطل [٢] .

وترى الباحثة: أن الجن خلق من خلق الله عباد لله تعالى، مكلفون مثل الإنس يجري عليهم ما يجري على البشر، وإن منهم الصالحون ومنهم العصاة، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا**﴾ [الجنّ:١١] ، وهم محاسبون على أعمالهم وتصرفاتهم، بدلالة إرسال الرسل إليهم، وإنذارهم، من العذاب يوم القيامة، لكي لا يكون لهم حجة على الله، وهم لا يختلفون عن البشر إلا في الخلقة والشكل، فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون ويولدون ويموتون، وتجري عليهم سنن الله تعالى.

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٨٠/٥ .

(٢) انظر: عالم الجن والشياطين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ص ١٧١.

المبحث الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير الأخلاقي

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: الوصايا العشر.

المطلب الثاني: عدم الكذب والتنفير منه.

المطلب الثالث: الجدل.

المطلب الرابع: الابتلاء سنن الله في الأرض.

المطلب الخامس: التحذير من الشيطان.

المطلب الأول

الوصايا العشر

أورد القرآن الكريم الوصايا العشر المتفق عليها في الأديان كلها، في التوراة والإنجيل والقرآن، وأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرّم الله بشرع الإسلام الخالد المبعوث به إلى جميع الناس – الأسود والأحمر والأبيض– وقد ذكرت سورة الأنعام هذه الوصايا وهي كالآتي:

الوصية الأولى: تحريم الشرك بالله.

* قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام:١٥١] .

وسبب تحريم الشرك لعدة أمور منها [1]:

١- إن الشرك أكبر الكبائر وأعظم الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨] .

٢- إن من حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ولذلك خلقهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ، وإن الإنسان تتحقق إنسانيته بقلبه وروحه، ولا صلاح له إلا بصلاحهما، ولا صلاح لهما إلا بوحدانية الله ﷻ، إله هذا المخلوق الذي أوجده من العدم ، وركب أجزاءه ورباه بنعمه، لا إله إلا هو ولا رب سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] .

وترى الباحثة: في هذه الوصية دعوة إلى إصلاح النفس وتنقية الضمير من شوائب الشرك، وتنقية العقل من شوائب الخرافة، وتنقية المجتمع من عادات وتقاليد الجاهلية، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وإصلاحه بالإيمان، وإن الشرك في كل صوره وأشكاله هو المحرم الأول؛ لأنه يجر إلى كل محرم، وهو المنكر الأول الذي يتعين حشد كل الطاقات لإزالته وتغييره، حتى يعترف الناس أنه لا إله إلا الله، ولا حاكم ولا مشروع إلا هو ﷻ، وأن التوحيد على إطلاقه هو القاعدة الأولى التي لا يغني عنها شيء آخر من عبادة أو عمل.

---

(١) انظر: أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر، مرزوق بن هياس الزهراني، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢١/٦٩ .

الوصية الثانية: بر الوالدين.

* قال تعالى: ﴿وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام:١٥١] .

إن أعظم النعم نعمة العبودية لله وحده لا شريك له، والله ﷻ هو المؤثر الحقيقي في وجود هذا الإنسان واصطفائه وتكريمه على سائر المخلوقات، ويلي حق الله ونعمته في العظمة حق الوالدين، فقد جعلها الله سبباً لوجود الولد، وإذا كان الله ﷻ أنعم على العبد ورباه بجميع نعمه فقد سخر الوالدين لخدمته وتربيته ورعايته، ولهما من فضل الشفقة والحفظ من الضياع والهلاك في وقت الصغر مالا يقدر قدره إلا الله ﷻ، لذلك ثنى الله ﷻ بهذا التكليف تكريماً للوالدين، وتنويهاً بأن حقهما أعظم الحقوق بعد حق الله ﷻ، ولذلك فإن شكره تعالى بشكرهما، قال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤] (١).

وترى الباحثة: في هذه الوصية أسمى وأعلى وأصدق ألوان التربية السليمة التي يؤيدها الواقع، وبهذا المنهج القويم والتربية الحكيمة تسعد المجتمعات وتصلح؛ لأنه متى استقامت العلاقات، وصلحت الأحوال، وقويت الصلات بين الآباء والأولاد؛ ظهر أثر ذلك في الأفراد والأمم، وأصبح مجتمع الإسلام صورة مشرقة، وقدوة للمجتمعات الأخرى لكي تغير من حالها.

الوصية الثالثة: تحريم وأد البنات وقتل الأولاد خشية الفقر أو العار.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] .

نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن قتل الأولاد من أجل الفقر الواقع بالفعل، ونهى في سورة الإسراء عن قتلهم خشية الفقر المترقب المخوف منه، مع أنه غير واقع في الحال بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء:٣١] (٢) .

وقد أصلح الإسلام هذا الخطأ، ولفت إلى أن الفقر أو الإملاق لا يبرر؛ لأنهم لا يرزقونهم، ولكن يرزقهم الله، ولذلك قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ أي نحن نرزقكم معهم، كما رزقناكم وحدكم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦] (٣).

---

(١) انظر: أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر، مرزوق بن هياس الزهراني، ٣٧/٦٩.

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، ٥٤٥/١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧٣١/٥.

وإن الإسلام يرغب في النسل؛ لأنه يقوي الأمة اجتماعياً، واقتصادياً، وحربياً، ويربي في الأمة روح العزة والمنعة، وقرر أن تنظيم النسل حق الزوجين دون غيرهما، يستعملانه للضرورة، ومسئوليتهما عن الضرورة أمام الله وحده [١]، والمجتمع الذي يبيح قتل الأولاد خوفاً من الفقر أو خوفاً من العار، لا يمكن أن يصلح شأنه؛ لأنه مجتمع نفعي تسوده الأثرة والأنانية، ويكون في الوقت نفسه مجتمعاً أفراده يسودهم التشاؤم، وتتغشاهم الأوهام؛ لأنهم يظنون أن الله يخلق خلقاً لا يدبر لهم حقهم من الرزق، ويعتدون على روح بريئة طاهرة تخوفاً من جريمة متوهمة، وذلك هو الضلال المبين [٢].

وترى الباحثة: في هذه الوصية تغرس الثقة بالله تعالى، وتنبت الفضائل في النفوس، ولا ريب أن قتل الأولاد من أعظم الذنوب، بل قد يأتي بعد الإشراك بالله.

الوصية الرابعة: تحريم اقتراف الفواحش.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١] .

والفواحش هي : كل ما عظم جرمه وإثمه وقبحه من الأقوال والأفعال كالزنى والقذف والنظر إلى الأجنبية والاختلاط بها والمنكرات السرية التي يمارسها بعض الناس في خفية وتستُّر، فإن الله حرّم الفواحش الظاهرة والباطنة، وكانوا في الجاهلية لا يرون بأساً في الزِّنى سراً، أما في العلانية فكانوا يعدّونه قبيحاً، فحرم الله النوعين، لضرر الزِّنى وقبحه شرعاً وعقلاً [٣] ، والفواحش هي المعاصي لأنها انحراف، وزيادة عن الفطرة وخروج عن منهاجها، وعن الطريق المستقيم، والظاهر ما يعلن، ويجهر به، والجهر بالمعصية في ذاته حرام، وما بطن، أي وما استتر ولم يجهر به، وهو إثم، ولكنه دون إثم المجاهرة، ومن يجهر بالمعاصي، فإن ما يفعله إثمان: إثم الفعل وإثم المجاهرة [٤].

وترى الباحثة: في هذه الوصية امتداد للوصية بالأسرة التي يتعين تماسكها وتثبيت الود بين أفرادها، ولما وصاهم الله بالأسرة وصاهم بالقاعدة التي تقوم عليها، كما يقوم عليها المجتمع كله، وهي قاعدة الطهارة والنظافة والعفة، فإنه لا يمكن قيام أسرة، ولا استقامة مجتمع في وحل الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، إنه يتعين تحقق الطهارة والنظافة والعفة، والفواحش كلها تحكم قوام الأسرة وتنخر في جسم الجماعة، وتلطخ ضمائر الأفراد، وتدنس الأعراض.

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧٣٢/٥.

(٢) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ٢١٦/٥.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ٦٢٦/١.

(٤) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧٣٢/٥.

ولما كانت الفواحش ذات إغراء وجاذبية، وقد يميل لها الطبع، جاء النهي عن مجرد قربانها، فضلاً عن مواقعتها سداً للذرائع واتقاء للجاذبية التي قد تضعف معها الإرادة، ولأن قربان الفواحش قد يؤدي إلى مباشرتها، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. وهذا لون حكيم من ألوان التربية الرشيدة والإصلاح القويم؛ لأنه إذا ورد النهي عن قربان الشيء، فلا بد أن ينهى عن مباشرته من باب أولى وأحرى.

الوصية الخامسة: منع قتل النفس بغير حق.

* قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ**﴾ [الأنعام:١٥١] .

حرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد إلا بالحق، إلا بما يبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم [(١)]. عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)** [(٢)]، وقد أصلح الإسلام حال الأمة وحارب جرائم القتل بعدة أمور [(٣)]:

أ- أن من قتل نفساً فقد استباح حق الحياة المصون المحترم الذي حماه الإسلام، ومن استباحه في نفس واحدة فقد استباحه في نفوس الناس جميعاً.

ب- أن وزر من قتل نفساً واحدة، كوزر من قتل ألفاً.

ج- أن عقاب قتل نفس كعقاب قتل الأنفس، وهو في الدنيا بالقصاص العادل، وفي الآخرة بعذاب جهنم، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٩٣] .

وترى الباحثة: إن في هذه الوصية تصان الدماء، وتحترم الأعراض، ويسود الأمان والاطمئنان بين الناس، فكل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

الوصية السادسة: المحافظة على مال اليتيم.

* قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**﴾ [الأنعام:١٥٢] .

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي ، ٢٠٣/٣ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ...﴾ ، ٢٠١/١٢ .

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢١٤٠/٤.

لا يجوز لمسلم أن يدنو من سبب يؤدي به التصرف في مال اليتيم، والمنع موجه لكل من ولي أمر اليتيم مباشرة، أو بواسطة وليه، أو وصية القائم على شئونه، وهذا نهي عن جميع التصرفات التي لا تعود بنفع ولا تدفع ضرراً، إلا بالصفة الحسنة وهي العمل الذي يقوم به صلاح ماله وتنميته وحفظه من الضياع، فإن الله ﷻ أباح لكل من يقوم على أمر يتيم أن يتصرف بهذا الشرط في أمواله فيصرفه فيما يعود عليه بالنفع يجتهد في رجحان مصلحته من استثماره، والإنفاق منه على تربيته وتعليمه، وما يصلح به معاشه ومعاده، وهذا باب عظيم من أبواب الشريعة الإسلامية.

ويباح التصرف في مال اليتيم بما يصلحه، ومن إصلاحه منع اليتيم نفسه منه حتى يكون راشداً في تصريف ماله كغيره من العقلاء، فإن الولي أو الوصي ممكّن شرعاً من منع اليتيم من تبديد ماله وإضاعته، أو الإسراف فيه، ومن ألقى نظرة على ما كان عليه المجتمع الجاهلي يجد أن أصحاب الأفكار المادية لا يحترمون إلا القوة ولا يخضعون إلا للأقوياء، ومن هنا نعلم الشرع حينما بالغ في الوصية باليتيم إنما يعطيه الحصانة والحفظ من أي اعتداء، وإذا كانت معاناة اليتيم في ذلك المجتمع بالغة الصعوبة فإنه في هذا العصر عصر الماديات، والأساليب الماكرة الخادعة أحوج ما يكون إلى أن يعيش في ظل الإسلام الذي وفر له الحماية الكافية؛ لأن اليتيم في غير المجتمع الإسلامي لا يقدر على حماية نفسه وماله إلا إذا بلغ قوة الساعد ورجاحة العقل، وكان رشيداً في عقله وأخلاقه وتجاربه ، ولن يحصل مع هذا على الحماية الكافية لكثرة الغش وأساليب الحيل الماكرة، أما الإسلام فإنه يوفر له الحماية الكاملة من خلال نظامه العام. طالما هو في حاجة إليها، ولا غنى لأحد عنها لكنه عند إيناس الرشد، وبلوغ الحلم، جاز له أن يستقل بنفسه والنظر لها، لمعرفته بما يصلح شأنه، ويبصره بوجوه الأخذ والعطاء؛ لأنه في هذه الحال يزول عنه اسم اليتيم [1].

الوصية السابعة: إيفاء الكيل والميزان بالقسط.

* قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢] .

تدل الآيات على أن الإيفاء بالميزان يكون من الجانبين: حين البيع، وحين الشراء، فيرضى المرء لغيره ما يرضاه لنفسه. ويتحرى العدل في الكيل والميزان حال البيع والشراء بقدر المستطاع[2].

(١) انظر: أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر، مرزوق بن هياس الزهراني، ١٠/١٣-١٤.

(٢) انظر: تفسير المراغي، أحمد المراغي، ٨/١٧٠.

وترى الباحثة: أن هذه الوصية تمثل مبدأ العدل في التعامل، والتعادل بين صاحب الحق ومن له الحق، وحال الناس لا تستقيم إلا بالتعامل وتبادل المنافع. والكيل والوزن هما من أظهر الوسائل في ذلك، فلا بد أن يكونا منضبطين وقائمين على القسط والعدل، بقدر الطاقة، ذلك لأن التبادل التجاري لا يمكن أن يتحقق على وجه كامل من المساواة والتبادل، وهذه الوصية تجمع في ثناياها بين الدقة والسماحة، وبين الضبط ورفع الحرج.

الوصية الثامنة: العدل في القول.

* قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام:١٥٢] .

تدعو الآيات إلى تحري العدل في كل أحواله ولو إزاء أقرب المقربين إليه [١]، فكما أن العدل واجب في الأفعال كالأوزان والمكاييل، فهو كذلك واجب في الأقوال التي تبنى عليها المعاملات بين أفراد المجتمع؛ لأن العدل أساس عظيم تصلح به شئون البشرية جمعاء، فالعدل أساس المدنيات، وركن تقوم عليه حضارة الأمة، وبه يشمخ البناء، وتعلو صروح الفضيلة في المجتمع، وهو أساس دوام الملك، والمحور الذي يرتكز عليه النظام الإنساني في كل ما يتعلق بحياة هذا المخلوق، فيقرر الرب ﷻ أنه لا يجوز لمؤمن أن ينتهك حمى العدل [٢].

الوصية التاسعة: الوفاء بالعهد الإلهي.

* قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢] .

أي كونوا أوفياء مع الله في كل ما عهد إليكم به من العبادات والمعاملات وغيرها. إذ الوفاء أصل من الأصول التي يتحقق بها الخير والصلاح، وتستقر عليها أمور الناس [٣].

الوصية العاشرة: الالتزام بصراط الله المستقيم.

* قال تعالى:﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].

أي: "هذه الأحكام وما أشبهها، مما بينه الله في كتابه، ووضحه لعباده، صراط الله الموصل إليه، وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر" [٤].

---

(١) التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٢٢١/٥.

(٢) انظر: أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر، مرزوق بن هياس الزهراني، ٢٣/٧١.

(٣) التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٢٢١/٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص ٢٨٠.

وترى الباحثة: أن في هذه الوصية تمثل خلاصة الدين كله؛ لأن من التزم بصراط الله فقد اهتدى إلى سواء السبيل، وسلك طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

والالتزام بسبيل الله يعصم من الزلل، ويحمي من السوء، ولأن الصراط هو دين الله وطريقه الذي لا عوج فيه ولا أمتاً.

فمن الواجب على كل مسلم أن يسلك هذا السبيل، ويهتدي بهذا الصراط، ويترك السبل الباطلة، والطرق المعوجة، والمبادئ الفاسدة، والأديان المنسوخة.

منهجيات الإصلاح والتغيير في الوصايا العشر:

١- إن المتأمل في هذه الآيات يراها قد رسمت للإنسان علاقته بربه علاقة ينال بها السعادة والثواب، ورسمت له علاقته بأسرته بحيث تقوم على المودة والمحبة وإصلاح النفس، وسدت في وجهه أبواب الشر التي تؤدي إلى انتهاك حرمات الأنفس والأموال والأعراض، وقد أطلق العلماء على هذه الآيات الكريمة اسم (الوصايا العشر) نظراً لتذييل آياتها الثلاث بقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ [١].

٢- اشتملت هذه الآية الكريمة على جملة من الوصايا الراشدة والتي في مقدمتها مراعاة حقوق الله تعالى فدعت إلى اجتناب الشرك بجميع صوره ومظاهره، وهذا يعني إخلاص العبادة لله تعالى فلا رب غيره ولا معبود سواه، والعقيدة الصحيحة هي الركن الأول من أركان الإسلام، والأساس الرابع لهذا البنيان الشامخ، كما أوصت بالإحسان إلى الوالدين ومراعاة حقوق الأولاد، والنهي عن اقتراب الفواحش ما ظهر منها وما بطن إلى آخر تلك الوصايا الخالدة التي جمعت بين ترسيخ العقيدة الصحيحة وتقرير الأحكام الشرعية والدعوة إلى مكارم الأخلاق [٢].

٣- تضمنت الآيات الكريمة دعوة إلى تعقل مقاصد الأحكام الشرعية وتبصر حكمها البالغة، ومراعاتها لمصالح الدين والدنيا، وحرصها على صلاح النفس والمجتمع، وتدركون عظمها عند مُشَرِّعها [٣].

٤- لا ينتظر المسلم حتى يصلح شأن المجتمع، بل يصلح من نفسه أولاً [٤].

---

(١) التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٢١٢/٥ بتصرف يسير.

(٢) التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، أحمد الشرقاوي، ص ١٨٢.

(٣) نفس المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٩٩١/٧.

٥- قرن الله ﷻ الإحسان في الوالدين بعد عبادته لأن أعظم أنواع النعم على الإنسان نعمة الله تعالى، ويتلوها نعمة الوالدين لأن المؤثر الحقيقي في وجود الإنسان هو الله سبحانه، وفي الظاهر هو الأبوان، ثم نعمهما على الإنسان عظيمة، وهي نعمة التربية والشفقة والحفظ من الضياع والهلاك في وقت الصغر [١].

٦- لا يأتي المسلم إلى مقدمات الفواحش بأن يلقي نظرة أو يحدق النظر إلى محرمات غيره، وكذلك المرأة التي تتبرج، إنها تقوم بالإقبال على مقدمات الفواحش، فإذا امتنعت عن المقدمات أمنت الفتنة والزلل، واستبرأت لدينها وعرضها، ولا بد أن تكون الحياة نظيفة، ظاهرة لجميع الأفراد، ولا تشوبها شائبة الدنس أبداً، ولا يتأتى إلا إذا ترك المسلم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن؛ لأنه يلاحظ أن كل الأولاد غير الشرعيين يُهْمَلون، فالحق ﷻ يريد طهارة الأنسال في الحياة، حتى يتحمل كل واحد مسئولية نسله، ويكون محسوباً عليه أمام المجتمع [٢].

٧- يحذرنا سبحانه من أن نقتل النفس إلا بالحق، لأن النفس أصل استبقاء الحياة [٣]، والمجتمع الذي يبيح قتل الأولاد خوفاً من الفقر أو خوفاً من العار، لا يمكن أن يصلح شأنه، لأنه مجتمع نفعي تسوده الأثرة والأنانية [٤].

٨- نهى الله تعالى أن يقربوا مال اليتيم أو يأخذوه [٥].

٩- العدل هو أساس الحكم السليم: العدل في القول، والعدل في الحكم، والعدل في كل فعل، وخصصت الآية العدل في القول مع أن العدل مطلوب في الأقوال والأفعال، وفي كل شيء، لأن أكثر ما يكون فيه العدل أقوال كالشهادة والحكم، ثم الأقوال هي التي تراود النفس في كل حال، فالإنسان حين تصادفه قضية من القضايا القولية أو العملية يحدث نفسه في شأنها، ويراوده معنى العدل وكأنه يطالبه بأن ينطق به ويؤيده، فيقول في نفسه سأفعل كذا لأنه العدل، فإذا لم يكن صادقاً في هذا القول، فقد جافى العدل وقال زوراً وكذباً [٦]، وبالعدل تصلح شئون الأمم والأفراد، هو أساس الملك، وركن العمران، وقاعدة الحكم [٧].

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٧٨/١٣ بتصرف يسير.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٢٩٨٥/٧-٣٩٨٦.

(٣) نفس المرجع السابق، ٣٩٨٦/٧.

(٤) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ٢١٦/٥.

(٥) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧٣٥/٥.

(٦) المرجع السابق، ٢٢٠/٥ .

(٧) التفسير المنير، الزحيلي، ١٠٠/٨.

١٠- التطفيف بالكيل والميزان هضم للحق وضياع للمال [١]، وعاقبة تطفيف الكيل والميزان وخيمة جداً ومنذرة بعقاب أليم [٢]. الوفاء بالعهد أصل من الأصول التي يتحقق بها الخير والصلاح، وتستقر عليها أمور الناس، وهناك جهوداً غير جديرة بأن تنسب إلى الله، وهي العهود القائمة على الظلم أو الباطل، أو الفساد، فمثل هذه العهود غير جديرة بالاحترام، ويجب العمل على التخلص منها [٣]، كاتفاقيات السلام التي تعقد مع العدو التي فيها ظلم للشعوب، قائمة على باطل فلا تعطي للشعوب حقها، وتعطي العدو الحق في البقاء على الأرض، واغتصابها بموجب هذه العهود، وتحرم الشعوب المظلومة من مقاومة العدو لاسترداد حقها المسلوب بموجب هذه العهود الظالمة.

١١- أمر الله المؤمنين بالصراط المستقيم، ونهاهم عن النكوب عنه باتباع السبل التي تقضي إلى الفرقة والبعد عن الحق [٤] .

المطلب الثاني

عدم الكذب والتنفير منه

أولاً: تعريف الكذب:

١- **الكذب لغة:** الكاف والذال والباء أصل صحيح يدل على خلاف الصدق [٥].

٢- **الكذب اصطلاحاً:** عدم مطابقة الخبر للواقع [٦].

٣- **الكذب عند الجمهور:** "هو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب" [٧].

ثانياً: حكم الكذب:

ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض [٨]، عن عبد الله قال:

---

(١) التفسير الوسيط، الزحيلي، ٦٢٦/١.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ١٠٠/٨.

(٣) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ٢٢١/٥.

(٤) التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، أحمد الشرقاوي، ص ١٨٢.

(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٦٧/٥.

(٦) الكليات، الجرجاني، ص ١٨٣.

(٧) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي، (ت: ١١٥٦هـ)، ١٦٩/٣، مطبعة الحلبي، ١٣٤٨هـ.

(٨) الكبائر: تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، ٧٠/١، دار النبوة الجديدة، بيروت.

قال رسول الله ﷺ: **(إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذاباً)** (١) .

ثالثاً: الكذب والتنفير منه في سياق سورة الأنعام:

سبق أن ذكرت الباحثة أن سورة الأنعام أصل في محاجة المشركين، وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي شُبَه المكذبين ومواقفهم من الرسل، وتقص عليهم ما حاق بأمثالهم من السابقين، وتذكر شُبَههم في الوحي والرسالة، وتذكر حالهم يوم البعث والجزاء، حيث ركزت سورة الأنعام كثيراً على حال المشركين، حيث وردت لفظة الكذب في هذه السورة باشتقاقها تسعة عشر مرة حيث ذكرت:

أ- صفات المكذبين:

وصفت السورة المكذبين بعدة صفات منها:

١- **مكذبون للحق مستهزئون به:** قال تعالى: ﴿**فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [الأنعام:٥]، أبانت الآيات سبب إعراض الكفار عن آيات ربهم بعد إتيان النبي ﷺ بها، وهو إشراكهم بالله وتكذيبهم الرسل (٢)، فالكفار يمرون بثلاث مراحل وهي: الإعراض، ثم التكذيب فالاستهزاء(٣)، أي أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب؛ لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب وأولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء، لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين (٤).

وترى الباحثة: أن التكذيب والإعراض عن هذه الآيات الهائلة، والحق منكراً قبيحاً، لا سند له، ولا عذر لصاحبه، وعلى المصلحين الاستفادة من هذه الآيات في تحذير العصاة وتنبيههم من العقاب الذي سيحل بهم نتيجة تكذيبهم للحق.

٢- **أنهم فاسقون:** قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأنعام:٤٩]، " كل فسق في القرآن، فمعناه الكذب " (٥).

---

(١) صحيح مسلم، ٢٠١٢/٤، ح (٢٦٠٧)، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٣٨/٧.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، ٣٥٠٥/٦.

(٤) الكشاف، الزمخشري، ٦٣٦/٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٣٧٠/١١.

٣- **أنهم مفترون على الله في ادعائهم النبوة والرسالة:** قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:٢١] ، وقال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢٤] ، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [الأنعام:٩٣] ، وكثيراً ما ربطت الآيات بين الافتراء والكذب، فالكذب هو الكلام المفترى، المخالف للحقيقة والواقع، الملفق والمزين بالباطل، مع الإصرار عليه، بهدف تكذيب الحق، وتصديق الباطل لإغواء الآخرين وخداعهم وإفسادهم [١] . والافتراء هو اختلاق الكذب، وهو يتضمن معنى الكذب، ولكن صرح بالكذب، لبيان شدة اقترانهم، واختلافهم، وكلامهم الباطل الذي ليس له أصل من الحق أو الحقيقة كعبادتهم الأوثان، وادعاء أنهم يقربونهم إليه زلفى، وكادعاء النصارى أن لله ولداً، وأنه إله، وكتحريم المشركين بعض النعم على أنفسهم، وتحريم البحيرة والموصولة، وغير ذلك، وكافترائهم على الله بأنهم أولياؤه وأحباؤه، فهؤلاء في أشد أحوال الظلمة [٢].

ولكن يمكن أن يفرق بين الافتراء والكذب بأن:

الكذب قد يقع على سبيل الإفساد، وقد يكون على سبيل الإصلاح، كالكذب للإصلاح بين المتخاصمين، أما الافتراء: فإن استعماله لا يكون إلا في الإفساد [٣]، والافتراء أيضاً بمعنى: الكذب المتعمَّد المقصود [٤].

وترى الباحثة: الفرق بين الكذب والافتراء:

الكذب: هو عدم مطابقة الخبر للواقع، أو لاعتقاد المخبر لهما على خلاف في ذلك.

والافتراء: أخص منه، لأنه الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه، ولذا يقال لمن قال: (فعلت كذا ولم أفعل كذا) مع عدم صدقه في ذلك: هو كاذب، ولا يقال: هو مفتر، وكذا من مدح أحداً بما ليس فيه، يقال: إنه كاذب في وصفه، ولا يقال: هو مفتر، لأن في ذلك مما يرتضيه المقول فيه غالباً.

وقال سبحانه حكاية عن الكفار: ﴿افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام:٩٣] ، لزعمهم أنه أتاهم بما لا يرتضيه الله سبحانه مع نسبته إليه.

---

(١) منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الحجر والنحل، إعداد الباحثة/ أمية عبد الله شعبان الغرة، ص ١٧١، إشراف/ د. وليد محمد العامودي، الجامعة الإسلامية – غزة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٢) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٥٩٢/٥.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، ٢٧٧/٥.

(٤) تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، ٣٧٩٥/٦ بتصرف.

ولا أحد أظلم ممن كذب على الله، فجعل له شريكاً أو ولداً، أو ادعى النبوة والرسالة، ولم يرسله الله إلى الناس، وهذا أخطر أنواع الكذب.

٤- إنهم لا يكذبون الرسول بشخصه: قال تعالى: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [الأنعام:٣٣] .

نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، كان يكذب النبي ﷺ في العلانية، وإذا خلا مع أهل بيته قال: ما محمد من أهل الكذب، ولا أحسبه إلا صادقاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية [١].

والحقيقة المستقرة في أذهان الكفار الذين عادوا النبي ﷺ أنه صادق أمين، ما عرفوا عليه كذباً ولا خيانة، لذا فإنهم لا ينسبون إليه الكذب في الأمر الواقع نفسه، ولكنهم يزعمون أن ما جاء به من أخبار الغيب والإيمان بالبعث والجزاء كذب غير واقع [٢].

قال الرازي: " ظاهر هذه الآية يقتضي أنهم لا يكذبون محمداً ﷺ، ولكنهم يجحدون بآيات الله " [٣]، ثم ذكر أربعة وجوه في نفي التكذيب وإثبات الجحود وهي:

١- إنهم ما كانوا يكذبونه في السر، ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية، ويجحدون القرآن والنبوة.

٢- إنهم لا يقولون: إنه كذاب لأنهم جربوه الدهر الطويل، وما وجدوا منه الكذب البتة، وسموه بالأمين، ولكنهم جحدوا صحة النبوة والرسالة، واعتقدوا أنه تخيل كونه رسولاً من عند الله.

٣- إن القوم ما كذبوك، وإنما كذبوني، لأن تكذيب الرسول كتكذيب المرسل، فهم بالرغم من ظهور المعجزات المؤيدة لدعواه، كذبوه، فكان تكذيبهم تكذيباً لآيات الله المؤيدة له.

٤- إنهم لا يخصونك بالتكذيب، بل ينكرون دلالة المعجزة على الصدق مطلقاً، ويقولون في كل معجزة: إنها سحر، فهم بهذا يكذبون جميع الأنبياء والمرسلين.

وترى الباحثة: أنه من المفترض فيهم أن يستقبلوه بما علموا عنه من صفات الخير والكمال، وبما اشتهر به بينهم من الصدق والأمانة، ولكنهم كفروا بالنعم القيمة المتمثلة في رسول الله ﷺ.

---

(١) أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت: ٤٦٨هـ)، ص ٢١٩، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، بيروت ١٤١١هـ .

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ١٨٧/٧.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٠٤/١٢-٢٠٥.

ولقد عالجت السورة وأعطت الرسول ﷺ منهجية التعامل مع أمثال هؤلاء المكذبين أنه حث على الصبر والانتظار لما وعد من النصر المؤزر، فالله ﷻ يبين أنه ليس أول المكذبين، بل سبق إلى ذلك الرسل الصادقون الداعون [1]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤] .

وترى الباحثة: وقد تحقق فعلاً أثر الصبر، ونجحت دعوة الإسلام، وانتشرت في المشارق والمغارب، وظهرت حكمة تكرار التسلية لرسول الله ﷺ بأمثال هذه الآيات مع الأمر بالصبر مراراً وتكراراً لأن التأسي والاصطبار يهوّن المصائب، ويؤذن بالفرج، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] .

ب- عاقبة المكذبين:

ركزت سورة الأنعام على صفات المكذبين من المشركين، وربطت معه العقوبة بأشكال مختلفة للتنفير منه، ومن الآيات:

١- قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام:٥] ، تنذر الآيات عاقبة التكذيب بالحق بدليل ما حلّ بالأمم قبلهم، وتتوعدهم على تكذيبهم بالحق بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وسيجدون عاقبة أمرهم وهزئهم، كالقتل والسّبي والطّرد من البلاد، وقد تحقق ذلك، فنزل بهم القحط، وحلّت بهم الهزيمة يوم بدر وفتح مكة [2].

٢- قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام:١١] ، أبان الله تعالى أن الوعيد بالعذاب سنة الله في المكذبين، وأن الله أهلك كثيراً من الأمم السابقة قبلهم، مثل قوم عاد وثمود وقوم فرعون وإخوان لوط الذين كذبوا رسلهم، بالرغم مما كانوا يتمتعون به من أسباب القوة والسّعة في الرزق، والاستقلال والملك، ما لم يعطي المكذبين مثله، وما لم يمكّن لهم شبيهاً به، لقد كان قوم عاد وثمود وقوم فرعون وإخوان لوط في سعة كبيرة من العيش، وشدة في السلطان، وقوة في الحياة، وسّع الله عليهم الرزق، وأرسل عليهم الأمطار الغزيرة، وجعل الأنهار تجري من تحت بيوتهم ووسط مزارعهم، فلما كفروا بأنعم الله، أهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وبسبب تكذيبهم رسلهم، وأوجد الله من بعدهم قوماً آخرين، وجيلاً جديداً

---

(١) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٤٨٥/٥.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ١٣٨/٧ بتصرف.

يعمرون البلاد، ويكونون أجدر بشكر النعمة [١].

٣- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:٢١] ، تبين الآيات عقوبة الكذب فلا أحد أشد ظلماً من أولئك المشركين الذين كذبوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإن هؤلاء الذين سقطوا في أقصى دركات الكذب لن يفوزوا ولن يفلحوا[٢]، فلا يفلح المفتري ولا المكذب، ولا يفوز أحدهما أو كلاهما وكل ظالم يوم القيامة ، يوم الحساب والجزاء [٣].

٤- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام:٤٩] ، فقد خص الله الذين كذبوا بآيات الله بهذا الوعيد، وهذا يدل على أن من لم يكن مكذباً بآيات الله لا يلحقه الوعيد أصلاً [٤].

ترى الباحثة: أنه من سنن الله في المجتمعات البشرية إهلاك الظالمين المكذبين ولو بعد حين، والكذب آفة ورذيلة، حرمه الله ﷻ على الناس جميعاً، ونفى عن المؤمنين صفة الكذب، فعلى أصحاب العقول النيرة ألا يمروا على هذه الآيات دون أخذ العبرة والعظة مما آل إليه حال المكذبين، وعلى المصلحين والدعاة الاستفادة من هذه الآيات؛ لتذكير العصاة بمصير الأمم السابقة؛ لإصلاح أحوالهم، وإقامة الحجة عليهم، أما المشركين فلا أمل في إصلاحهم وتغييرهم.

رابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في عدم الكذب:

١- الكذب رذيلة وخصلة ذميمة وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب وأقبح الصفات، يقلب الموازين، ويمسخ الحقائق ويشوّه وجه الجمال في كل شيء بداخله، وينبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبه، ويجرّ به إلى الفجور والنفاق [٥].

٢- إن القول بالكذب هو افتراء على الله، ولذلك قيل: الكذب مجانب الإيمان؛ لأنه إذا قال: (كان كذا) ولم يكن ذلك الشيء، فقد زعم أن الله تعالى قد كون ذلك الشيء، ولو أبيح الكذب لم تستقر القلوب على شيء عند وجود الأخبار، فكان القائل يقول والقلب لا يطمئن لقوله؛ لأنه لا يدري أصدق أم كذب، ولا أظلم ممن يكذب على الله تعالى، فيشرع لعباده ما لم يشرع لهم،

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ٥٢٧/٣-٥٢٨.

(٢) التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٥٥/٥ بتصرف.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ١٦٤/٧.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٣٧/١٢ بتصرف.

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ٥١٣/١، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤، جدة، أيسر التفاسير، الجزائري، ١٣٢/٢.

فلما حرم الكذب أبان الصدق، واستقرت القلوب على أخبار القائلين، ومن ظهر كذبه افتضح، وانتهك ستره، وهان، وذل، فوقع الحذر من الكذب، فاطمأنت القلوب لأخبار المخبرين [١].

٣- عدم الكذب يزيد من الإيمان، وفيه صلاح النفس والغير فيدفع المفاسد، ويجلب المصالح، ويعم الخير والأمن والحب والإخاء بين الناس، وهو دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

المطلب الثالث

الجـــدل

إن الله سبحانه ذكر لفظة الجدل وما تصرف منها في كتابه العزيز في تسعة وعشرين موضعاً [٢] دلالة على أهمية هذا الأسلوب إذا استخدم في الحق ودحض الباطل.

أولاً: تعريف الجدل:

١- **الجدل في اللغة:** الجيم والدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام [٣]، مقابلة الحجة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، ويقال: إنه لجدل إذا كان شديد الخصام [٤]، وأصله في جدلت الحبل: أي أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه [٥].

٢- **الجدل اصطلاحاً:** القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان ، أو هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة ، أو شبهة [٦]، وعند المفسرين هو: "المفاوضة على سبيل المغالبة والمنازعة لإلزام الخصم" [٧].

---

(١) المنهيات، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله ، الحكيم الترمذي (ت: نحو ٣٢٠هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، ٩٤/١، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢) استخراج الجدال من القرآن الكريم، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي، أبو الفرج، ناصح الدين ابن الحنبلي (ت: ٦٣٤هـ)، المحقق: الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، ص٤٩، مطابع الفرزدق التجارية، ط٢، ١٤٠١هـ.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٣٣/١.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٠٥/١١.

(٥) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، ص٣٠٩، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٦) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص١٠١، ١٠٢.

(٧) التفسير الوسيط، محمد طنطاوي، ٢٤٥/١٤.

ثانياً: الحكمة من استخدام الجدل في القرآن الكريم:

"إن الحقائق الظاهرة الجلية يلمسها الإنسان وتنطق بها شواهد الكون ولا يحتاج إلى برهان على ثبوتها، أو دليل على صحتها، ولكن المكابرة كثيراً ما تحمل أصحابها على إثارة الشكوك وتمويه الحقائق بشُبَه تلبسها لباس الحق، وترينها في مرآة العقل، فهي في حاجة إلى مقارعتها بالحجة، واستدراجها إلى ما يلزمها بالاعتراف آمنت أو كفرت، والقرآن الكريم – وهو دعوة الله إلى الإنسانية كافة– وقف أمام نزعات مختلفة حاولت بالباطل إنكار حقائقه ومجادلة أصوله، فألجم خصومتهم بالحس والعيان، وعارضهم في أسلوب مقنع، واستدلال ملزم، وجدل محكم "[1].

ثالثاً: أنواع الجدل في القرآن الكريم:

كما سبق لقد وردت لفظة "الجدل" وما تصرف منها في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً منها خمسة وعشرون موضعاً كان الجدل فيها مذموماً، ومنها أربعة مواضع [2] كان الجدل فيها محموداً، وهذا يعني أن أغلب الجدل والجدال مذموم يؤدي إلى المنازعة، وليس فيه فائدة كما يعني هذا أن من الجدل ما هو مفيد ومستحسن وذلك إذا تجرد من الأهواء، وحب التصدر، والأنانية، والقصد إلى الحق، وإلى هذا قصد القرآن الكريم في الآيات المشار إليها في الهامش [3]، فيمكن تقسيم الجدل في القرآن الكريم إلى:

أ- **الجدل المحمود:** هو إقامة الحجة على أهل الإلحاد والبدع [4]، هذا من قبيل المناظرة التي تهدف إلى إظهار الحق، وإقامة البرهان على صحته، وهي الطريقة التي تشتمل عليها جدل القرآن في هداية الكافرين وإلزام المعاندين [5]، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل:١٢٥].

---

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، ص٣٠٩.

(٢) هذه المواضع الأربعة هي قوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [المجادلة:١]، ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ [العنكبوت:٤٦]، ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل:١٢٥]، ﴿**فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ**﴾ [هود:٧٤].

(٣) منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد إدريس الطعان، ص٥، كلية الشريعة – جامعة دمشق.

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف، ١٢٨/١٥.

(٥) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، ص٣١٠.

ب- **الجدل المذموم:** قصد دحض الحق [١]، ومجادلة أهل الأهواء فإنها منازعة باطلة، قال تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالبَاطِلِ﴾ [الكهف:٥٦] [٢]، وما كان بقصد الغلبة والرياء والجدل للباطل، أو بغير علم، أو في مكان غير مناسب، أو لقصد الجدل فقط [٣].

وترى الباحثة أن الجدل الغالب هو الجدل بغير علم وهو ما نراه اليوم كثيراً في مجتمعنا، وخصوصاً فيما يتعلق بأمور الدين، فقد أصبح الدين أشبه ما يكون بالكلأ المباح، يقتحمه كل الناس بعلمٍ وبغير علم، ودون أن يُراعى فيه أي تخصص، بخلاف العلوم الأخرى فإن لها أسيجة من الحصانة والحماية.

رابعاً: نماذج من الجدل في سياق سورة الأنعام:

إنَّ الناظر في آيات القرآن وخاصة سورة الأنعام يجد أنهما يدوران في مجادلة أهل الكتاب على محورين أساسين هما:

١- مجادلة الباطل للحق:

أ. قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام:٢٥]، وهذا غاية الظلم والعناد، أن الآيات البينات الدالة على الحق، لا ينقادون لها، ولا يصدقون بها، بل يجادلون بالباطل الحقَّ ليدحضوه [٤]، فيجعلون كلام الله وهو أصدق الحديث، خرافات وأكاذيب [٥]، ويصفونه أنه من جنس سائر الحكايات المكتوبة، والقصص المذكورة للأولين [٦].

ب. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]، سبب نزول الآية: إن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ قال: الله قتلها، وقالوا: فتزعم إن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الصقر والكلب حلال وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية [٧]، إن شياطين الإنس يوسوسون إلى أصدقائهم ليجادلوا المؤمنين في أمر ما أبيح من لأطعمة وما لم يبح، فقد روى أن بعض المشركين من قبل كان يقول للمؤمنين: ما ذبحه الله لا تأكلونه، وما ذبحتموه تأكلونه، وإنهم

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف، ١٢٨/١٥ بتصرف.

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، ص٣١٠.

(٣) منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد إدريس الطعان، ص٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٢٥٣.

(٥) الكشاف، الزمخشري، ١٤/٢.

(٦) مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٠٦/١٢.

(٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ١٨٦/٤.

يفعلون ذلك ليثيروا جدلاً بين المؤمنين؛ ليشككوهم في أمر دينهم، والجدل في غير موضع الجدل إثارة للريب والشكوك وإثارة الريب تضعف الإيمان بالحق، وتفتح الأبواب للباطل، وإذا فتحت الأبواب للباطل في القلوب ضلت الأفهام وارتابت العقول والنفوس؛ فأصلحت الآيات وحذرت المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]، أي إن ساير المؤمنين المشركين في جدلهم، وفتحوا لهم صدورهم، فإنهم يجرونهم إلى طاعتهم، وإن أطعوهم إنهم لمشركون مثلهم [١]، والمجادلة كانت في تحليل أكل الميتة [٢].

وترى الباحثة: أن الذين يجادلون في الحق بغير حجة ولا برهان إنما يدفعهم إلى هذا كبر في نفوسهم عن الحق، وهم أصغر وأحقر من هذا الكبر، والرد على هذا الجدال الباطل، هو إصلاح وتغيير مما فسد من العقائد والمبادئ والقيم والأخلاق، وإثبات وحدانية الله وإقامة الحجة عليهم بالبراهين والأدلة وإلزامهم بالحق في أسلوب واضح وجلي وهذا الذي تحقق في سورة الأنعام.

٢- مجادلة الحق للباطل:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٩]، فرض النص الكريم أن خصومة بين محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الداعي إلى الوحدانية، والمشركين الذين يرتعون في الوثنية، وأن هذه الخصومة تحتاج إلى شاهد يشهد، وأنه لابد من شاهد يفصل، وحاكم يحكم ويقضي، فأمر الله نبيه في بيان رائع حكيم، أن يسأل المشركين عن أي شيء في هذا الوجود أكبر وأعظم وأقوى وأزكى شهادة بحيث تقبل شهادته ولا ترد، ثم نبههم إلى الإجابة السلمية للسؤال التنبيهي التي لا تقبل مراء ولا جدلاً، وهو أن أكبر شهادة هي شهادة الله ﷻ، الذي خلق الكون وهو الذي يحوط كل ما فيه بالحياطة الكاملة، والتهذيب والتربية في هذه الخصومة التي رضيتموها، هي خصومة الباطل مع الحق [٣]، وأوحى الله تعالى القرآن الكريم الشاهد على صحة الرسالة؛ لينذر به بما فيه من الوعيد الموجودون ومن سيوجد إلى يوم القيامة [٤]، ويخاطب المشركين من أهل مكة أَتَشْهَدُونَ أَنَّ معَ اللهِ آلِهةً أخرى وهي الأصنام التي كنتم تعبدونها وتقولون: إنها بنات الله فإن شهدوا على ذلك قلْ لهم يا محمد: لا أشهدُ أي بما تذكرونه من إثبات الشركاء قُلْ إنما أشهد أن لا إله إلا هو وأنا بريء من إشراككم بالله تعالى في

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٦٥٢/٥.

(٢) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص٣٧٣.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٤٦٤/٥.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، ١١٨/٣.

العبادة الأصنام [1].

خامساً: نماذج من أساليب الاستدلال على وجود الله في سياق سورة الأنعام [2]:

أ- منهج ذكر الآيات الكونية المقرونة بالنظر والتدبر للاستدلال على أصول العقاد كتوحيده سبحانه في ألوهيته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهذا النوع كثير في القرآن وخاصة سورة الأنعام، منه قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام:٩٥-٩٩].

ب-منهج تقرير المخاطب بطريق الاستفهام عن الأمور التي يسلم بها الخصم، فمنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٤].

ج- منهج الاستدلال بالمبدأ على المعاد، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢].

د- منهج إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١]، رداً على اليهود فيما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١].

هـ- منهج السبر والتقسيم: بحصر الأوصاف، وإبطال أن يكون واحد منها علة للحكم، كقوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ

---

(١) انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، ٣١١/١، دار الكتب، ط١، العملية- بيروت، ١٤١٧هـ.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص٣١٣.

﴿أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:١٤٣-١٤٤].

و- منهج إفحام الخصم وإلزامه ببيان أن مدعاه يلزمه القول بما لا يعترف به أحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٠٠-١٠١]، فنفي التولد عنه لامتناع التولد من شيء واحد، وأن التولد إنما يكون اثنين، وهو سبحانه لا صاحبة له، وأيضاً فإنه خلق كل شيء، وخلقه لكل شيء يناقض أن يتولد عنه شيء، وهو بكل شيء عليم، وعلمه بكل شيء يستلزم أن يكون فاعلاً بإرادته، فإن الشعور فارق بين الفاعل بالإرادة والفاعل بالطبع فيمتنع مع كونه عالماً أن يكون كالأمور الطبيعية التي يتولد عنها الأشياء بلا شعور – كالحار والبارد- فلا يجوز إضافة الولد إليه.

سادساً: منهجيات الإصلاح والتغيير في الجدل:

١- جواز الجدال والحجاج لإحقاق الحق أو إبطال الباطل [١]، وقد بينت الآيات في سورة الأنعام شبهات المشركين وبطلانها، ودحضت حججهم أمام الحجج الإلهية القاطعة وألزمتهم بالحجة، فحقت الحق وأبطلت الباطل [٢].

٢- الجدال محمود إذا كان بقصد تقرير الدين الحق، ومذموم إذا كان لتقرير الدين الباطل [٣]، لا بد على المصلحين أن يكون جدالهم محموداً يهدف إلى نصرة هذا الدين، كما كان جدال الأنبياء السابقين.

٣- لكي يتحقق الهدف من الجدل لا بد من إصلاح وتغيير لما فسد من العقائد والمبادئ والقيم والأخلاق، وإثبات الوحدانية لله ﷻ، وهو الجدل الذي استخدمه القرآن الكريم للمشركين في إثبات الوحدانية لله ﷻ، وإقامة الحجة عليهم بالبراهين والأدلة، وإلزامهم بالحق بأسلوب واضح وجلي [٤].

---

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، ١٣٢/٢.

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٩١/٨.

(٣) انظر: تفسير المنير الزحيلي ، ٢٧٤/٧.

(٤) انظر: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الحجر والنحل، أمية الغرة، ص ١٠٠.

٤- علّم الله تعالى إبراهيم ﷺ كل أنواع الحجج العقلية التي يفحم بها قومه، ويبطل شبهاتهم ومزاعمهم بدليل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام:٨٣] (١)، لا بد على كل مصلح أن يتعلم هذه الأساليب التي استخدمها سيدنا إبراهيم ﷺ في مجادل الخصم والتعامل معه.

٥- الجدل في غير موضع الجدل إثارة للريب والشكوك وإثارة الريب تضعف الإيمان بالحق، وتفتح الأبواب للباطل، وإذا فتحت الأبواب للباطل في القلوب ضلت الأفهام وارتابت العقول والنفوس.

وترى الباحثة:

١- إن المعركة قائمة بين أهل الكتاب والمشركين وبين أهل الإسلام إلى قيام الساعة

٢- إن البشرية اليوم تتخبط في جدالاً وشكوك لن ينجيها منها إلا الهداية إلى الإسلام .

٣- بدأ كثير من الناس في الأرض يرمون بأبصارهم نحو الإسلام بعضها ينظر إليه باعتبار أنه العقيدة المؤهلة لتسود العالم أجمع في المرحلة المتبقية من عمر الدنيا والبعض الآخر يراه المنافس الأقوى لدينه ومبادئه فتحمله عقيدته ومصالحه الخاصة على الدس والتشويه والطعن في الإسلام وأهله وافتعال المعارك وتأجيج رحى الحرب على كافة المستويات كما هي عادة أئمة الكفر، وآخرها تشويه صورة نبي الأمة محمد ﷺ بأفلامهم المسيئة له وللإسلام والمسلمين.

٤- تبقى شرائح كبيرة من الناس في العالم تائهة ضالة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء... أفيتركون كلاً مباحاً لدعاة التقريب بين الأديان؟ إنّ الواجب في مثل هذه الأزمان على من أعطاه الله هدى وتوفيقاً وعلماً وبصيرة أن يوصل ما خوله الله من نعمته إلى من به إليه حاجة من البشر وحَقٌ على علماء أمة الإسلام ودعاتها ومثقفيها المخلصين أن يتهيأوا لقيادة العالم كلٌ وما يستطيع، فالمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة موالية لله ولرسوله ولعباده المؤمنين معادية لأعداء الله ورسوله وأعداء عباده المؤمنين وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب الجند الذي لا يخذل فإنهم هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة.

المطلب الرابع

الابتلاء سنن الله في الأرض

لا يخفى على أحدٍ أن الحياة الدنيا مليئة بالمصائب والبلاء، وأن كل مؤمن ومؤمنة عرضة لكثير منها: فمرة يُبتلى بنفسه، ومرة يبتلى بماله، ومرة يبتلى بحبيبه، وهكذا تُقلَّب عليه الأقدار من

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٧٤/٧.

لدن حكيم عليم، وإذا لم يحمل المؤمن النظرة الصحيحة للبلاء فسوف يكون زهُ أكبر من صوابه، ولا سيما أن بعض المصائب تطيش منها العقول لضخامتها وفُجاءتها.

أولاً: تعريف الابتلاء:

١- **الابتلاء في اللغة:** هو مصدر بلوى، الباء واللام والياء، أصلان: أحدهما إخلاق الشيء، والثاني نوع من الاختبار، ويحمل عليه الإخبار أيضاً، وبَلِيَ الثوب بِلَى وبَلاَءً، أي: خلق، ومنه قيل لمن سافر: بلو سفر وبلي سفر، أي: أبلاه السفر، وبَلَوْتُهُ: اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له، وقيل: بلوت فلاناً: إذا اختبرته، وسمِّي الغم بلاءً من حيث إنه يبلي الجسم[١]، ويكون البلاء في الخير والشر، والله تعالى يبلي العبد بلاءً حسناً وبلاء سيئاً [٢] .

وترى الباحثة: أن الابتلاء في اللغة ورد بمعاني متعددة منها الاختبار، والامتحان، والإخبار.

٢- **الابتلاء اصطلاحاً:** تذكر الباحثة عدة تعاريف منها:

* الابتلاء هو الاختبار، أي معرفة حال المختبر بتكليفه بأمور يشق عليه فعلها أو تركها، ليجازيه عليها [٣].

* الابتلاء هو امتحان إن نجحنا فيه فهو خير، وإن رسبنا فيه فهو شر، فالابتلاء ليس شراً، ولكنه مقياس لاختبار الخير والشر [٤].

* ابتلاء العباد، ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء لأنه عالم بهم، وبما يملكون منهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم، حتى يعرف بعضهم بعضاً [٥].

وترى الباحثة: الابتلاء هو الاختبار من الله ﷻ لعباده، قد يكون في الخير أو الشر، ففي الخير يكون منحة فيتطلب الشكر لله تعالى، وفي الشر يكون محنة فيتطلب الصبر.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ١٤٥/١، دار القلم، الدار الشامية، ط١، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٩٣/١.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٣٠٢/١.

(٤) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٥٦٩/١.

(٥) تفسير القرآن، السمعاني، ١٣٤/١.

ثانياً: صور الابتلاء في سياق سورة الأنعام:

١- الابتلاء يكون بالبأساء والضراء:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام:٤٢] ، إن من سنة الله التشديد على عباده، ليرجعوا عن غيهم، ويعودوا إلى رشدهم فاختبرهم بالبأساء والضراء، أي بالفقر وضيق العيش والمرض والسقم والألم، لعلهم يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون إذ الشدائد تصقل النفوس، وتنبت الرجال وتهذب الأخلاق [١] .

٢- الابتلاء بالتفاوت بين الناس:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥] ، أي ليعاملكم معاملة من يختبركم فيما آتاكم من مال، أو رفعة معنوية دينية حيث يزدري الكافرون الأغنياء المؤمنين الفقراء، فيضيفون كفراً إلى كفرهم، ويضيف أهل الإيمان إيماناً إلى إيمانهم بصبرهم على الأذى، وليختبر الغني في غناه فيشكر أم يكفر، ويختبر الفقير في فقره فيرضى ويصبر فيؤجر، أم يجزع ويكفر فيعاقب، فالغنى نعمة يختبر صاحبها، والفقر بأس يختبر صاحبه، والعاقبة إما عقاب، وإما غفران ورحمة، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥] [٢] .

٣- ابتلاء الأمة الإسلامية بالفرقة والاختلاف والتنازع:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥] ، إن الله هو القادر على إنزال العذاب عليكم بألوان مختلفة، تارة من فوقكم كالرجم والحجارة، كما حدث لقوم لوط وأصحاب الفيل، والصيحة وهي الصوت الشديد المهلك، كما حدث لثمود وهم أصحاب الحجر ، والطوفان كما حدث لقوم نوح، وتارة من تحتكم كالزلزال والبركان والخسف المعهود فيما سبق كما حدث لقارون، وتارة أن يخلط عليكم أمركم ويجعلكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى، كل فرقة منكم مشايعة لإمام، وأن ينشب القتال بينهم، فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال [٣]، وأن الذي يحدث فقط هو أن يذيق الله الناس بعضهم بأس بعض، ويصير بعض من الناس ظالماً للبعض الآخر، وعندما نرى الناس تشكو،

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٩٩/٧-٢٠٠.

(٢) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧٦٩/٥.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٣٩/٧-٢٤٠ .

نعلم أن الناس كلها مذنبة، وما دام الكل قد أذنب، وخرج عن منهج الله، فلا بد أن يسلط الحق بعضنا على بعض، حتى يعرف الجميع أنهم قد انفلتوا عن منهج الله، لذلك يلقون المتاعب، ولن يرتاحوا إلا إذا عادوا إلى أحضان منهج الله، لأن منهج الله يمنع أن يتكبر إنسان مؤمن على أخيه المؤمن، والكل يسجد لإله واحد، ولهذا وضع الحق لنا العبادات الجماعية حتى يرى الضعيف في سلطان الدنيا القوي في السلطان، وهو يشترك معه في السجود للإله الواحد [1].

وترى الباحثة: أنه يُرى أن الحق يلبس الناس شيعاً، ويُرى المنسوبين إلى الإسلام يذبح بعضهم بعضاً لسنوات طويلة، وإذا كان هؤلاء وأولئك طائفتين مؤمنتين تتقاتلان فأين الطائفة الثالثة التي تفصل بين الطائفتين مصداقاً لقوله الحق: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الحجرات:٩] ، ها هو ذا الدم المنسوب على الإسلام يسيل ويزداد عدد الضحايا، ومن العجيب أن الآخرين يقفون موقف المتفرج، أو يمدون كل طائفة بأدوات الدمار، وذلك يدل على أن المسألة طامة وعامة.

وهناك قاعدة تقول: أنه لا يوجد صراع بين حقين لأنه لا يوجد في الأمر الواحد إلا حق واحد، ولا يطول أبداً الصراع بين الحق والباطل، لأن الباطل زهوق وزائل، ولكن الصراع إنما يطول بين باطلين؛ لأن أحدهما ليس أولى من الآخر بأن ينصره الله.

ثالثاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في سنة الابتلاء:

١- " الناس في الدنيا درجات في الخلق والرزق، والقوة والضعف، والبسطة والفضل، والعلم من أجل الابتلاء، أي الاختبار، فيظهر من الناس ما يكون غايته الثواب والعقاب، ويختبر الموسر بالغنى ويطلب منه الشكر، ويختبر المعمر بالفقر ويطلب منه الصبر " [2].

٢- إن الآلام علاج النفوس المغرورة بزخارف الدنيا، ومتاعها إن كانت صالحة للعلاج، وقد يستعصي الداء ويصعب العلاج، وإن الله تعالى عالج الأمم بالآلام عساهم يخضعون، ويبتعد الغرور عن نفوسهم.

٣- لا ينس المصلح أن يبحث في البلاء عن الأجر، ولا سبيل إليه إلا بالصبر، ولا سبيل إلى الصبر إلا بعزيمة إيمانية وإرادة قوية.

---

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٦٩٩/٦.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ١٣٢/٨.

٤- على المصلح ذكر الله تعالى شكراً على العطاء، وصبراً على البلاء الذي يتعرض له من الذي يريد إصلاحهم، وليكن ذلك إخلاصاً وخفية بينه وبين ربه.

٥- إذا أُصيب المسلم بأمر عارض، عليه أن يحمد الله أنه لم يصب بعرضٍ أشدَّ منه، وأنه وإن ابتلاه فقد عافاه، وإن أخذ منه فقد أعطاه.

٦- ولا ينس المسلم أنه إذا أصابته أي مصيبة أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرْني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها [١] .

٧- إن البلاء يذكر المسلم بساعةٍ آتيةٍ لا مفر منها، وأجلٍ قريبٍ لا ريب فيه، وأن الحياة الدنيا ليست دار مقر.

المطلب الخامس

التحذير من الشيطان

إن القرآن الكريم قد أطنب في التحذير من العدو اللدود من الشيطان فما من صفحة فيه إلا وفيها آية تكشف لنا كيده، وقد لا يلتفت المبتدي والعامي إلى مغزى هذا الاهتمام في القرآن بهذا الخطر إلا الناظر في السيرة المطهرة المحلل لتاريخ الأمة المتأمل في التجارب الحاضرة الراصد لأسباب الضعف والخلاف: يدرك بوضوح أنه وراء كل فتنة وشر، وسبب كل تخذيل وتعويق.

أولاً: تعريف الشيطان:

١- **الشيطان لغة:** ترجع في اشتقاقها إلى جذرين:

الجذر الأول: شَطَنَ: الشطن الحبل الطويل الشديد الفتل يستقي به وتشد به الخيل، والجمع أشطان، والشاطن: البعيد عن الحق [٢]، و(الشيطان) معروف وهو كل عات متمرد من الإنس والجن والدواب شيطان، والعرب تسمي الحية شيطاناً، وقوله تعالى: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الصَّافات:٦٥] [٣].

الجذر الثاني: شَيَطَ: شاطَ الشيءُ شَيْطاً وشِياطة وشَيْطوطةٌ: احتَرَقَ: وأَشَاطَه وشَيَّطَه، وشَاطَتِ القِدْر شَيْطاً تَرقَتْ، وقيل: احتَرَقَتْ ولَصِق بها الشيء، وأَشَاطَا هو وأَشَطْتُا إشاطة، ومنه قولُهم:

---

(١) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ١/١٣٥.

(٢) انظر: لسان لعرب، ابن منظور، ١٣/٢٣٧.

(٣) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ص ١٦٥، المكتبة المصرية، الدار النموذجية، ط٥، بيروت، صيدا، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

شاطَ دمُ فلانٍ، أي ذهب، وَاَشَطْتُ بِدَمِه [1].

وترى الباحثة: مهما يكن مرجع هذه اللفظة سواء أكانت من (شطن)، بمعنى صد عن الحق والخير، أو من (شيط) بمعنى احترق وبطل، فإن كلا المعنيين لصيق بمفهوم هذه اللفظة في اللغة والشرع، فهو بعيداً دائماً وأبداً عن الحق والخير، وهو الهالك الباطل.

٢- **الشيطان شرعاً:** مقصود به عاصي الجن، والجن جنس مقابل للإنس، وما دام في الإنس طائعون وعاصون، فكذلك في الجن طائعون وعاصون، والعاصي من الجن يُسمى شيطاناً [2].

ثانياً: لفظة الشيطان في السياق القرآني:

لقد وردت لفظة الشيطان وتصريفاتها المختلفة (شيطاناً، شياطين، شياطينهم) ثمان وثمانين مرة، منها تسع وستون مرة بـ (ال) أو بالوصف، أو مرة واحدة بلفظة (شيطاناً) نكرة، وثمانية عشرة مرة بلفظة (شياطين) معرفة بـ (ال) وبالإضافة.

أما على الصعيد المكي والمدني من السور، فلقد وردت لفظة الشيطان واشتقاقها ثلاثاً وخمسين مرة في ثنايا السور المكية، وخمساً وثلاثين مرة في السور المدنية.

ووردت هذه اللفظة وتصريفاتها ست وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم، واحتلت السور الواقعة في أول المصحف العثماني القدر الأكبر منها فأخذت البقرة، والنساء، والأعراف ثمانية لفظات لكل سورة، ثم تلتها في الترتيب سورة الأنعام سبت لفظات، ثم الإسراء، ومريم بخمس لفظات لكل سورة، ثم الحج والمجادلة بأربع لفظات بكل سورة، ثم آل عمران، ويوسف ثلاث لفظات لكل سورة، وباقي السور بلفظتين، أو لفظة واحدة [3].

وترى الباحثة من هذه الإحصائيات أن الشيطان عنصر ضلال وإضلال، وجب الحذر منه.

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٣/٢٣٧-٢٣٨.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٦/٣٧١٩-٣٧٢٠.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٤٨٥، الشيطان وخطواته، إعداد الطالب: وائل عمر علي بشير، إشراف الدكتور عبد السلام حمدان اللوح، ص ٨، الجامعة الإسلامية، غزة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

ثالثاً: خطوات الشيطان في سياق سورة الأنعام:

والخطوات جمع بالضم، وهي المسافة التي بين القدمين، ومن بالغ في اتباع ماش يتبع خطواته كلما انتقل تأثره فوضع خطوة مكان خطوة، [1]، وطرق الشيطان، أي لا تسلكوا الطريق الذي يسوله لكم الشيطان [2]، ومن خطوات الشيطان في سورة الأنعام كالآتي:

١- **التزين:** قال تعالى: ﴿**فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام:٤٣] ، والتزيين له معان، **أحدها** إيجاد الشيء حسناً مزيناً في نفس الأمر كقوله تعالى: ﴿**زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا**﴾ [الصَّافات:٦] ، **والثاني** جعله مزيناً من غير إيجاد كتزيين الماشطة العروس، **والثالث** جعله محبوباً للنفس مشتى للطبع وإن لم يكن في نفسه كذلك، وهذا إما بمعنى خلق الميل في النفس والطبع، وإما بمعنى تزويقه وترويجه بالقول، وما يشبه كالوسوسة والإغواء، وعلى هذا يبنى أمر إسناده فإنه جاء في النظم الكريم تارة مسنداً إلى الشيطان كما في هذه الآية، وتارة إليه سبحانه كما في قوله سبحانه: ﴿**كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ**﴾ [الأنعام:١٠٨] ، فإن كان بالمعنى الأول فإسناده إلى الله تعالى حقيقة، وكذا إذا كان بالمعنى الثالث بناء على المراد منه أو لا، وإن كان بالمعنى الثاني أو الثالث بناء على المراد منه ثانياً فإسناده إلى الشيطان أو البشر حقيقة، ولا يمكن إسناد ما يكون بالإغواء والوسوسة إليه سبحانه كذلك [3] .

٢- **النسيان:** قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام:٦٨] تدل الآيات أنه يجوز وقوع النسيان على النبي بغير وسوسة الشيطان لقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾ [الكهف:٢٤] ، وقد وقع النسيان من آدم عليه السلام: ﴿**فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾ [طه:١١٥] ، ومن موسى عليه السلام قال: ﴿**لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ**﴾ [الكهف:٧٣] ، أما في تبليغ الوحي والدين المنزل من الله، فإن الأنبياء معصومون عن نسيان شيء مما أمرهم الله بتبليغه من حلال أو حرام، لقوله تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة: ١٦-١٩] ، وإنساء الشيطان للإنسان بعض الشيء ليس من قبيل التصرف فيه، والسلطان عليه لقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى**

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٢٣/٨.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٦٦/١٣.

(٣) روح المعاني، الألوسي، ١٤٣/٤.

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠] [١].

وترى الباحثة في هذه الخطوة، لطالما أوقعت عباد الله في شرك البعد عنه، ونسيان فرائضه، وقد تولى عبر هذه الخطوات في عصرنا هذا شياطين الإنس بما لهم من دويّ، عجيب على أصدقائهم وهم يتسللون إلى ذلك المأرب من باب الرفقة والصحبة، وكم من صديق ألهى صديقه عن ذكر الله، وأغفله عن حدوده، فأنشأت لأجل ذلك المؤسسات والجمعيات ودور الشباب، ممن يعمدون إلى شغل أوقات الشباب عن ذكر الله وتضييعها في ما يغضب الله ﷻ.

٣- **الاستهواء:** قال تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١] ، أي أضلته الشياطين وغلبته حتى هوى وهوى إلى الشيء، أسرع إليه [٢]، واستهوته الشياطين، أي طلب هواه، واستولى عليه بوجهه كيف شاء، كالذين يصنعون ذلك بالنوم، والاستيلاء على الحس، والشياطين هم الذين يضلون، ومن ذلك الأوهام التي تعتري من يسير في صحراء قفراء يتلمس المرشد في مهامه الأرض، فيسمعه الوهم نداء يسير به في طريق الضلال، وسماهم الله تعالى شياطين تستهوي الأنفس، فيسيرون وراء هذه الأوهام والضلال كما قال المفسرون [٣].

وترى الباحثة أنه ضرورة رفض منهج أهل الضلال، ومسلك أهل الشرك والأهواء.

٤- **الإيحاء بالمجادلة:** قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١] ، والظاهر أن الشياطين هنا هم شياطين الإنس يوسوسون إلى أصدقائهم ليجادلوا المؤمنين في أمر ما أبيح من الأطعمة، وما لم يبح، فقد روي أن بعض المشركين كما روينا من قبل كان يقول للمؤمنين: ما ذبحه الله لا تأكلونه، وما ذبحتموه تأكلونه، وإنهم يفعلون ذلك ليثيروا جدلاً بين المؤمنين، ليشككوهم في أمر دينهم، والجدل في غير موضع الجدل إثارة للريب والشكوك وإثارة الريب تضعف الإيمان بالحق، وتفتح الأبواب للباطل، وإذا فتحت الأبواب للباطل في القلوب ضلت الأفهام، وارتابت العقول والنفوس [٤].

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٤٨/٧.

(٢) جامع الأحكام، القرطبي، ١٨/٧.

(٣) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٥٥٤/٥.

(٤) نفس المرجع السابق، ٢٦٥٢/٥.

وترى الباحثة أن هذا من أخطر أنواع خطوات الشيطان حيث يوصل الإنسان إلى الكفر إن تغلب عليه الشيطان بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١] .

٥- **تحريم ما أحل الله:** قال تعالى: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام:١٤٢] ، واتباع خطوات الشيطان هو ما كان عليه الجاهليون فيما رزقهم الله تعالى فحرموا بعضه، بغير ما حرم الله، حرموا "السائبة والوصيلة والحام" [(١)]، بغير ما أنزل الله [(٢)]، وتحريم ما أحل الله من أقبح المبالغة في اتباع إغواء الشيطان؛ لأنه ضلال في حرمان من الطيبات لا في تمتع بالشهوات كما هو أكثر إغوائه [(٣)].

رابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في التحذير من الشيطان:

١- يجب على كل إنسان أن يحذر من خطوات الشيطان أشد الحذر، ولا ينزلق في متاهاتها، ورائده في ذلك الرفقة الطيبة، والبعد عن كل ما من شأنه أن يلهي عن ذكر الله [(٤)].

٢- يوصي الشباب بأن يصلحوا من أنفسهم، وينشغلوا بذكر الله، وبالرفقة الصالحة؛ لكي لا يكون لشيطان عليهم سبيل، ولا يكونوا عرضة للانجراف في تيارات شياطين الإنس.

٣- عندما يلتزم المصلح بالحق، ويعتز به ليصدع في وجه الباطل عندما لا يخشى في الله لومة لائم، وحينئذ يخاف أصحاب الباطل من أن يفضحهم، لذلك يجتمعون عليه لكي لا تذهب عروشهم، وهذا مما يدعوهم لأن يعرضوا عليه مفاتن الدنيا من "مال ونساء ومنصب" هدفهم أن يصرفوه عن الحق الذي استمسك به، أو يقرهم على باطلهم فيصبح هؤلاء المصلحين عرضة لشياطين الإنس والجن، فعلى المصلحين أن يثبتوا على الحق لكي يحدثوا التغيير في أقوامهم نتيجة صمودهم.

٤- إن الجدل خطوة من خطوات الشيطان لا بد على المصلحين أن ينتبهوا إليه، وهذا أسلوب يستخدمه عصاة الأمة أمام المصلحين ليشككوهم في دعوتهم.

---

(١) السائبة: الناقة التي كانت تسبب بنذرها لآلهتهم الأصنام، فتعطى للسدنة، وترعى حيث شاء. ، ولا يحمل عليها شيء، ولا يجز صوفها ولا يحلب لبنها إلا لضيف، والوصيلة الشاة أو الناقة التي تصل أخاها، فإذا بكرت في أول النتاج بأنثى كانت لهم، وإذا ولدت ذكراً كانت لآلهتهم، وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، ذل والحامي: الفحل الذي يضرب في مال صاحبه فيولد من ظهره عشرة أبطن، فيقولون: حمي ظهره، فلا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى. انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٨٥/٧.

(٢) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧٠٤/٥.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٢٣/٨.

(٤) انظر: الشيطان وخطواته، الطالب وائل بشير، ص ٢٤٢.

٥- إن تحريم ما أحل الله بعذر مجاهدة النفس، فهذا ليس من الشريعة السمحة بشيء، وهو أقرب إلى الرهبانية، ولا رهبانية في الإسلام، وهو مدخل من مداخل الشيطان، فليحذره جمهور الدعاة والمصلحين من أن يقعوا فيه [١].

(١) انظر: البيان في مداخل الشيطان، عبد الحميد جاسم البلالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٦، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

المبحث الثالث

منهجيات الإصلاح والتغيير التشريعي

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأشياء المحرمة على المسلمين و اليهود.

المطلب الثاني: الصلاة عمود الدين.

المطلب الثالث: زكاة الزروع.

المطلب الأول

الأشياء المحرمة على المسلمين و اليهود

المطعم الطيب له أثر بالغ على الإنسان في سلوكه وحياة قلبه واستنارة بصيرته وقبول دعائه، وعلى العكس فالمطعم الخبيث له أثر سيئ على الإنسان في سلوكه وحياته، وعدم قبول دعائه، وقد توصله إلى العقوبة في الدنيا والآخرة.

وتفيد الآيات في سورة الأنعام أن طريق التحريم والتحليل إنما هو الوحي وليس مجرد الهوى والتشهي، وأن الأصل في الأشياء الإباحة إلا أن يرد نص بالتحريم [١].

أولاً: الأشياء المحرمة على المسلمين:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٤٥].

١- **الميتة:** الميتة الحيوان الذي يموت، وينحبس دمه فيه، ويدخل في معناه المنخنقة، والموقوذة التي وقذت بالحجارة حتى ماتت، والمتردية التي تردت في حفرة أو بئر، والنطيحة التي نطحت من أخرى حتى ماتت [٢]، وتحريمها لمضرتها، وانحباس الدم فيها، مما يؤدي إلى تسممها، وتفسّخ لحمها، وإيذاء من تناول شيئاً منها [٣]، فإن ذكيت ذهب الدم الضار منها، على أن الطباع السليمة تعافها وتنفر منها، وتألف من أكلها، فهي ضارة للدين وللبدن، لذا حرمها الله ﷻ فيحرم أكلها اتفاقاً، ويستثنى من الميتة نوعان: السمك والجراد [٤]. عن عبد الله ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **(أحلت لنا ميتتان الحوت والجراد)** [٥].

٢- **الدم المسفوح:** أي: دماً مصحوباً سائلاً كالدم الذي يخرج من المذبوح عند ذبحه، لا الدم الجامد كالكبد والطحال [٦]، ولا الدّم المختلط باللحم في المذبح، ولا ما يبقى في العروق من

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٢٠٠/٥.
(٢) زهرة التفاسير، ابن زهرة، ٢٧١٠/٥.
(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٥٠/٨.
(٤) انظر: المرجع السابق، ٧٦/٦.
(٥) سنن ابن ماجة، كتاب الصيد، باب صيد الحيتان والجراد، ١٠٧٣/٢، ح (٣٢١٨)، دار الفكر، بيروت، قال الشيخ الألباني: صحيح.
(٦) التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٢٠١/٥.

أجزاء الدّم، فإن ذلك كله ليس بسائل [١]، وقد تبين أنه سريع الفساد، وتسارع الميكروبات إليه[٢]، وأنه مكان للجراثيم والسموم، وأنه مستقذر طبعاً، ويعسر هضمه، ومن فضلات الجسم الضارة كالبراز، وأن فصائل الدم مختلفة، ولا تناسب فصيلة غيرها، فهو قذر يضر الأجسام، ولا عبرة بما كان العرب في الجاهلية يفعلونه من أكل الدم المختلط بالشعر وحشو الأمعاء بالدم، ثم شيّه وأكله [٣].

٣- **لحم الخنزير:** ومعناه أنه تعالى إنما حرم لحم الخنزير لكونه نجساً، فهذا يقتضي أن النجاسة علة لتحريم الأكل، فوجب أن يكون كل نجس يحرم [٤]، ولما فيه من الضرر والقذر لملازمته القاذورات، واحتوائه غالباً على الديدان كالدودة الوحيدة والشعرة الحلزونية، ولعسر هضمه لكثرة شحم أليافه العضلية ومواده الدهنية، كما أن له طباعاً سيئة مثل فقدان الغيرة على أنثاه، والطباع تنتقل من اللحم والأكل، وإذا كانت الحظائر الحديثة ترعى صحياً تربية الخنازير، ويشرف الأطباء على فحص اللحم، فإن هذا لا يتيسر لكل الناس، كما أن الأضرار المعنوية لا يمكن تجنبها [٥].

٤- **فسقاً أهل لغير الله به:** الفسق هو المذبوح لغير الله، ولم يذكر اسم الله عليه، وهو ما يتقرب به إلى الأصنام والأوثان [٦]، إن لم يذكر اسم الله تعالى نسياناً فإنه يؤكل المذبوح، وإن ترك عمداً، ففيه نظر، ما دام لم يذكر غير الله تعالى [٧].

فسمي ما أهل لغير الله به – فسقاً – لتوغله في باب الفسق، كما يقال: فلان كرم وجود إذا كان كلاماً فيهما، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ** ...﴾ [الأنعام:١٢١] [٨]؛ لأنه خروج عن طاعة الله تعالى، وإعلاء لاسم غير اسمه، في موضع يجب ذكر اسمه تعالى فيه، وقد كانوا في الجاهلية يذبحون على النصب، ويذكرون اسم آلهتهم،

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ٨٠/٨.
(٢) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧١٠/٥.
(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٧٧/٦.
(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٦٨/١٣.
(٥) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٧٧/٦-٧٨.
(٦) نفس المرجع السابق، ١٢٠/١.
(٧) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧١٢/٥.
(٨) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٧١/١٣.

ويقاس عليـه ما يفعله الآن جهلة العوام من تسمية الأولياء عند الذبح؛ خاصة في الموالد التي يقيمونها [1].

٥- **الرخصة اللاهية:** قال تعالى: ﴿... فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٤٥]، فالمعنى أنه لما بين في هذه الأربعة أنها محرمة، بين أن عند الاضطرار يزول ذلك التحريم [2]، فمن اضطر إلى أكل شيء من هذه المحرمات؛ كأن أوشك على الهلاك جوعاً، ولم يجد ما يتبلغ به سوى ميتة، أو لحم خنزير، أو دماً، أو ذبيحة أُهل لغير الله بها؛ فله أن يتناول منها القدر الذي يسد رمقه فحسب، ولا يزيد فيبلغ بما يأكل حد الشبع، وبشرط أن يكون غير باغٍ على أحد من جماعة المسلمين، كأن يكون قاطعاً للطريق، أو مبتغياً لإثم، وأوشك من جوعه على التلف؛ فإنه ليس له أن يتمتع برخصة الله تعالى؛ إلا أن يتوب وينيب، كما أنه ليس له أن يأخذ برخصة الإفطار في رمضان، وقصر الصلاة؛ في حالة السفر، ولا عادٍ معتدٍ على آخر؛ بأن يختطف قوته من هذا المأكول الحرام المحلل، أو هو غير باغٍ متلذذ بما يأكل؛ بغير ضرورة ملحة ولا عادٍ متجاوز حاجته التي تدفع عنه الموت [3].

٦- **المحرمات من السنة النبوية:** عن ابن عباس، قال: نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي نابٍ من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير [4]، وسمي مخلباً؛ لأنه يخلب الطير برؤوس تلك الإبر منها [5]. وتحريم الحمر الأهلية، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم الحُمُرِ الأهلية [6].

وبذلك يتضح أن منهج الإسلام في هذا المجال لا يختلف عن منهجه في السماحة والحفاظ على سلامة الأرواح والأبدان والعقول، فيبيح الطيبات من الأطعمة النافعة للأبدان والعقول، ويحرم الخبائث الضارة لها.

---

(١) أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٧١/١٣.

(٣) أوضح التفاسير، محمد بن الخطيب، ص ١٧٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الصيد، باب النهي عن أكل ذب ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، ٦٠/٦، ح (٥٠٣٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢٥/٧.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الذبائح، باب النهي عن لحوم الحمر الإنسية، ٦٣/٦، ح (٥٠٤٨).

ثانياً: الأشياء المحرمة على اليهود:

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام:١٤٦].

أ- المحرمات على اليهود:

١- **كُلَّ ذِي ظُفُرٍ:** الظفر هو العظم الذي تحت الجلد في منتهى أصابع الإنسان والحيوان والمخالب، وهو يقابل الحافر والظلف، ويكون للإبل والسبع والكلب والهر والأرنب، والوبر ونحوها فهذه محرمة على اليهود بنص شريعة موسى عليه السلام [١]، وما ليس بمنفرج الأصابع من البهائم والطير، مثل الإبل والنعام والإوز والبط ... وسمي ظفراً؛ لأنه يأخذ الأشياء بظفره، أي يظفر به الآدمي والطير [٢]، ويلاحظ أن هذه المحرمات تمتاز بكثرة الشحم، فالإبل لها سنام كله شحم، والإوز والبط هي شحوم قليل لحمها، وذو الظفر كما ترى قد فسرت به، وكل حيوان لم تنفرج أطراف أرجلها، وكان التحريم لهذا المعنى الذي ذُكر، وفطماً لنفوسهم، وفطم النفوس يعطيها قوة إرادة، ويجعل للعقل سيطرة على أفعالهم [٣].

٢- **شحم البقر والغنم:** قال تعالى: ﴿... وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ...﴾ [الأنعام:١٤٦] يعني شحوم الجوف، وهي الثروب [٤]، وشحم الكليتين [٥]، فقد حرم ﷻ الشحوم لما تؤدي إليه من ترهل، وضخامة، مع ضعف قوته وعزيمته، ومع قسوة النفس، وضعف الإحساس [٦].

باستثناء عدة أمور وهي:

* قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ [الأنعام:١٤٦]، أي إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما [٧]، أو ما حملت ظهور البقر والغنم لطيب طعامها؛ ولأنها ليست شحوماً كثيرة، ولا تؤدي إلى الترهل الكثير [٨].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ١٤٢/٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢٥/٧.
(٣) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧١٥/٥.
(٤) "شحم قد غشي الكرش والأمعاء رقيق". انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٧٥/١.
(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ١٦٨/٢، إحياء التراث العربي، بيروت.
(٦) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧١٦/٥.
(٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ١٦٨/٢.
(٨) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧١٦/٥.

* قال تعال: ﴿أَوِ الحَوَايَا﴾ [الأنعام:١٤٦] ، الحوايا: ما تحوي واجتمع في البطن، وتشمل المعدة والأمعاء، ومواضع اللبن وأبيح ما حملت من شحم، كما أبيحت هي [١].

* قال تعالى: ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام:١٤٦] ، أي: ما اختلط من العظم، أي ما لصق بالعظام من الشحوم في جميع مواضع الحيوان من الجنب والراس والعين، ومنه الإلية فإنها لاصقة بعجب الذنب، وكل شحم القوائم والجنب والرأس والعين والأذن، يقولون قد اختلط ذلك بعظم فهو حلال لهم[٢]، وذلك لصعوبة فصله وإخراجه، وكان ذلك تيسيراً وتخفيفاً في موضع التحريم، وتسهيلاً للاستجابة إن كانوا طائعين [٣].

ب- السبب الحقيقي للتحريم:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام:١٤٦] ، أي سبب التحريم عليهم هو عقوبة لهم لقتلهم الأنبياء، وصدهم عن سبيل الله، وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل، وفي هذا دليل على أن التحريم إنما يكون بذنب لأنه ضيق فلا يعدل عن السعة إليه غلا عند المؤاخذة [٤]، وقيل: إن ملوك بني إسرائيل كانوا يمنعون فقراءهم من أكل لحوم الطير والشحوم، فحرم الله تعالى عليهم ذلك بسبب هذا المنع [٥].

وقد يُحْرم العبد بالذنوب من كثير من الطيبات، كما حصل لليهود.

ثالثاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في الأشياء المحرمة على المسلمين واليهود:

١- سماحة الإسلام وحرصه على سلامة الإنسان من خلال ذكر المحرمات التي على المسلم الابتعاد عنها.

٢- المؤمن قد أغناه الله بحلاله عن حرامه، وبفضله عن من سواه، فما حرم عليه شيئاً من الخبائث إلا وقد أباح له من الطيبات أضعاف أضعافه.

٣- على المسلم أن يلتزم بالتحريم مطلقاً في جميع أحواله، سواء توافرت علة المنع في الوقت الحاضر أو لا ؛ لأن المعوّل عليه شرعاً رعاية مصالح الناس قاطبة لا أفراد معينين[٦].

---

(١) زهرة التفاسير، أبي زهرة ، ٢٧١٦/٥.
(٢) انظر: فتح البيان، محمد صديق خان بن حسن البخاري، ٢٦٧/٤.
(٣) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧١٦/٥.
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢٧/٧.
(٥) روح المعاني، الألوسي، ٢٩١/٤.
(٦) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٧٨/٦.

٤- تحريم الميتة وما في حكمها (المنخنقة، والموقوذة، والمتردية).

٥- حرمة الدّم ولحم الخنزير.

٦- إباحة المحرمات المذكورة عند الاضطرار إليها لدفع الضرر، لأن **الضرورة مقيّدة بقيدين:**

الأول: أن يقصد بالتناول دفع الضرر فقط.

الثاني: ألا يتجاوز ما يسدّ الرّمق لأن الضرورة تقدر بقدرها، فإن قصد التَّلذذ، أو تجاوز مقدار الضرورة وقع في الحرام [١].

٧- **لا يمكن تنقية الدم من الجراثيم**، وإن دم الحيوان السليم قد ينقل إلى الإنسان محفوظاً مصوناً من غير أن يتعرض للهواء، فيزيده قوة أو يعرضه عما فقده، ولكنه لا يمكن أن يكون غذاء يتناول بالفم، ويمر على الجهاز الهضمي، إذ إنه لا يكون قابلاً للتمثيل في الجسم فوق ما يسري إليه من جراثيم تفسده، وأن النفس الفطرية تعافه [٢].

٨- **المحرم على اليهود:** ذو الظفر وشحم الجوف، وشحم الكلية، وما عداهما حلالٌ لهم.

٩- من خلال دراسة المحرمات على اليهود تبين أن الله عالج أجسامهم مع ملاحظة الرحمة بنفوسهم، فقد حرم ﷻ الشحوم لما تؤدي إليه من ترهل، وضخامة، مع ضعف قوته وعزيمته، ومع قسوة النفس، وضعف الإحساس، ولكنه استثنى ما لا يستطيعون عليه صبراً؛ استثنى ما حملت ظهور البقر والغنم لطيب طعامها، ولأنها ليست شحوماً كثيرة، ولا تؤدي إلى الترهل الكثير، واستثنى أيضاً سبحانه: ﴿**أَوِ الحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ**﴾ [الأنعام:١٤٦] ، وذلك لصعوبة فصله وإخراجه، وكان ذلك تيسيراً وتخفيفاً في موضع التحريم، وتسهيلاً للاستجابة إن كانوا طائعين [٣].

١٠- على المصلحين أن يستغلوا هذه الأحكام الشرعية في نشر دعوتهم الإصلاحية بأن يوضحوا مدى سماحة الإسلام ويسره، ومدى حرصه على سلامة الإنسان وصحته.

١١- شمولية الإسلام في جميع جوانب الحياة للإنسان حتى في الأطعمة.

١٢- طاعة الله والانقياد لأحكامه، فالحاكمية لله ﷻ.

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ٧٨/٦.

(٢) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٠٢٨/٤.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٧١٦/٥.

المطلب الثاني

الصلاة عمود الدين

إن الله تعالى قد عظَّم أمر الصلاة في القرآن، وشرَّفها وشرَّف أهلها، وخصَّها بالذكر من بين الطاعات كلها في مواضع من القرآن كثيرة، وأوصى بها خاصة، وهي آخر ما أوصى به النبي ﷺ أمته عند خروجه من الدنيا، وهي آخر ما يذهب من الإسلام.

أولاً: تعريف الصلاة:

١ – الصلاة لغة: قال كثير من أهل اللغة أن الصلاة: هي الدعاء، والتبريك والتمجيد، يقال: صَلَّيْتُ عليه، أي: دعوت له وزكّيت، قال تعالى: ﴿**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ**﴾ [التوبة:١٠٣] ، وقيل: أصلُ الصلاة من الصَّلَى، ومعنى صلى الرجل، أي: أنه ذاد وأزال عن نفسه بهذه العبادة الصلى الذي هو نار الله الموقدة، وبناء صلى كبناء مَرَّضَ لإزالة المرض، ويسمى موضع العبادة الصلاة، ولذلك سميت الكنائس صلواتٌ، كقوله: ﴿**لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ**﴾ [الحج:٤٠] (١)، وقيل الصلاة مشتقة من "الصَّلَوَيْنَ" وهما عرقان في الوركين مفترقان من "الصلا"، وهو عرق مستبطن في الظهر منه يتفرق الصلوان عند عجب الذنب، وذلك أن المصلي يحرك صَلَوَيْهِ (٢)، إذا ركع المصلى وانحنى إلى الصلاة (٣).

والصلاة من الله حسن الثناء، ومن الملائكة الدعاء، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب:٥٦] (٤)، فالصلاة هي الدعاء والبركة.

الصلاة شرعاً: لها عدة تعريفات منها:

أ. فهي العبادة المخصوصة المشتملة على قيام وقراءة وركوع وسجود وتسليم (٥).

---

(١) المفردات في غريب القرآن، راغب الأصفهاني، ٤٩١/١، بتصرف يسير.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ٢٨٩/١، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، ابن حيان الأندلسي، ٦٥/١.

(٤) منزلة الصلاة في الإسلام، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ٥/١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٣٢/١.

ب. عبارة عن أركان مخصوصة، وأذكار معلومة، بشرائط محصورة في أوقات مقدرة [١].

ج. عبارة عن أفعال مخصوصة يتلو بعضها بعضاً مفتتحة بالتحريم، مختتمة بالتحليل، وهذا الاسم يقع على الفرض والنفل [٢].

والمعنى الشامل للصلاة هي: اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود وتسليم ودعاء وثناء، مفتتحة بالتحريم مختومة بالتسليم، في أوقات مقدرة .

ثانياً: الصلاة في سياق سورة الأنعام:

قال تعالى: ﴿ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١].

١- **الصلاة عمود الدين:** خص المحافظة على الصلاة من بين سائر الواجبات لكونها عمادها وبمنزلة الرأس لها، وكونها أشرف العبادات بعد الإيمان بالله تعالى، فإذا كان العبد محافظاً عليها حافظ على جميع العبادات والطاعات [٣]، وأنه لم يقع اسم الإيمان على شيء من العبادات الظاهرة إلا على الصلاة كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣] ، أي صلاتكم، ولم يقع اسم الكفر على شيء من المعاصي إلا على ترك الصلاة [٤].

٢- **الصلاة تكمل الدين وتصلح الفرد:** إن كمال وصف المؤمنين بالقرآن أن يكونوا صالحين غير مفسدين، وألا يعملوا إلا معروفاً، ولا يقع منهم منكر، وذلك بالصلاة التي هي عمود الدين لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتملأ النفس بذكر الله، وبذكر الله تطمئن القلوب، وبالمحافظة على الصلاة يؤدي إلى كل الخير، ويتم بها امتلاء النفس بخشية الله تعالى، وأدائها في أوقاتها فإنه بهذا يكمل الدين، ويتم الإيمان [٥].

٣- **كيفية المحافظة على الصلاة:** أي حافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها [٦]، ويؤدونها بطهارة في أوقاتها المحددة لها في جماعة المؤمنين [٧]، ويداومون عليها، ويحفظون أركانها وحدودها وشروطها وآدابها، ومكملاتها [٨].

---

(١) التعريفات، الجرجاني، ص١٣٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٧٥/٢.

(٣) فتح البيان، محمد صديق خان القنوجي، ١٩٣/٤.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ٦٦/١٣.

(٥) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٥٩٠.

(٦) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، ٢٥٦/٢، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، المدينة النبوية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٧) أيسر التفاسير، الجزائري، ٨٩/٢.

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٦٥.

٤- **الصلاة عبادة روحية:** بإقامة الصلاة يتجهون بالعبادة لله وحده، ويرتفعون بهذا عن عبادة العباد، وعبادة الأشياء، يتجهون إلى القوة المطلقة بغير حدود، ويحنون جباههم لله لا للعبيد والقلب الذي يسجد لله حقاً، ويتصل به على مدار الليل والنهار، يستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود، ويجد لحياته غاية أعلى من أن تستغرق في الأرض وحاجات الأرض، ويحس أنه أقوى من المخاليق لأنه موصول بخالق المخاليق، وهذا كله مصدر قوة للضمير، وكما أنه مصدر تحرج وتقوى، وعامل هام من عوامل تربية الشخصية، وجعلها ربانية التصور، وربانية الشعور، ربانية السلوك [١].

٥- **الصلاة تشمل جميع أركان الإسلام:** فكأن الصلاة تقول للأركان الأخرى: أنا أجمعكم وأضمكم وأشملكم جميعاً؛ فالمسلم في أثناء الصلاة يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والمسلم يصوم في أثناء الصلاة عن شهوتي البطن والفرج بل وتكون الصلاة صوماً لا عن الأكل والشرب، وشهوة الفرج فقط بل هي إمساك عن كل حركة، وفي الصلاة زكاة؛ لأن الزكاة تعني أن تخرج بعضاً من مالك، والمال فرع العمل، والعمل فرع الوقت، وأنت حين تصلي إنما تزكي بالأصل وهو وقت العمل، وأنت في الصلاة تتوجه إلى الكعبة كما يتجه الحاج والمعتمر، إذن ففي الصلاة كل أركان الإسلام مجتمعة [٢].

٦- **الفرق بين الصلاة وأركان الإسلام** [٣]:

أ. إن أركان الإسلام بالنسبة لانشغال الزمن بها لا تأخذ الكثير من الوقت؛ فشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله لا تحتاج إلا إلى أن تقال مرة واحدة، وهذا ركن لم يستغرق زمناً طويلاً بالنسبة لأدائه، والزكاة لا تأخذ إلا ما يعطى يوم الحصاد، وهذا يستغرق وقتاً قليلاً، وكذلك زكاة المال آخر العام، والصوم شهر في السنة، وإذا كان زمن الصوم أوسع قليلاً إلا أنه وقت لا يمر إلا كل عام، والحج مرة في العمر لمن كان مستطيعاً، لكن الصلاة تؤدى في كل يوم خمس مرات، ورقعتها بالنسبة للزمن أوسع، وأداؤها يحتاج إلى طهارة من حدث أو جنابة وكذلك طهارة المكان.

ب. لا يعرف الإنسان إن كان مسلماً إلا إذا سمع الأذان وقام يصلي، لذلك هي الفارقة بين المسلم وغير المسلم؛ لأن الأركان الأخرى أزمانها محصورة.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤٠/١.

(٢) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٣٧٩١/٦.

(٣) نفس المرجع السابق، ٣٧٩٠/٦.

ج. إن كل تشريعات الإسلام أركاناً وفروعاً جاءت بالوحي إلا الصلاة؛ فقد جاءت بالمباشرة.

ثالثاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في الصلاة:

١- الصلاة عماد الدين، ومن أقامها أقام الدين كله، ومن هدمها هدم الدين كله [١].

٢- على المؤمن أيضاً استدامة إقامة الصلاة: وهو أداؤها في وقتها بقراءتها، وركوعها وسجودها وقعودها، وتشهدها، وجميع شروطها [٢].

٣- والصلاة عملية تطهير لصاحبها، وتتكرر لتغسل أدرانه، وما قد يكون علق بنفسه وروحه من غبار الدنيا [٣].

٤- إن الصلوات الخمس لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة تنهى عن الفواحش والمنكرات، وتكفر ما بينها من الذنوب إذا أديت بحقها وكانت مع استحضار عظمة الله وبأسه[٤]، وذلك لأن المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها، يستنير قلبه، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر [٥].

٥- إن الصلاة فريضة كانت أو نافلة هي أفضل الأعمال البدنية لأن لها تأثيراً عظيماً في إصلاح النفس التي هي مبدأ جميع الفحشاء والمنكر [٦].

٦- في الصلاة يقظة للضمير بدوام الاتصال بالله والخوف من معصيته، والحياء من مخالفته، وكيف لا يستحي المصلي من فعل الجرائم والمخالفات، وهو يقف في كل يوم خمس مرات بين يدي ربه يدعوه، ويستغفره، ويطلب عفوه وثوابه.

٧- تربي الصلاة في النفس الرغبة في التوبة والإقبال على الصلاح والاستقامة بدوام الاستغفار وتكرار الاستعاذة من الذنوب، فتتسع في النفس مسافات البعد بينها وبين الجريمة والمعصية، وتتأكد فيها الرغبة في الصلاة والاستقامة.

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٩٤/٧.

(٢) نفس المرجع السابق، ٢٥٠/٢٠.

(٣) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، ٨٧٥/٢.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٥٠/٢٠.

(٥) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص٤٠١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، السعودية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

(٦) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ) ٤٧٤/٦، دار الفكر- بيروت.

٨- تربي الصلاة في نفس المصلي حب الخير للجميع، وتنقذه من الحقد والأنانية اللذين هما مصدر كل الشرور والمآسي البشرية في كل مجالات حياتها، فالمصلي بدعائه يطلب الخير للجميع، ويدعو لهم بالخير والمغفرة، فتنمو في نفسه مشاعر الحب والخير بأوسع صيغها الاجتماعية الشاملة.

٩- في صلاة الجماعة: يتم التعارف، وتتوطد أواصر الأخوة والمحبة والوئام، وفي صلاة الجماعة يشعر الكل بالمساواة والتواضع، وحذف الفوارق والتعالي، إذ يقف المصلون في موقف واحد، يرددون ألفاظاً واحدة، ويؤدون أفعالاً تعبيرية واحدة، ويتوجهون إلى رب واحد؛ فيوحي إليهم هذا الموقف والتوجه بوحدة القيمة الإنسانية، والقدر المتساوي لكافة أفراد النوع البشري أمام خالق الوجود.

١٠- من جراء صلاة الجماعة: يتحقق التلاقي والتعاون على إقامة مشاريع الخير؛ كمساعدة المحتاجين، وتفقد المرضى، وإنشاء مشاريع البر والإحسان والإصلاح الاجتماعي الكبرى.

١١- في صلاة الجماعة تلقى الخطب والتوجيهات، فتنمو ثقافة الجماعة الدينية، ويتيقظ إحساسها الاجتماعي، ويتفتح وعيها الفكري والسياسي، ويتضح لها طريق الإصلاح والاستقامة.

المطلب الثالث

زكاة الزروع

إن الزكاة هي الركن المالي الاجتماعي من أركان الإسلام الخمسة، وبها – مع التوحيد وإقامة الصلاة- يدخل المرء في جماعة المسلمين، ويستحق أخوتهم والانتماء إليهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:١١].

وهي – وإن كانت تذكر في باب العبادات باعتبارها شقيقة للصلاة- تعد في الحقيقة جزءاً من نظام الإسلامي المالي والاجتماعي، فلا عجب أن عُنِيَ علماء الإسلام ببيان أحكامها وأسرارها.

أولاً: تعريف الزكاة:

١- **الزكاة لغة:** زكي: الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال الطهارة زكاة المال وسميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه، وسميت زكاة أيضاً لأنها طهارة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة [(١)].

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٧/٣.

والنّموّ حاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيويّة والأخرويّة، يقال: زكا الزرع يَزْكُو: إذا حصل منه نموّ وبركة [١].

وزكى نفسه: مدحها ونسبها إلى الزكاء، وزكى الشهود: عدلهم ووصفهم بأنهم أزكياء، وهو مصدق بني فلان ومزكيهم: آخذ صدقاتهم وزكواتهم، وقد زكاهم وصدقهم، وتزكى الرجل: تصدق، ولفلان عمل زاك، وقد زكا عمله إذا فضل [٢].

ويتضح للباحثة في هذا العرض اللغوي أن الزكاة في اللغة مشتركة بين الطهارة والنماء والبركة والصلاح.

٢- **الزكاة شرعاً:** لها عدة تعريفات منها:

- تمليك جزء من المال، عينه الشارع، من مسلم فقير، غير هاشمي، ولا مولى لهاشمي، مع قطع المنفعة عن المملك من كل وجه، لله تعالى [٣].
- قدر من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص [٤].
- انفاق جزء معلوم من المال إذا بلغ نصاباً مع مصارف معينة نص عليها الشارع [٥].

والتعريف الشامل للزكاة: "حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة، في وقت مخصوص؛ لتحقيق رضا الله، وتزكية النفس والمال والمجتمع".

ثالثاً: زكاة الزروع في سياق سورة الأنعام:

قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١].

١- **حكم زكاة الزروع:** وقد اختلف الفقهاء؛ أهو واجب فتكون زكاة المال قد ثبتت قبل الهجرة، مع أن الثابت أن الزكاة فرضت بعد الهجرة في السنة الثانية، كذلك قال بعض الفقهاء، أو زعموا أن الآية مدنية.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٣٨٠/١.

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، ٤١٨/١.

(٣) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، الدكتور سعدي أبو حبيب، ص١٥٩.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد، ص١٨٦.

(٥) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ٢٣٣/١، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

والحق أن هذا الحق في المال ثبت في مكة، ولكن لم تشرع الزكاة التي تعد فريضة، ومصارفها التي جمعها ولي الأمر إلا في المدينة، حيث قامت الدولة الإسلامية التي تجمعها، أما في مكة حيث ثبت الإسلام ثبتت الصدقات حقاً للفقراء والمساكين والسائل والمحروم، فلقد قال تعالى وهي مكية وصفاً للمؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾ [المعارج:٢٤-٢٦]، وهي مكية.

فالصدقات كانت مفروضة في الأموال، وخصوصاً في الزروع والثمار، وإن كان ولي الأمر لا يجمعها، لأنه لم يكن للمؤمنين دولة تجمعها، إذ كانوا مستضعفين في الأرض، فلما كانت السنة الثانية بعد الهجرة نظمت وعمت الأموال التي يكون لها نماء بالفعل أو القوة، وإن حق الفقراء في الزروع والثمار كان معروفاً قبل الهجرة، ونظم الجمع، وعمم بعدها.

ويتضح ذلك في قوله تعالى في ابتلاء أهل الحديقة: ﴿**فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ**﴾ [القلم:٢٣-٣١]، إن هذه الآيات الكريمة تدل على أنه قبل الهجرة كان المؤمنون يشعرون بأن في الزرع والثمار حقاً للسائل والمحروم كانوا يشعرون بذلك مؤمنين بهذا الحق، وإن الآية الكريمة تدل على هذا وتدعو إليه، وتحث عليه، وهذا الحق كان المؤمنون يقومون به ويؤدونه من غير أن يجمعه حاكم، ولا يتولاه ولي للصدقات؛ لأنه لم تكن الدولة الإسلامية هي المهيمنة في مكة، فلما كانت الهجرة في السنة الثانية وجد نظام جمع الزكاة، ونظام صرفها، وتولت الدولة جمعها وصرفها [(١)].

من خلال استقراء آراء العلماء نخلص إلى أن زكاة الزروع واجبة وهي نوع من أنواع الأموال التي يملكها المسلم، يجب الزكاة فيها إذا توفرت فيها الشروط.

٢- **الحكمة من مشروعية زكاة الزروع:** فيها تزكية النفس وتنميتها وتطهيرها، وهي أيضاً حق السائل والمحروم، فهي حق الفقير لتسد حاجته، وحق المال لتطهره وتنميه، ويكون طيباً[(٢)]، لو أن الخلائق عملت بإرشاد الخالق وأخرجت ما في ذمتها من الصدقات والزكاة؛ لما بقي على ظهرها إنسان يشتكي الفقر والحرمان؛ ولحل الوئام مكان الخصام، والوفاق مكان الشقاق وإذا

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٥/٢٧٠١-٢٧٠٢.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ٥/٢٧٠٢.

نظرت – بعين التدبر – إلى معظم الجرائم لوجدت أن السبب الأول؛ بل السبب الأوحد فيها هو المال والمال وحد، يتمتع الغني بسائر ضروب التمتع، ويكسر قلب الفقير بما يظهره من نفيس الملبس، ولذيذ المطعم، وفاره المركب فيدفعه الفقر، والحقد والجوع إلى ارتكاب السرقة، والنهب، والسلب، والقتل [١].

فالزكاة إذاً شُرِعَت لإزالة الأحقاد والضغائن التي تكون في صدور الفقراء والمعوزين، وفيها تنمية للأموال وتكثيراً لبركتها وأنها تقرب العبد إلى ربه وتزيد في إيمانه، شأنها في ذلك شأن جميع العبادات.

٣- **نصاب زكاة الزروع:** إن جمهور العلماء قالوا: لا تجب الزكاة إلا في خمسة أوسق فصاعداً، وقد أجمع جميع العلماء على أن الوسق ستون صاعاً [٢]، والصاع أربعة أمداد بمده ﷺ والمد بالتقريب: ملء اليدين المتوسطتين، لا مقبوضتين ولا مبسوطتين [٣]، عن جابر بن عبد الله [٤] عن رسول الله ﷺ قال: **(ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة)** [٥].

٤- مقدار ما يخرج من الزكاة: مقدار ما يخرج من الزكاة فلا خلاف بين العلماء وهو العشر فيما ليس في سقيه مشقة، كالذي يسقيه المطر، أو النهر، أو عروقه في الأرض، وأما ما يسقى بالآلة كالذي يسقى بالنواضح ففه نصف العشر، وهذا ثابت عنه ﷺ عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(فيما سقت الأنهار، والغيم [٦] العشور [٧]، فيما سُقي بالسانية [٨]**

---

(١) انظر: أوضح التفاسير، محمد عبد اللطيف بن الخطيب، ص١٧٣.

(٢) انظر: فقه السنة، سيد سابق (ت: ١٤٢٠هـ)، ١/ ٣٥٢، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م .

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) ٥٠٧/١-٥٠٨، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٤) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، يكنى أبا عبد الله، شهد العقبة الثانية مع أبيه صبي، شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب ﷺ، وعمي في آخر عمره، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، وكان من المكثرين في الحديث، الحافظين للسنن، وتوفي وعمره أربع وتسعين سنة، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري، ٤٩٢/١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، ٦٧٥/٢، ح (٩٨٠).

(٦) الغيم: المطر.

(٧) العشور: بضم العين جمع عشر.

(٨) السانية: البعير الذي يستقى به الماء من البئر ويقال له الناضح يقال منه سنا يسنو سنواً إذا استقى به.

نصف العشر) [1].

فإن سقي تارة بمطر السماء مثلاً، وتارة بالسانية فإن استويا فثلاثة أرباع العشر، بلا خلاف بين العلماء، وإن كان أحد الأمرين أغلب، فقيل: يغلب الأكثر ويكون الأقل تبعاً له [2].

٥- **وقت إخراج زكاة الزروع:** أوجب الله الحق في الثمار والحب يوم الحصاد، لأن الحصاد إنما يراد للادخار وإنما يدخر المرء ما يريده للقوت، فالادخار هو مظنة الغنى الموجبة لإعطاء الزكاة، والحصاد مبدأ تلك المظنة، الذي ليست له إلا شجرة أو شجرتان فإنما يأكل ثمرها مخضوراً قبل أن ييبس، فلذلك رخصت الشريعة لصاحب الثمرة أن يأكل من الثمر إذا أثمر، ولم توجب عليه إعطاء حق الفقراء إلا عند الحصاد، ثم إن حصاد الثمار، وهو جذاذها، هو قطعها لادخارها، وأما حصاد الزرع فهو قطع السنبل من جذور الزرع ثم يفرك الحب الذي في السنبل ليدخر، فاعتبر ذلك الفرك بقية للحصاد [3].

٦- **ما تجب فيه الزكاة:** لا خلاف بين العلماء في وجوب الزكاة في الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، واختلف فيما سواها مما تنبته الأرض، فقال قوم: لا زكاة في غيرها من جميع ما تنبته الأرض، ولا زكاة عند مالك –رحمه الله– في شيء من الفواكه، كالرمان – والتفاح– والخوخ والإجاص، والكمثرى، اللوز، الجوز، والجلوز، ونحو ذلك كما لا زكاة عنده في شيء من الخضروات، لأن الخضروات كانت كثيرة بالمدينة جداً، والفواكه كانت كثيرة بالطائف، ولم ينقل عنه ﷺ ولا عن أحد من أصحابه أنه أخذ الزكاة من شيء من ذلك، ولا زكاة في الرمان، وهم جمهور العلماء [4].

٧- **التوسط والاعتدال في الانفاق:** نبّه القرآن إلى منهجه المعروف وهو الوسطية والتوسط في الأمور والاعتدال في كل شيء، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تُسْرِفُوا** ...﴾ أي كلوا مما رزقكم الله من غير إسراف في الأكل، كما قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف:٣١] ، ولا تسرفوا أيضاً في الصدقة، وأن الإسراف في كل شيء خيراً كان أو غيره خطأ، سواء في الأكل أو التصدق لأن على الإنسان واجب الإنفاق على نفسه وعلى أهله وذويه وأولاده، حتى إنه إن لم يكن له أولاد، فادّخار شيء من دخله أمر محدود، لإنفاقه في حوائج المستقبل، وحتى لا يصبح عالة على الآخرين، ولذا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ما فيه العشر أو نصف العشر، ٦٧٥/٢، ح (٩٨١).

(٢) انظر : فقه السنة ، سيد سابق ،١/ ٣٥٠ ، أضواء البيان، الشنقيطي، ٥٠٨/١.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٢٢/٨.

(٤) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ٤٩٧/١.

يحجر على السفيه المبذر شرعاً، ولو كان الإنفاق في سبل الخير [١].

رابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في زكاة الزروع:

١- إن المالَ في حقيقة الأمر لله، والعباد مستخلفون فيه، وإخراج المسلم لزكاة ماله اعتراف منه بفضل الله عليه، إذ جعله في موقف المعطي ولم يجعله في موقف الآخذ، والفائدة التي تعود على المعطي قبل العاطي، وعلى المنفق قبل المنفق عليه، نمتلك الأرض فتنبت لنا من خيراتها، بغير حول لنا ولا قوة؛ بل بقدرته تعالى وإرادته ويأمرنا الرزاق الوهاب لسائر هذه النعم أن نعطي الفقير حقه فيها ولو شاء لجعله المالك لها، ونحن الفقراء إلى قليل العطاء، فنأبى إلا أن نشح ونبخل؛ فنورد أنفسنا النيران، ويحل بوادينا الخسران.

٢- لا شك أن النية الصادقة والمعاملة السمحة والبذل السخي وابتغاء رضوان الله أمور ضرورية للوصول بالزكاة والصدقات إلى مرتبتها العالية والثواب العظيم والنعيم المقيم، "فليبادر من يتقي الله ويخشاه، ويحذر عقاب آخرته وشاء دنياه؛ وليخرج ما في عنقه من زكاة ماله، وصدقات أوجبها عليه ربه؛ عن طيب خاطر وصفاء نية؛ ففي هذا النعيم الأكبر، والخير الأوفر" [٢].

٣- ولما كانت الأموال محبوبة عند الناس حباً جماً كانت الزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله اختباراً حقيقياً للمؤمنين وتمحيصاً لهم وتخليصاً لهم من الأثرة والأنانية والتفكير في الذات، فالإنسان عندما يزكي ماله بسخاء وصدق، ينطلق في ذلك من أن حب الله أقوى من حبه للمال كما ينطلق في ذلك من تفكيره في الفقراء والمساكين وفي الضعفاء واليتامى وأبناء السبيل، وكل ذلك يجعله يشعر بشعور غيره ويهتم بالمشاركة الوجدانية بعباد الله فخير الناس أنفعهم للناس.

٤- الإسلام بتشريعه الخالد للزكاة يسعى لإيجاد مجتمع متكافل يعطف فيه الغني على الفقير ويحترم الفقير الغني وتبنى فيه العلاقة على أساس المودة الرحمة لا وجود فيه للأمراض الفتاكة كالحسد والبغض والكراهية لأن كل واحد فيه أدى ما يجب عليه عن طواعية ورضا نفس.

٥- وجوب الزكاة في الزيتون والتمر والحبوب إذا بلغت النصاب وهو خمسة أوسق والوسق ستون صاعاً، والصاع أربع حفنات [٣].

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٧٠/٨.

(٢) انظر: أوضح التفاسير، محمد عبد اللطيف بن الخطيب، ص١٧٣.

(٣) أيسر التفاسير، الجزائري، ١٣١/٢.

٦- وجوب الزكاة المفروضة في الزروع والثمار: العشر ونصف العشر، يخرج العشر إذا كانت تسقى بماء المطر أو النهر، ونصف العشر إذا كانت تسقى بالضخ.

٧- جواز الأكل من الثمر قبل جذاذه وإخراج الزكاة منه [١].

٨- في الزكاة إصلاح للنفس من البخل والشح وتغييرها من حب المال والذات إلى محبة الله تعالى وطاعته.

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، ١٣١/٢.

المبحث الرابع

منهجيات الإصلاح والتغيير الدعوي

وتشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: القصص.

المطلب الثاني: التهديد والوعيد.

المطلب الثالث: النظر والتفكر في أحوال الأمم السابقة.

المطلب الرابع: الحوار.

المطلب الخامس: الاستدراج.

المطلب السادس: العناية الإلهية للدعاة.

المطلب السابع: الدعوة هي مهمة الأنبياء.

المطلب الأول

القصص

إن التربية بالقصص القرآني هي أحد الأساليب التي حملها القرآن العظيم ليحاج بها الناس، وليقطعهم من الجدل، شأنه في هذا شأن ما جاء من القرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة والتعجيز [١].

أولاً: تعريف القصة:

١- **القصة في اللغة:** القَصُّ: تتبع الأثر شيئاً بعد شيء، ومنه تتبع الأثر بالليل، ومنه: قص الرؤيا [٢]، والقصة: الأمر والحديث، وقد اقتصصت الحديث: رويته على وجهه، وقد قص عليه الخبر قصصاً، والاسم أيضاً القصص بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب [٣]، والْقَاصُّ: الذي يأتي بالقصة من فصها [٤].

٢- **القصة في الاصطلاح:** تتبع الوقائع بالإخبار عنها شيئاً بعد شيء على ترتيبها في معنى قص الأثر وهو إتباعه حتى ينتهي إلى محل ذي الأثر [٥].

القصص القرآنية: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل يوم، وحكي عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه[٦].

ثانياً: أنواع القصص في القرآن:

القصص في القرآن ثلاثة أنواع [٧]:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح،

---

(١) القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، عبد الكريم الخطيب، ص٨، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(٢) تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ٩٨/١٨.

(٣) الصحاح تاج اللغة، الجوهري، ١٠٥١/٣.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ٧٤/٧.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي، ص٢٧٢.

(٦) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص٣١٧.

(٧) انظر: نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

ثالثاً: فوائد القصة في القرآن الكريم:

١- إثبات الوحي والرسالة، فذكر الرسول لقصص السابقين وهو لم يكن كاتباً يدل على أن القرآن وحي، وقد جاءت الآيات دالة على ذلك منها: قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران:٦٢] .

٢- بيان وحدة الدين في مصدره وجوهره، فالدين كله من عند الله تعالى، وهو قائم على أساس عقيدة التوحيد التي تقتضي عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ عبادة ما سواه [(١)].

٣- تثبيت قلب رسول الله ﷺ وقولب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنُصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله، قال تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [هود:١٢٠].

٤- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهُدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [آل عمران:٩٣] [(٢)].

رابعاً: القصة في سياق سورة الأنعام:

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا**

(١) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٣١٧، ٣١٨.

قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ*إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٤- ٧٦].

لقد ركزت الآيات السابقة على قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويمكننا أن نستنتج منها:

١- **مناسبة القصة:** ذكر الله تعالى هنا قصة إبراهيم مع أبيه آزر في إبطال الوثنية، للاحتجاج على مشركي العرب، لأن جميع الطوائف والملل تعترف بفضله، فالمشركون يقرّون بأنهم من أولاده ويعترفون بفضله، ويدّعون أنهم من ملته، واليهود والنصارى كلهم معظمون له، معترفون بجلالة قدره، وإذا كان إبراهيم يجادل قومه ويناقشهم في عبادة الأوثان، مرة بعد مرة، فعلى العرب أحفاده أن يرجعوا عن غيهم، ويدركوا خطأهم في عبادة الأوثان [١].

٢- **الأسلوب المستخدم في قصة إبراهيم عليه السلام:** قد وردت قصة إبراهيم عليه السلام في سورٍ عديدة وفي سياقاتٍ متعددة وفي كل مرة يُكتشفُ عن جانبٍ من جوانب هذه القصة، بقدر ما يتوافق مع السياق الذي وردت فيه، أما الآيات الواردة هنا في شأن إبراهيم عليه السلام فإنها تركز على دعوته ومحاورته لقومه وأسلوبه البديع ومنطقه العذب وطريقته السهلة الواضحة في إقامة الحجة على قومه وإقناعهم، ذلك أن مدار السورة الكريمة هو إقامة الحجج على الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم، وتفنيد ما هم عليه جميعاً من أباطيل وأوهام، وتفنيد شبهاتهم وافتراءاتهم، وإزالة شكوكهم ومواجهة صدودهم وإعراضهم [٢].

٣- **قصة إبراهيم تعالج حقيقة الألوهية والفطرة:** حيث جاءت الآيات تعالج حقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية، من خلال أسلوب القصص، حيث بينت كيف تجلت حقيقة الألوهية في قصة إبراهيم عليه السلام، وهو يتدرج مع قومه بطريق النظر والاستدلال العقلي للوصول إلى الإله الحق، وكيف خلص معهم إلى تصور حق عن حقيقة الإله [٣]، إنه مشهد رائع باهر هذا الذي يتجلى في قلب إبراهيم عليه السلام إنها قصة الفطرة مع الحق والباطل، وقصة العقيدة كذلك يصدع بها المؤمن ولا يخشى فيها لومة لائم ولا يجامل على حسابها أباً ولا أسرة ولا عشيرة ولا قوماً.

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٦١/٧.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، أحمد محمد الشرقاوي، ص١٠٠.

(٣) انظر: رسالة ماجستير بعنوان المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورة الأنعام، إعداد الطالب: طارق أحمد محمد عقيلان، إشراف الدكتور: رياض محمود جابر قاسم، ص٣٣، الجامعة الإسلامية- غزة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

إنها الفطرة تنطق على لسان إبراهيم عليه السلام ، لم يهتد بعد بوعيه وإدراكه – إلى إلهه– ولكن فطرته السليمة تنكر ابتداء أن تكون هذه الأصنام التي يعبدها قومه آلهة وكانوا يعبدون الأصنام كما كانوا يعبدون الكواكب والنجوم، فالإله الذي يعبد، والذي يتوجه إليه العباد في السراء والضراء، والذي خلق الناس والأحياء، هذا الإله في فطرة إبراهيم لا يمكن أن يكون صنماً من حجر، أو وثناً من خشب، وإذا لم تكن هذه الأصنام هي التي تخلق وترزق وتسمع وتستجيب، وهذا ظاهر من حالها للعيان، فما هي بالتي تستحق أن تعبد وما هي بالتي تتخذ آلهة حتى على سبيل أن تتخذ واسطة بين الإله الحق والعباد! وإذن فهو الضلال البين تحسه فطرة إبراهيم عليه السلام للوهلة الأولى، وهي النموذج الكامل للفطرة التي فطر الله الناس عليها، ثم هي النموذج الكامل للفطرة وهي تواجه الضلال البين، فتنكره وتستنكره، وتجهر بكلمة الحق وتصدع، حينما يكون الأمر هو أمر العقيدة، وكذلك استحق إبراهيم عليه السلام بصفاء فطرته وخلوصها للحق أن يكشف الله لبصيرته عن الأسرار الكامنة في الكون، والدلائل الموحية بالهدى في الوجود، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥] ، والصلة بين الفطرة وإلهها هي صلة الحب والآصرة هي آصرة القلب، وفطرة إبراهيم لا تحب الآفلين ولا تتخذ منهم إلهاً، إن الإله الذي تحبه الفطرة لا يغيب [١].

خامساً: منهجيات الإصلاح والتغيير في القصة في سورة الأنعام:

١- وجوب البراءة من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٧٨] [٢].

٢- على المؤمن أن يرفض كل مظاهر الوثنية وأشكالها وطقوسها، وحصر العبادة بفاطر السماوات والأرض وحده دون غيره من الوسائل، كما أعلن إبراهيم عليه السلام الذي قال في التماثل، قال تعالى: ﴿قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٦] .

٣- وفي سرده لقصة إبراهيم عليه السلام تسلية وتسرية للنبي ﷺ، ودعوة للتأسي بأبي الأنبياء عليه السلام في صبره وثباته، وسعة صدره وصفاء سريرته وحلمه وأناته، ودعوة للمصلحين والدعاة أن يقتدوا بنبيهم إبراهيم عليه السلام في دعوتهم وإصلاحهم لأقوامهم [٣].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ١١٣٨-١١٤٠.

(٢) أيسر التفاسير، الجزائري، ٢/٨٢.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، أحمد محمد الشرقاوي، ص٨٩.

٤- على المصلح الناجح أن يتخير لناشئته البيئة الصالحة التي تعزز فيهم التزام أمر الله وتعين عليه، وتنفرهم من مخالفة أمره ولا تروج لباطل أهل الزيغ، طالما أن كلمة التوحيد ظاهرة وبيئة التربية صافية نقية لا صولة للشيطان فيها ولا جولة، وإن الذين يقيم مع ناشئته في مجتمع تفشو فيه معالم الزيغ والضلالة والفسق والكفر ليس بذاك المصلح وليس بذاك الحريص حقاً على تقرير عقيدة التوحيد في قلوب الناشئة اللهم ما لم يكن مغلوباً على أمره قد استفرغ الوسع في تأمين البيئة البديلة والبيئة كانت صالحة لسيدنا إبراهيم لدعوة قومه لعبادة الله [١].

فعلى المصلح أن يتسلح برصيد كافٍ من القصص الصحيحة ذي المغزى المعين على تقرير مسائل الدعوة، لاسيما وأن أسلوب القصة أسلوب قريب من الناس يشد انتباههم ويؤثر فيهم أكثر مما تؤثر أساليب دعوية أخرى.

المطلب الثاني

التهديد والوعيد

إن سورة الأنعام من السور العقائدية التي تبحث في العقيدة من جوانبها المختلفة والدعوة إلى الله أحد هذه الجوانب، وحينما تصطدم هذه الدعوة بجدار التكذيب والجحود، تأتي آيات التهديد والوعيد لتقرع الآذان، حتى لا يكون لمكذب حجة يوم القيامة، وقد وردت في سورة الأنعام آيات عديدة انصرفت إلى التهديد والوعيد وبيان جزاء من يكذب بآيات الله ويبتعد عن سبيل الحق، يوم لا تزر وازرة وزر أخرى، ويوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أولاً: صور التهديد والوعيد في سياق سورة الأنعام:

١- التهديد والوعيد بيوم القيامة:

أ. قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لله كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢] ، أقسم الله تعالى وتوعد المشركين ليجمعنهم في القبور مبعوثين إلى يوم القيامة، فيجازيهم على شركهم وهذا اليوم لا شك فيه، فهؤلاء خسروا أنفسهم بتضييع رأس مالهم، وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم، كل هذا بسبب إشراكهم وإغفالهم النظر في حال الذين من قبلهم [٢].

---

(١) انظر: أساليب التربية والدعوة والتوجيه في خلال سورة إبراهيم، د. وسيم فتح الله، ص٧٠، موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٥٦/٢، بتصرف يسير.

ب. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨] ، إن هؤلاء المشركين لما وقفوا على النار وعاينوها وعلموا أنهم داخلوها، تمنوا أنهم يردون إلى الدنيا فيؤمنون بالله وآياته، ولا يعودون إلى تكذيب رسله، فأخبر ﷻ أن الأمر ليس كذلك، وأنهم ليس في طبائعهم ولا سجاياهم الإيمان بل سجيتهم الكفر والشرك والتكذيب وأنهم لو ردوا لكانوا بعد الرد كما كانوا قبله، وأخبر أنهم كاذبون في زعمهم، أنهم لو ردوا لآمنوا وصدقوا [١].

ج. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام:٣٠-٣١] ، يوصف الله ﷻ حال المشركين لنبيه ﷺ يوم القيامة وتوعده لهم بقوله: لو ترى هؤلاء المشركين المكذبين حين تقفهم الملائكة، وتحبسهم ليحاسبهم ربهم، ويحكم فيهم بما أراد قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾ [الانفطار:١٩] ، لو رأيت هؤلاء حينئذ لهالك أمرهم واستبشعت منظرهم ورأيت ما لا تؤديه عبارة ولا يحيط به وصف وكأن سائلاً سأل وقال: ماذا قيل لهم حينئذ؟ فأجيب قال لهم ربهم تبكيتاً وتأنيباً، أليس هذا الذي أنتم فيه من أهوال الآخرة هو الحق لا شك فيه؟ قالوا: بلى نعم هو الحق لا شك فيه وربنا، قال لهم ربهم: فذوقوا ألم العذاب المر الذي تجدونه كما يجد من يذوق الشيء من قوة الإحساس الإدراك، كل ذلك بسبب ما كنتم تكفرون به وتجحدون في الدنيا، ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم هذا الإقرار منكم بأنه حق قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله، وما وعد الله به عباده الصالحين، نعم خسروا نعيم الآخرة وثوابها وسعادة الإيمان ولذته ورضواناً من الله أكبر من كل شيء، حتى إذا جاءتهم منيتهم مباغتة لهم ومفاجئة قالوا: يا حسرتنا على ما فرطنا في الحياة الدنيا التي كنا نزعم أن لا حياة بعدها وهم يحملون أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم، يحملونها على ظهورهم، وهذا ما كسبته أيديهم وجنته جوارحهم، ألا ساء ما يحملون وبئس ما يصنعون [٢]، وترى الباحثة أن هذا أخطر أنواع التهديد والوعيد للمشركين المكذبين بالله في سورة الأنعام، فعلى المسلمين الحذر من هذا اليوم العصيب والتجهيز له بالأعمال الصالحة وإصلاح النفس.

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، ابن القيم الجوزية، ٢٤١/١.

(٢) انظر: التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ٦٠٢/١-٦٠٣.

٢- التهديد والوعيد بالهلاك:

أ. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥] ، إن الحق ﷻ يهدد ويملي للقوم الظالمين ويمد لهم الأمر ثم يأخذهم بغتة بالعذاب، وقد يأتي العذاب من فوقهم كما جاء لقوم أبرهة الذين أرادوا هدم الكعبة، فسلط عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، جعلتهم كعصف مأكول، وهناك من أخذهم الحق بالصيحة، وهناك من أهلكتهم بريح صرصر عاتية، وكل ذلك عذاب جاء من فوق تلك الأقوام، أما قارون فقد خسف الله به وبداره الأرض، وكذلك قوم فرعون أغرقتهم المياه، وهذه هي التحتية، فالعذاب قد يأتي من فوق أو من تحت الأرجل حسّياً، وقد يأتي أيضاً من فوقيّة أو تحتيّة معنوية، ومثال ذلك العذاب الذي يسلطه الله على الطغاة الكبار المستبدين، وقد يأتي العذاب من الفئات الفقيرة التي تعيش أسفل السلم الاجتماعي، أما العذاب الخاص بأمة محمد وهو أن كل جماعة منهم تتفرق ويكون لكل منهم أمير، وتختلط الأمور بين الاختلافات المذهبية التي تختفي وراء الأهواء، وبذلك يذيق الله الناس بأس بعضهم بعضاً، لأن الناس ما دامت قد انفرطت عن منهج الله نجد الحق يترك بعضهم لبعض ويتولى كل قوم إذاقة غيرهم العذاب [١].

ب. قال تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٦٧] ، حيث جاء التهديد والوعيد على التكذيب بالقرآن أو بالعذاب، فقال تعالى: لكل نبإٍ مستقر، أي لكل خبر يخبر به وقت استقرار ووقوع وحصول لابد منه ولو بعد حين، كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص:٨٨] ، وقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨] ، هذا تهديد ووعيد أكيد، أتبعه بتهديد آخر، فقال: وسوف تعلمون صدق الخبر وحقيقة الوعد والوعيد، وعد رسوله بالنصر عليهم، ووعيده لهم بالعذاب في الدنيا والآخرة، وهذا وعيد من الله تعالى للكفار، لأنهم كانوا لا يقرّون بالبعث، ووعيد لهم في الدنيا، كما حدث لهم في بدر وغيرها من المعارك الحربية التي استأصلت الكفر والشرك من الحجاز، ولا يفرح المسلمون بهذا الوعيد فإنهم يستحقون العقاب أيضاً إذا تخلوا عن قرآنهم لأن التخلي عنه قريب من التكذيب به، فيشملهم الوعيد والإنذار [٢]، وفي هذا الإجمال من التهديد ما يزلزل القلوب.

٣- الوعيد بكرب الاحتضار للمشركين: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٦٩٨/٦.

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٤٣/٧-٢٤٥.

بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣] ، قد توعدت الآيات بأشد ألوان الوعيد لكل مفتر على الله الكذب، وكل مدع أنه يوحى إليه شيء وكل من زعم انه في قدرته أن يأتي بقرآن مثل هذا القرآن، فبين ﷻ مصير كل ظالم أثيم، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: ولو ترى أيها الرسول الكريم أو أيها العاقل حالة أولئك الظالمين وهم في غمرات الموت، أي: في شدائده وكرباته وسكراته لرأيت شيئاً فظيعاً هائلاً ترتعد منه الأبدان، والملائكة الموكلون بقبض أرواحهم باسطوا أيديهم إليهم بالإماتة والعذاب قائلين لهم على سبيل التوبيخ والزجر: أخرجوا إلينا أرواحكم من أجسادكم، اليوم تلقون عذاب الذل والهوان لا بظلم من الرحمن، وإنما بسبب أنكم كنتم في دنياكم تفترون على الله الكذب، وبسبب أنكم كنتم معرضين عن آياته، مستكبرين عنها ولا تتأملون فيها، ولا تعتبرون بها [١]، ويعتبر هذا أصعب صور التهديد والوعيد لأنه بداية أن يرى الحقيقة على أرض الواقع، فمن مات فقد قامت قيامته.

ثانياً: منهجيات الإصلاح والتغيير في التهديد والوعيد في سورة الأنعام:

١- يمكن استخدام هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله ﷻ ففيه المنهج القويم، والزاد العظيم فما أحوج أصحاب الدعوة إلى الله وأهل الإصلاح في مواجهة التكذيب من قومهم، والجفوة من عشيرتهم، والغربة في أهلهم، والأذى والشدة والتعب واللأواء ... ما أحوجهم إلى هذه الطمأنينة الواثقة التي يسكبها القرآن الكريم في القلوب! [٢].

٢- على أمة الإسلام أن تحذر من أن يطولها الوعيد الرباني والتهديد الإلهي بأن يلبسهم شيعاً متفرقين، بسبب بعدها عن منهج ربها، فعليهم أن يصلحوا من أنفسهم ويغيروا أحوالهم إلى الأحسن، لقد وقع التهديد الرباني حقيقة على أرض الواقع وأكبر شاهد ما يحدث في بلد كلبنان – إبان الحرب الأهلية– وكان الصراع الدائر هناك يكاد يوضح لنا أن كل فرد صار طائفة بمفرده، وكل إنسان منهم له هواه، وكل إنسان يذيق غيره العذاب ويذوق من غيره العذاب [٣].

٣- ركزت سورة الأنعام على ذكر حال الكافرين يوم القيامة و ماهم عليه من الكرب الشديد لأخذ العبرة والعظة.

٤- يأتي الكافر يوم القيامة وهو محمل أوزاره على ظهره ، وهذا من شدة الكرب الذي يعانيه الكافر يوم القيامة.

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٣٠/٥.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٢٧/٢.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٧٠٠/٦.

المطلب الثالث

النظر والتفكر في أحوال الأمم السابقة

لفت القرآن الكريم أنظار الناس إلى أحوال الأمم السابقة وعواقب الأمم البائدة، لكي يستخلص منها المسلم العبر ويستجلي العظات لبناء مجتمعات مؤمنة سليمة، قوية وعادلة، وقد ورد الأمر بالسير في الأرض والحث عليه في آيات من عدة سور، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل:٦٩] ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الرُّوم:٤٢] ، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ القُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف:١٠٩] ، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤] [(١)]، وكذلك في سورة الأنعام منها:

أولاً: وجوب الاتعاظ بحال الأمم السابقة: قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام:٦] ، الآية الكريمة تنبههم إلى وجوب التبصر والتدبر، وتذكرهم بما يستقبلهم إن استمروا على غيهم، وهي فوق ذلك دليل على كمال قدرته في تنفيذ إنذاره، وقد ذكر الله تعالى لأولئك الأقوام الذين أهلكهم الله تعالى في سبيل بيان العبرة:

١- بأنهم مكنوا في الأرض بما لم يمكن للمشركين الذين عاصروا محمداً ﷺ فقال تعالى: ﴿فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾، وذلك كناية عن سعة السلطان، وقيام الصنائع، وكثرة العمران، وثبات حكمهم، واستقرار أمرهم، فأنتم معشر المشركين لم يكن لكم شيء من ذلك، وأنى يكون مكانكم بجوار مكان فرعون، وأنى يكون سعة عمرانكم بجوار سبأ في مسكنهم الذي كان فيه جنات عن يمين وشمال.

٢- أن الله جعل لهم العيش رغداً، ورغد العيش كان غيثاً من السماء فأرسل عليهم السماء مدراراً، والعرب لم يكن مطرهم كثيراً، بل كان غيثاً، يجيء الفينة بعد الفينة.

٣- بالأنهار تجري من تحتهم، أي حولنا أمطار السماء إلى أنهار تجري من تحتهم أي تحت سلطانهم يسيرون مجاريها كما يريدون، فكان الماء عندهم غدقاً ولم يكن ذلك عند العرب،

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رضا، ٢٦٧/٧.

فبأي شيء يفترون ويستعلون، فصنع ﷻ بهؤلاء أن أهلكهم بسبب ذنوبهم [1].

ثانياً: قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام:١١]:

أ- السير في الأرض لمعرفة سنن الله لم تعرفه العرب: السير في الأرض للاستطلاع والتدبر والاعتبار ولمعرفة سنن الله مرتسمة في الأحداث، والوقائع مسجلة في الآثار الشاخصة، وفي التاريخ المروي في الأحاديث المتداولة حول هذه الآثار في أرضها وقومها، والسير على هذا النحو، لمثل هذا الهدف، ويمثل هذا الوعي أمور كلها كانت جديدة على العرب تصور مدى النقلة التي كان المنهج الإسلامي الرباني ينقلهم إليها من جاهليتهم إلى هذا المستوى من الوعي والفكر والنظر والمعرفة، لقد كانوا يسيرون في الأرض، ويتنقلون في أرجائها للتجارة والعيش، وما يتعلق بالعيش من صيد ورعي، أما أن يسيروا وفق منهج معرفي تربوي، فهذا كان جديداً عليهم، وكان هذا المنهج الجديد يأخذهم به وهو يأخذ بأيديهم من سفح الجاهلية، في الطريق الصاعد، إلى القمة السامقة التي بلغوا إليها في النهاية [2].

ب- السير يكون للاعتبار: يعني أن الإنسان قد يسير في الأرض للتجارة أو الزراعة أو لأي عمل، وعليه أن يتفكر في أثناء ذلك وأن يتأمل إذن فهناك سير للاعتبار وسير للمصلحة، والسير للاعتبار يعني أن يأخذ الإنسان العبرة مباشرة، أما السير للمصلحة فهو أن يأخذ الإنسان العبرة ضمن المصلحة، وكان سير قريش بقوافلها إلى الشام واليمن يجعلها قادرة على أن ترى آثار المكذبين سواء من أهل ثمود أو قوم عاد أو غيرهم، وكان عليهم أن يأخذوا العبرة في أثناء سعيهم لتجارتهم [3]، فالسير هنا المقصود به هو التفكر ومحاولة الاستفادة من تجارب الآخرين.

ثالثاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في النظر والتفكر في أحوال الأمم السابقة في سورة الأنعام:

١- موقف الكفار من دعوات الأنبياء للإصلاح يتميّز بالإعراض والعناد، ويهمل العقل والفكر، ويقوم على التّهكّم والاستهزاء، وهذا ليس من سمات الرّجال العقلاء الذين يعتمدون على تقليد الأسلاف بدون رويّة ولا تفكّر، ومن مظاهر هذا الموقف: تركهم النظر في الآيات التي يجب أن يستدلّوا بها على توحيد الله ﷻ من خلق السماوات والأرض وما بينهما، سواء أكانت الآية

---

(١) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٤٣٨/٥-٢٤٣٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠٤٥/٢.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٥١٩/٦.

قرآنية، أم معجزة من معجزات النبي ﷺ التي أيّده الله بها، ليستدلّ بها على صدقه في جميع ما أتى به، كانشقاق القمر ونحوه، أم حجة وبرهاناً من الكون يرشد إلى ضرورة الاعتراف والإيمان بوجود إله واحد، ومن مظاهر موقفهم أيضاً: تكذيبهم مشركي مكة بالحق الثابت من عند الله وهو القرآن وإرسال محمد ﷺ [١].

٢- التفكر في أحوال الأمم السابقة ترشد الإنسان إلى الاستفادة من صناعات الأولين وطرق كسبهم، وهو كاف لتذكير مسلمي هذا العصر بأن القرآن قد أرشد البشر إلى جميع وسائل سعادة الأمم والأفراد في أمري المعاش والمعاد [٢].

٣- إن السّفر مندوب إليه إذا كان على سبيل العظة والاعتبار بآثار من خلا من الأمم وأهل الديّار [٣].

٤- إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها [٤].

٥- قد قص الله علينا في كتابه أخبار أمم كثيرة، ممن استفادوا من هذه السنن، آمنوا بها وعرفوها وراقبوها ورصدوها، واغتنموا الانتفاع بها، فوهبهم الله تعالى النصر، والتمكين، والقوة، والسعادة في الدنيا وفي الآخرة، كما قص علينا قصص أمم أخرى جهلت هذه السنن، أو عرفتها ولكنها لم تعمل بموجبها، فحقت عليها كلمة العذاب، فلم ينقذهم بعد ذلك ما كانوا فيه من قوة ونصر حينما بدأت عوامل الانحراف وعوامل الضعف تعمل فيهم عملها.

٦- المؤمنون الصادقون المصلحون أجدر الناس بمعرفة سنن الله تعالى في الأمم، وأحق الناس بالسير بين الأمم ومعرفة أحوالهم للاستفادة من ذلك في دعوتهم.

٧- مشروعية زيارة القبور للوقوف على مصير الإنسان ومآل أمره فإن في ذلك ما يخفف شهوة الدنيا والنهم فيها والتكالب عليها وهو سبب الظلم والفساد [٥].

٨- إن الإنسان الذي لا يبذل جهده في التفكر والتدبر والتذكر يعيش في حالة دائمة من الغفلة، وحالة الغفلة التي يعيشها أولئك الذين لا يتفكرون، بما توحيه كلمة الغفلة من التجاهل مع عدم النسيان والانغماس في الشهوات والوقوع في الإثم والاستخفاف والاهمال، هي نتيجة من نتائج تجاهلهم وتناسيهم للغاية من خلقهم ولكل الحقائق التي يعلمهم إياها الدين، وهذا الأمر عظيم

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ١٤٠/٧.

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٥٦/٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٩٥/٦.

(٤) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٤٩٣/١، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٥٥/٢.

(٥) أيسر التفاسير، الجزائري، ٤١/٢.

وخطير ومؤداه في النهاية إلى نار جهنم، والإيمان بدون تفكير وتدبر لا يؤدي إلى صلاح الفرد ومخافة الله ﷻ [١].

٩- إن استعمال هذه المنهجية التربوية في طلب العلم بطريقة علمية صحيحة تكشف للإنسان أسراراً كثيرة من المعارف والعلوم التي يجهلها، أثناء سيره في الأرض والتي بدورها تدفعه إلى إصلاح الأفكار والمعتقدات الفاسدة، بالتالي تغيير المواقف [٢].

المطلب الرابع

الحـــــوار

من الملاحظ للمستقريء آيات القرآن الكريم أنه هناك في القرآن أسلوباً متميزاً، ألا وهو أسلوب الحوار، الذي يوجد منه الكثير في آيات هذا الكتاب العزيز، وجاء القرآن ليعرض الحوار بشكل متميز يستدعي الاهتمام ويلفت الأنظار، ويترك للعقول المجال الواسع لاستنباط العبر والعظات من تلك المحاورات العديدة التي حفل بها القرآن العظيم، والتي جاءت في سور عدة في القرآن الكريم، وجاءت تلك المحاورات لتتحدث عن مواضيع مختلفة تهم الناس كافة.

أولاً: تعريف الحوار:

١- **الحوار في اللغة:** الحور لغة من الحور والحور يعني الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وأيضاً: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره، والمحورة: من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة [٣]، والمحاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب [٤]، والمُحاوَرَةُ والحِوَار: المرادّة في الكلام [٥].

٢- **الحوار في الاصطلاح:** هو مراجعة الكلام بين طرفين مختلفين، مع تقديم الحجج والبراهين لإقناع أحدهما برأي الآخر، أو لتقريب وجهات النظر [٦]، فالحوار هو مراجعة للكلام بين

---

(١) انظر: فن التأمل، هارون يحيى، ص٥,٤، مكتبة الكتاب العربي.

(٢) منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الأنبياء والحج "دراسة موضوعية"، إعداد الباحث: بلال خليل ياسين، ص٥٧، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد السلام حمدان اللوح، الجامعة الإسلامية – غزة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢١٧/٤-٢١٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤٠٣/١٠.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٢٦٢.

(٦) انظر: الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"، إعداد: أحمد محمد الشرقاوي، ص٤، جامعة الشرقية، ١٤٢٨هـ.

طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة.

ثانياً: صور الحوار في سياق سورة الأنعام:

اشتملت سورة الأنعام على إقامة الحجج الساطعة والبراهين القاطعة ودحض شبهات المخالفين وتصحيح المفاهيم والدعوة إلى النظر والتفكر ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المقيت والتحرر من الأهواء فهي أصلٌ في محاجة جميع الكفار، وكشف ما هم عليه من ضلالٍ وتفنيد شبهاتهم، وبيان العقيدة الصحيحة وإثباتها بالأدلةِ والبراهين، فالسورة الكريمة زادٌ للدعاةِ ومنهجٌ للمحاورِين [1]، واشتملت السورة الكريمة على حوارات عديدة متنوعة منها:

١- **حوار الله مع المشركين:** قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام:٢٢-٢٣] ، يسأل الله الذين أشركوا وكذبوا وافتروا الكذب على الله ويحاورهم، أين الذين عبدتموهم وأشركتموهم معي؟ إن الله لن يترك الناس سدى، بل كل عمل يفعله الإنسان في الدنيا محصى عليه وسيسأل عنه يوم القيامة، سيسأل الله المشركين عن الذين عبدوهم من دون الله كذباً، أي هؤلاء الآلهة التي أشركها الكافرون في العبادة مع الله؟ ولماذا لا يتقدمون لإنقاذ عبيدهم من العذاب الذي يصليه الله لهم؟! ويقرع ﷻ المشركين، ويحشرهم مع ما عبدوهم من دون الله من الأصنام والأوثان وفي ذلك قمة الإهانة لهم ولتلك الآلهة [2]، لم يكن حبهم للأصنام وإعجابهم بها واتباعهم لها لما سئلوا ووقفوا على عجزها إلا التبرؤ منها والإنكار لها[3]، ولقد جاء هذا الحوار لترهيب المشركين من هول هذا اليوم وتحذيرهم من عاقبة بقائهم على الشرك، ودعوتهم إلى الإقرار بالحق والتسليم له قبل فوات الأوان.

٢- **حوار المشركين مع الرسول ﷺ:** وهو حوار يغلب عليه من جهتهم طابع الجدل وإثارة الشبهات والافتراءات، ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [الأنعام:٢٥] ، فهم لو يرون كل آية مما يطالبون به من المعجزات كإحياء الموتى ونزول الملائكة عياناً لا يؤمنون بها لأنهم لا يريدون أن يؤمنوا، ويحاورون الرسول في شأن التوحيد وآلهتهم، ويقولن له ما هذا ﴿**إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾، أمليت عليك

---

(١) الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"، إعداد: أحمد محمد الشرقاوي، ص١.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٥٦٠/٦.

(٣) البحر المحيط، ابن حيان، ٤٦٥/٤.

أو طلبت كتابتها فأنت تقصها، وليس لك من نبوة ولا وحي ولا رسالة [1]، فهم يحاورون بهدف تأكيد كفرهم ولا بنية صافية لاستبانة آفاق آيات الحق والوصول إلى الطريق القويم [2]، وهذا الحوار يستخدمه كل متعنت متكبر لا يريد أن يصل إلى الصواب والحق، وهو أسوأ صور الحوار.

٣- **حوار الله ﷻ مع رسوله ﷺ:** منه قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنعام:٢٥-٢٧]، أي من هؤلاء الكفار فريق يجيء ليستمع إلى قراءتك القرآن، والحال أنه لا تجزي عنهم شيئاً، ولا يستفيدون شيئاً لأنا قد جعلنا على قلوبهم أغطية لئلا يفقهوا القرآن، وفي آذانهم ثقلاً أو صمماً عن السماع النافع لهم، ومهما رأوا من الآيات والدلالات والحجج البينات والبراهين لا يؤمنوا بها، فلا فهم عندهم ولا إنصاف، حتى إنهم إذا جاؤوك يحاورونك ويناظرونك في الحق وفي دعوتك قالوا: ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم، وما هو إلا نوع من الترهات والخرافات والقصص الأسطورية التي تدون وتشغل أذهان العامة، وهم بالإضافة إلى تكذيبهم للنبي ﷺ ينهون الناس عن اتباع الحق وتصديق الرسول ﷺ والانقياد للقرآن ويبعدونهم عنه [3]، وإنك أيها النبي الكريم لو اطلعت على هؤلاء المشركين عندما يقفون على النار ويشاهدون لهيبها وسعيرها، لرأيت شيئاً مروعاً مخيفاً يجعلهم يتحسرون على ما فرط منهم، ويتمنون أن يعودوا إلى الدنيا ليصدقوا بآيات الله التي طالما كذبوها، وليكونوا من المؤمنين [4]، وحوارُ الحبيب للحبيب، حوار التسلية والتسرية والتثبيت.

٤- **حوار الرسول ﷺ للمؤمنين:** ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الأنعام:٥٤] ، وإذا جاء المؤمنون لرسول الله ﷺ، فيحاورهم بتحيتهم والترحيب بهم ويلقهم منه تحية وسلاماً، ويبشرهم بما ينشط عزائمهم وهممهم، من رحمة الله، وسَعة جوده وإحسانه، ويحثهم على كل سبب وطريق يوصل لذلك، ويرهبهم في الإقامة على الذنوب،

---

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، ٤٩/٢، بتصرف يسير.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٥٦٨/٦.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ١٦٩/٧-١٧٠.

(٤) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٦١/٥.

ويأمرهم بالتوبة من المعاصي، لينالوا مغفرة ربهم وجوده [1]، وهذا هو الهدف من الحوار أن تبدو فيه روح المحبة وتتجلى فيه معاني الرحمة.

٥- **حوار الرسول ﷺ مع المشركين:** قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:٥٦] ، يخاطب النبي ﷺ المشركين محاوراً لهم بقوله إن الله نهاني وصرفني بفضله، وبما منحن من عقل مفكر عن عبادة الآلهة التي تعبدونها من دون الله، وإني لست متبعاً لما تمليه عليكم أهواؤكم وشهواتكم من انقياد للأباطيل، ولو أني ركنت إليكم لضللت عن الحق وكنت خارجاً عن طائفة المهتدين [2]، إنه حوار وعظ وإرشاد إلى طريق الإصلاح والتغيير.

٦- **حوار الملائكة مع المشركين:** قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣] ، حيث تقول لهم الملائكة وتحاورهم توبيخاً وتأنيباً وتهكماً حين قبض أرواحهم: أخرجوا أنفسكم وأرواحكم إلينا من أجسادكم، وهذا دليل العنف والتشديد في إزهاق الروح من غير إمهال، وسبب ذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والجحيم وغضب الله، فتتفرق روحه في جسده وتأبي الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون على اتباع آياته، والانقياد لرسله، فلا تؤمنون بالآيات والرسل، وتفترون على الله غير الحق [3]، وهو ما يعرف بحوار التوبيخ والتقريع والزجر والتهكُّم.

٧- **حوار الله ﷻ مع المسلمين:** قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨] ، يحاور الله المؤمنين بقوله: لا تسبوا أيها المؤمنون معبوداتهم التي يدعونها من دون الله لجلب النفع لهم أو دفع الضر عنهم بوساطتها وشفاعتها عند الله لهم، فيترتب على ذلك سبهم لله ﷻ (عدوا)، أي تجاوزاً منهم في السباب والمشاتمة التي يغيظون بها المؤمنين إلى ذلك بغير علم منهم أن ذلك يكون سباً لله ﷻ، لأنهم وهم مؤمنون بالله لا يتعمدون سبه ابتداء عن روية وعلم، بل يسبونه بوصف لا يؤمنون به [4]، وهو ما يعرف

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٥٨، بتصرف يسير.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٨٣/٥.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٩٨/٧.

(٤) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٥٥٣/٧.

بحوار الإرشاد والتوجه برفقٍ ورحمةٍ، وبيانٍ وحكمةٍ.

رابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في الحوار في سورة الأنعام:

١- إن السورة حوار شامل مع الكافرين في كل الاتجاهات الرئيسية للكفر سواء كانت نظرية، أو كانت عملية، ولذلك فإن على الداعية إلى الله أن يتملَّى حججها ويعرف كيف يقرع بها [١].

٢- الحوار: سبيل الإقناع، ومفتاح القلوب، وأسلوب التواصل والتفاهم، ووسيلة التعارف والتآلف، ومنهج الدعوة والإصلاح، ومسلك التربية والتعليم، ومجمَعُ التقارب والالتقاء، وسننُ الأنبياء عليهم السلام، مع أقوامهم لإقامة الحجج ودفع الشُّبه [٢].

٣- ورود السياق القرآني الجليل مصدراً بصيغة الأمر (قُلْ) المشعرة بأن الداعية ينبغي أن يصدع بالحق وأن يتخذ من القول المبين والحجة البالغة منهاجاً وغاية . [٣].

٤- إن المتأمل إلى حال الأمة اليوم، ويرى مدى تكالب الأمم جميعاً على ديننا، وكثرة السهام الموجهة إلينا يدرك تمام الإدراك أنه يتحتَّم على الداعية أن يكون له دوره في مواجهة كل هذه التيارات وفي صد تلك السهام المصوبة على ديننا الحنيف، وهذا يحتاج إلى توحيد الجهود وتوحيد الصفوف.

٥- ومن المتطلبات الضرورية للداعية حاجته إلى فهم أصول الحوار، فإن كثيراً من الناس بدافع المحبة والعاطفة للإسلام يفسد أكثر مما يصلح، إما بالسبّ والشتم للمقابل، أو بعدم التمكن من التحاور لسرعة غضبه وحمقه، وقد يكون البعض من الدعاة صيداً ثميناً لمارق يريد أن يفسد عليه، وذلك بإثارته، والتشغيب عليه، وجره إلى شبهات ينهزم أمامها في أول جولة، إن لم تتزعزع ثوابته، وتختلط عليه الأمور، وقد رأينا شيئاً من هذا في مناسبات متعددة [٤].

٦- الحوار لون من ألوان الجهاد وهو واجب على الدعاة وهذا الواجب قد فرَّط فيه كثير من الدعاة والمصلحين، ففي الوقت الذي نجد فيه دعاة التقريب بين الأديان ودعاة العصرانية ينشطون لذلك ويعقدون الندوات والمؤتمرات تارة باسم التعاون وأخرى باسم التسامح والتعايش وتارة لتحاشي النزاعات وصدام الحضارات على حد زعمهم، وغير ذلك من موضوعاتٍ؛ نجد في الوقت نفسه تقاعساً كبيراً وعزوفاً من دعاة الحق عن هذا النوع من الجهاد [٥].

---

(١) الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى، ١٦٦١/٣، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٤م.

(٢) الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"، إعداد: أحمد محمد الشرقاوي، ص١.

(٣) انظر: وسطية الإسلام ودعوته للحوار، أ.د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، ص٣٤، موقع وزارة الأوقاف السعودية، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة.

(٤) انظر: البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي، ص١٦٨.

(٥) انظر: الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"، إعداد: أحمد محمد الشرقاوي، ص١١.

المطلب الخامس

الاســتدراج

لله سنن كونية لا تتبدل ولا تتغير، فالله ﷻ يمهل ولا يهمل، ومن سنه في الكون سنة الاستدراج للعصاة، فالتاجر يحصي الأموال التي خسرها، والطالب درجات النجاح والرسوب، وهكذا المؤمن، فهو يحصي سيئاته ويحذر عاقبتها، بخلاف الغافل الذي قال الله عنه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف:٥٧].

أولاً: تعريف الاستدراج:

١- **الاستدراج في اللغة:** أصله الدال والراء والجيم وهو أصل واحد يدل على مضي الشيء والمضي في الشيء، من ذلك قولهم درج الشيء، إذا مضى لسبيله، ورجع فلا أدراجه، إذا رجع في الطريق الذي جاء منه، ودرج الصبي، إذا مشى مشيته [(١)]، ودرج البناء ودرجه، بالتثقيل: مراتب بعضها فوق بعض، ودرجه إلى كذا واستدرجه، بمعنى، أي أدناه منه على التدريج، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٢]، قال بعضهم: معناه سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم؛ وقيل: معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به فيركنون إليه ويأنسون به فلا يذكرون الموت، فيأخذهم على غرتهم أغفل ما كانوا [(٢)].

٢- **الاستدراج عند المفسرين:**

- **الاستدراج:** هو الأخذ قليلاً قليلاً، الاستدراج من الله هو أن العبد كلما ازداد معصية زاده الله تعالى نعمة، وقيل: هو أن يكثر عليه النعم وينسيه الشكر، ثم يأخذه بغتة [(٣)].

وأصل الاستدراج:

١- "اغترارُ المستدَرج بلطف من استدرجه، حيث يرى المستدَرج أن المستدرِج إليه محسنٌ، حتى يورِّطه مكروهاً" [(٤)].

٢- أن ندرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً ولا يباغت ولا يجاهر [(٥)]، وأن تنطوي على حالة منزلة بعد منزلة [(٦)].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/٢٧٥.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢/٢٦٦-٢٦٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن، السمعاني، ٢/٢٣٦.

(٤) جامع البيان، الطبري، ١٣/٢٨٧.

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ٤/٣١٢.

(٦) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ٢/٣٧٣.

٣- الاستدراج انتشار الصيت بالخير في الخلق، والانطواء على الشر -في السر- مع الحق، وألا يزداد في المستقبل صحبة إلا ازداد في الاستحقاق نقصان رتبة [١].

٤- سيقان المشركين شيئاً بعد شيء ودرجة بعد درجة بالنعم عليهم والإمهال لهم حتى يغتروا ويظنوا أنهم لا ينالهم عقاب [٢].

ثانياً: الاستدراج في سياق سورة الأنعام:

وردت لفظة الاستدراج في القرآن الكريم مرتين أحدهم في سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٢] ، والأخرى في سورة القلم، قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم:٤٤] [٣]، اما في سورة الأنعام فلم يذكر فيها لفظة الاستدراج، ولكن ذكرت معناه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] ، المراد أنهم انهمكوا في معاصيهم ولم يتعظوا بما نالهم من البأساء واستدراجاً لهم [٤]، ويدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش، ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام أعجبوا بذلك وظنوا أنهم إنما أعطوه لكون كفرهم الذي هم عليه حقاً وصواباً، وهذا فرح بطر وأشر كما فرح قارون لما أوتي من الدنيا [٥] وبعد هذا الفرح أخذناهم بعذابنا فجأة فإذا هم يائسون قانطون من كل خير واستؤصلوا وهلكوا عن آخرهم [٦].

وفي الخبر أن الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ: (إذا رأيت الفقر مقبلاً إليك فقل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلاً إليك فقل ذنب عجلت عقوبته) [٧]، والانغماس في الترف وسعة المعيشة قد يكون استدراجاً ومقدمة للعقاب، وذلك مشروط بمخالفة سنة الله في الأرض.

---

(١) لطائف الإشارات، القشيري، ٥٩٢/١.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٤٨٢/٢.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص١٤٤.

(٤) روح المعاني، الألوسي، ١٤٣/٤.

(٥) انظر: فتح البيان، محمد صديق خان القنوجي، ١٤١/٤-١٤٢.

(٦) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ص٣٦٢، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤٢٦/٦.

ثالثاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في الاستدراج في سورة الأنعام:

١- أعظم خطر على المكذب أنه ليستدرج حتى يهلك وهو لا يعلم [١].

٢- أكبر موعظة على الإنسان أن يذكر دائماً أن أجله قد يكون قريباً وهو لا يدري فيأخذ بالحذر والحيطة حتى لا يؤخذ على غير توبة فيخسر [٢].

٣- إن الله حين يريد أن يعاقب واحداً على قدر جرمه في حق أخيه الإنسان في الدنيا يأخذه من أول جرم؛ لأن الأخذة في هذه الحالة ستكون لينة، لكنه يملي له ويعليه ثم يلقيه من عَلِ [٣].

٤- حينما يستدرج البشر، فإن الطرف المستدرج له أيضاً ذكي، ويعرف أن هذا نوع من الكيد وفخ منصوب له؛ لأن البشر يعلمون طرق استدراج بعضهم لبعض، لكن حين يكون ربنا القوي العزيز هو الذي يستدرج فلن يعرف أحد كيف يفلت [٤].

٥- إن عموم الآية يشمل هؤلاء وغيرهم ممن يظهرون مغترين، يقولون في غرورهم نحن أكثر أموالاً وأولاداً، فالله تعالى يمهل ولا يهمل، وإن اغترار المشركين بالمال والنفر يمنعهم من التفكير في مآل أمرهم [٥].

٦- إنَّ البعض تغره الدنيا وتكاثرها، وهذا استدراجٌ من الله ﷻ، فإن تاب ورجع وإلا أخذه العذاب، وإن المؤمن بالله حقاً يبتعد عن المعاصي كما يبتعد عن النار، ويصلح من نفسه فإذا زلَّ مرة من المرات اضطربت أعصابه، وجعل قلبهُ يخفق، وأصابه ندمٌ عظيم، وكلما تذكر تلك الهفوة احْمَر وجهه خجلاً، وهاجت عليه أحزانه، وتذكر عصيانه لسيده ومولاه، ولا يزال موجع القلب حتى يفارق الدنيا ويوارى في التراب.

٧- إن سنة الاستدراج تعمل عملها في هذه الأوقات، وذلك في معسكر أهل الكفر والنفاق، وبخاصة الذين بلغ بهم الكبر والغطرسة والظلم والجبروت مبلغاً عظيماً ونراهم يزدادون يوماً بعد يوم في الظلم والبطش والكبرياء، ومع ذلك نراهم ممكنين ولهم الغلبة الظاهرة كما هو حاصل الآن مع دولة الكفر والطغيان أمريكا وإسرائيل ومن سار في فلكها، حيث ظلمت وطغت ولسان حالها ومقالها، يقول تعالى: ﴿**مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾ [فصِّلت:١٥] ، وقد يحيك في

---

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، ٢٦٩/٢.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٤٤٩٠/٧.

(٤) نفس المرجع السابق، ٤٤٩١/٧.

(٥) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٣٠١٨/٦.

قلوب بعض المسلمين شيء وهم يرون هؤلاء الكفرة يبغون ويظلمون ومع ذلك هم متروكون لم يأخذهم الله بعذاب من عنده، ولكن المسلم الذي يفقه سنة الله ويتأملها ويرى آثارها وعملها في الأمم السابقة لا يحيك في نفسه شيء من هذا، لأنه يرى في ضوء هذه السنة أن الكفرة اليوم، وعلى رأسهم أمريكا وحلفائها هم يعيشون سنة الاستدراج التي تقودهم إلى مزيد من الظلم والطغيان والغرور، وهذا بدوره يقودهم إلى نهايتهم الحتمية وهي الهلاك [1]، واستئصالهم وقطع دابرهم، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥].

٨- على المصلحين والدعاة أن يوضحوا للعصاة أن نعمة المال والولد هما استدراج من الله لهم فعليهم شكر الله على هذه النعم حتى لا يقعوا في العقوبة الإلهية التي لا مَرَدَ لها.

المطلب السادس

العناية الإلهية للدعاة

إن المتأمل في هذا العالم المترابط الأجزاء يجد فيه الدلالة الواضحة على قدرة خالقه، وكمال علمه وحكمته وحسن لطفه وعنايته بالعالم كله إذ الرعاية شاملة لكل أفراده، والعلم محيط بكل جزيئاته.

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، ومع أن رعاية الله وعنايته ﷻ، شاملة للعالم كله، والإنسان جزء من هذا العالم، إلا أن الله قد خص الرسل والدعاة بمزيد من تلك العناية والرعاية، فقد هيأ لهم كل احتياجاتهم للسير في دعوتهم والصبر على أذى أقوامهم.

أولاً: أدلة العناية الإلهية من القرآن والسنة النبوية:

١- **من القرآن الكريم:** من الصعب عرض جميع الآيات الكريمة التي تتحدث عن مظاهر العناية الإلهية على الإنسان، قال تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]، ومن الأدلة على العناية الإلهية، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام:١٤٢]، قال تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

---

(١) انظر: منهجيات التغيير والإصلاح في ضوء سورة آل عمران، عطا يوسف وادي، ص١٤٤.

٢- **من السنة النبوية:** عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته)** [(١)]، ويُعد هذا الحديث من أعظم مظاهر العناية الإلهية للدعاة والصالحين.

ثانياً: العناية الإلهية للنبي ﷺ في سياق سورة الأنعام:

١- **مواساة الرسول على ما يلاقيه من قومه وبيان طريق الدعوة:** قال تعالى: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام:٣٣-٣٤] ، تتجه الآيات للحديث إلى رسول الله ﷺ يطيب الله ﷻ خاطره في أوله، مما يلاقيه من تكذيب قومه له، وهو الصادق الأمين، فإنهم لا يظنون به الكذب، إنما هم مصرون على الجحود بآيات الله وعدم الاعتراف بها وعدم الإيمان، لأمر آخر غير ظنهم به الكذب! كما يواسيه بما وقع لإخوانه الرسل قبله من التكذيب والأذى، وما وقع منهم من الصبر والاحتمال، ثم ما انتهى إليه أمرهم من نصر الله لهم، وفق سنته التي لا تتبدل [(٢)].

٢- **الدعوة تجري بقدر الله وفق سنته:** قال تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأنعام:٣٥] ، يخاطب الله نبيه ﷺ بقوله: إن كنت تعظم تكذيبهم وكفرهم على نفسك وتلتزم الحزن عليه فإن كنت تقدر على دخول سرب في أعماق الأرض أو على ارتقاء سلم في السماء فدونك وشأنك به، أي إنك لا تقدر على شيء من هذا، ولا بد لك من التزام الصبر واحتمال المشقة ومعارضتهم بالآيات التي نصبها الله تعالى للناظرين المتأملين، إذ هو لا إله إلا هو لم يرد أن يجمعهم على الهدى، وإنما أراد أن ينصب من الآيات ما يهتدي بالنظر فيه قوم ويضل آخرون، إذ خلقهم على الفطرة وهدى السبيل وسبقت رحمته غضبه، وله ذلك كله بحق ملكه فلا تكونن من الجاهلين في أن تأسف وتحزن على أمر أراده الله وأمضاه وعلم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ١٠٥/٨، ح (٦٥٠٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠٧٣/٢.

المصلحة فيه [1]، **ترى الباحثة** أنه ما يزال الله ﷻ يخاطب نبيه معتنياً به وراعياً له ومحافظاً له ومربياً ومصلحاً له ومرشداً له إلى كل خير فلا عجب أن يلقى كل هذه العناية في ذلك فهو صفوة الخلق وحبيبه، وخاتم النبيين ﷺ.

ثالثاً: العناية الإلهية لسيدنا إبراهيم عليه السلام في سياق سورة الأنعام وهي كالآتي:

١- **تعليم إبراهيم عليه السلام:** قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣] ، علّم الله تعالى إبراهيم عليه السلام كل أنواع الحجج العقلية التي يفحم بها قومه، ويبطل شبهاتهم ومزاعمهم [2].

٢- **رؤية إبراهيم ملكوت السماوات والأرض:** قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥] ، أي أن الله عرّف إبراهيم ذلك وبصره وفقهه، وأرشده بما يشرح صدره ويسدد نظره، ويهديه لطريق الاستدلال، وليكون ممن أيقن تمام الإيقان أن شيئاً من الأصنام والشمس والقمر والكواكب لا يصح أن يكون إلهاً [3].

٣- **هداية إبراهيم عليه السلام:** قال تعالى: ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام:٨٠] ، أي أتجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا الله، وقد بصرني وهداني إلى الحق، ووفقني وأنا على بينة منه [4].

٤- **رفع درجات إبراهيم عليه السلام:** قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣]، الدرجات والمراتب العالية في الهداية والتوفيق [5].

٥- **أكرم إبراهيم بأولاد صالحين من صلبه:** قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام:٨٤] ، أكرم الله نبيه إبراهيم عليه السلام، فوهب له إسحاق، بعد أن كبر في السن، وأيس هو امرأته "سارة" من الولد، وكان هذا مجازاة ومكافأة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم، وهاجر من بلاده ذاهباً إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله ﷻ عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه، على دينه، لتقرّ بهم عينه [6].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢٨٧/٢.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٧٤/٧.

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٦٢/٧.

(٤) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٥٦٦/٥.

(٥) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٥٧٢/٥.

(٦) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٧٧/٧.

إن تعليم إبراهيم عليه السلام وهدايته وإرشاده ورفع درجاته وإكرامه بالذرية الصالحة كل هذا يدل على كمال العناية الإلهية به ومكانته عند ربه.

رابعاً: العناية الإلهية للدعاة:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١] ، تبين الآيات أن الفطرة قد تفسد بسبب ما يقع عليها من ضغوط داخلية وخارجية، وبسبب الإغواء والاستهواء الذي يقوم به شياطين الجن والإنس، بكل ما يملكون من أجهزة التوجيه والتأثير، إنما يكل الله الناس وحيه ورسله وهداه وكتبه، ليرد فطرتهم إلى استقامتها وصفائها، وليرد عقولهم إلى صحتها وسلامتها، وليجلو عنهم غاشية التضليل من داخل أنفسهم ومن خارجها، وهذا هو الذي يليق بكرم الله وفضله، ورحمته وعدله، وحكمته وعلمه، فما كان ليخلق البشر، ثم يتركهم سدى، ثم يحاسبهم يوم القيامة ولم يبعث فيهم رسولاً، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] ، وأنه أوحى إلى هؤلاء الرسل منهج الدعوة إلى الله، وأنزل على بعضهم كتباً تبقى بعدهم في قومهم إلى حين، ككتب موسى وداود وعيسى، أو تبقى إلى آخر الزمان كهذا القرآن [١].

ومن عناية الله بالدعاة أن الله تعهد بإرسال رسله، وإنزال كتبه، المشتملة على الهدى والنور، ففيها طمأنينة قلب الدعاة، وإشباع روحهم، وهدوء نفوسهم، حيث تضعهم في الخط المستقيم الواضح، الذي يصلهم بربهم وخالقهم، كما بينت لهم السبل المتفرقة المضلة التي تؤدي بهم إلى ما يمزق كيانهم، ويشتت أمرهم.

خامساً: منهجيات الإصلاح والتغيير في العناية الإلهية للدعاة في سياق سورة الأنعام:

١- في الآيات، قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٣-٣٤] ، تربية من الله تعالى لرسوله والاعتناء به وإرشاده لما يشد من عزمه ويزيد في ثباته على دعوة الحق التي أناط به بلاغها وبيانها [٢]، وفيه يسكب الطمأنينة في قلب المؤمن، وفي قلوب العصبة المسلمة، أياً كان

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٤٦/٢.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ٥٤/٢.

عددها، إن هذه العصبة ليست وحدها [١].

٢- قد دلت التجارب على أن التأسي يهوّي المصاب ويفيد شيئاً من السلوى [٢].

٣- من عناية الله ﷻ برسله أن نصره حتم لا بد منه [٣].

٤- يستخدم الله ﷻ أسلوب الجد الصارم، والحسم الجازم، إلى جانب التطمين والتسرية والمواساة والتسلية [٤]، فعلى المصلحين أن يستخدموا هذا الأسلوب في تعاملهم وفي دعوتهم إلى الناس.

٥- وجوب التعامل مع النفس الإنسانية على أنها نفس مكرمة، فلا يجوز التعرض لها بالأذى والإهانة؛ لما لذلك من أضرار مدمرة على شخصية الفرد، أولها تشكل مفهوم خاطئ للمتعلم عن نفسه، حيث أن مفهومه لنفسه يتشكل من خلال نظرة الآخرين له، فاحترام المتعلم وتقديره يدفع به نحو احترام نفسه وتقديره لها، مما يترتب عليه القيام بأدوار اجتماعية تنسجم تماماً مع نظرته لنفسه ونظرة الآخرين له، وكذلك العكس.

٦- يتولى الله ﷻ أمور عبده المؤمن بما يُحقق له مصلحته الحقيقية ويجلب له السعادة في الدارين، وفي بعض الأحيان قد تكون من مظاهر تلك الولاية التضييق على العبد في أمور الدنيا إلا أنها تحمل في طياتها خيراً كثيراً [٥].

٧- يجب أن تعكس المناهج التربوية وعلى مختلف تخصصاتها صور التكريم الإلهي للإنسان، وذلك باستحضار المشهد المهيب الذي حظي به الإنسان والتمثل بسجود الملائكة له وبما اختصه الله به من نفخة من روحه، فمعرفة الإنسان لمكانته في الكون يدفع به إلى معالي الأمور وأعظمها، وفي المقابل التقليل من شأن الإنسان كما هو الحال بالنسبة إلى بعض النظريات الوضعية التي نظرت إلى الإنسان على أنه امتداد للسلالات الحيوانية مما دفع بالإنسان إلى الانحطاط والسقوط إلى مدارك البهيمية الهابطة.

٨- لا يكفي إيمان بعض الأفراد –هنا وهناك– لكي تتحقق بهم الولاية والنصرة للأمة، فالأمة كالجسد الواحد، لا يكون صحيحاً إلا إذا صحَّت جميع أعضائه، بمعنى أن وجود أفراد صالحين في ذواتهم لا يكفي لاستجلاب المعية والنصرة الإلهية، بل لابد وأن يقوموا بالعمل على إصلاح غيرهم – بإذن الله– وأن يبذلوا غاية جهدهم في ذلك من خلال العمل على تقوية

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٤٤/٣.

(٢) تفسير المراغي، المراغي، ١١١/٧.

(٣) نفس المرجع السابق، ١١٢/٧.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠٧٨/٢.

(٥) انظر: نظرات في التربية الإيمانية، مجدي الهلالي، ص١٦.

الإيمان في قلوبهم، وتصحيح التصورات والمفاهيم الخاطئة في عقولهم، ودفعهم إلى طريق التواضع ونكران الذات، وتعويدهم على بذل الجهد في سبيل الله، وعندما تشيع معاني الصلاح في الأمة ويرتفع منسوب الإيمان في القلوب، ولو بنسبة معقولة تتيح للمسلم اتخاذ قرارات التضحية ببعض شهواته ومصالحه من أجل نصرة دينه، عندئذ يتحقق موعود الله بنصر الأمة – بإذنه ﷻ– مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١][(١)]، والصبر كذلك لتحقيق النصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤].

٩- عندما يعلم المسلم بالعناية الربانية له ويحس برعاية الرحمن له فيشعر بالكرامة وعزة النفس، ويشعر في الوقت ذاته بفضل الله تعالى عليه، وعليه أن يبادر بالشكر لله على عنايته له ورعايته، وبهذا يتبين أن إيمان المصلحين بعدالة قضيتهم التي يدعون إليها، استشعارهم بأن الله ﷻ معهم وناصرهم في كل حركة وسكنة إصلاحية هم فاعلوها، يجعلهم أكثر نشاطاً وأكثر طمأنينة في وجه كل التحديات الصعبة التي تحيط بهم مهما بلغت خطورتها [(٢)].

١٠- في العناية الربانية للإنسان وخاصة الدعاة رسالة إلى الطغاة والمتجبرين، طغاة القرن العشرين الذين يتعرضون للدعاة والمصلحين لهذه الأمة بشتى أنواع العذاب من قتل وحبس وانتهاك الأعراض وغير ذلك، أنهم في مرمى سخط الله وغضبه، وليأذنوا بحرب من الله، إذا لم يصلحوا أنفسهم ويغيروا ما أفسدوا به، فعليهم أن يراجعوا حساباتهم وعقولهم وليعلموا أن الدعاة والمصلحين هم صفوة الله في الأرض، وأن الدعاة هم أولياء الله وأحبائه.

المطلب السابع

الدعوة هي مهمة الأنبياء

إن الإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها، وهذا هو الأصل الأول للدعوة، وقد بلَّغ الرسول الكريم ﷺ هذا الإسلام العظيم أحسن تبليغ وأكمله، وظل يدعو إلى الله منذ أن أكرمه الله بالرسالة إلى حين انتقاله إلى جوار ربه الكريم، ولهذا أرسله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، فهو ﷺ الداعي الأول إلى الإسلام [(٣)].

---

(١) انظر: نظرات في التربية الإيمانية، مجدي الهلالي، ص١٦.

(٢) انظر: منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الأنبياء والحج "دراسة موضوعية"، بلال خليل ياسين، ص٨٤.

(٣) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٥.

أولاً: دعوة الأنبياء إلى الله في سياق سورة الأنعام:

١- **دعوة الرسل تؤكد على معاني العقيدة:** قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٤-١٧]، تبين الآيات أنه على الداعي المسلم في دعوته إلى الله تعالى أن يؤكد على معاني العقيدة الإسلامية، فيؤكد على الإيمان بالله ربَّاً وإلهاً، وعلى الإيمان بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وعلى البعث بعد الموت بالروح والجسد، وعلى ضرورة العمل الصالح للنجاة من العذاب في الآخرة، فالعقيدة الإسلامية هي الأساس في دعوة الداعي وما يؤكد عليها دائماً، ولا يغفل عنها مطلقاً؛ لأنها هي الأصل في دعوته، وما عداه الفروع، فإذا استقام له هذا الأصل واستجاب له المدعوون بعد كفرهم، سهل عليه إقناعهم بمعاني الإسلام وفروعه المختلفة، وإذا رفضوه رفضوا سائر فروعه ومعانيه، وهذا هو النهج الصحيح الذي دلَّ عليه القرآن الكريم، وسار عليه النبي الكريم ﷺ [(١)].

٢- **دعوة الرسول تزيل الشبهات:**

أ. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٨-٩]، تبين الآيتان أن هؤلاء المكذبين بآيات الله، ويعدلون معه الآلهة، يقولون لمحمد رسول الله، عندما يدعوهم إلى توحيد الله والإقرار بربوبيته: "هلا نزل عليك ملك من السماء في صورته، يصدّقك على ما جئتنا به، ويشهد له بحقيقة ما تدَّعي من أن الله أرسلك إلينا!" يثيرون الشبه أمام دعوة الرسول ولو أتيهم من الآيات والعبر بما أتى، واحتج عليهم بما احتج عليهم مما قطعت به أعذارهم [(٢)]، فرد الرسول على شبهتهم وعلى طلبهم أنه لو أنزل عليهم ملكاً لأهلكوا بعذاب الاستئصال كسُنَّة مَنْ قبلهم ممن طلبوا الآيات فلم يؤمنوا فلا يمهلون لتوبةٍ ولا لغير ذلك، ولخلط عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أمَلَكٌ هو أم آدميٌّ؟ [(٣)].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص ٤٢٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٦٦/١١، بتصرف يسير.

(٣) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، ص٣٤٥، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، ط١، دمشق-بيروت، ١٤١٥هـ.

ب. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠] ، لقن الله ﷻ رسوله ﷺ الأجوبة الحاسمة التي تدمغ شبهات الكافرين، وتبين ضلال مقترحاتهم، قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يقترحون عليك المقترحات الباطلة قل لهم: ليس عندي خزائن الرزق فأعطيكم منها ما تريدون، وإنما ذلك لله ﷻ فهو الذي له خزائن السموات والأرض، وقد كان المشركون يقولون للنبي ﷺ إن كنت رسولاً من الله فاطلب منه أن يوسع عيشنا ويغني فقرنا، وقل لهم كذلك إني لا أعلم الغيب فأخبركم بما مضى وبما سيقع في المستقبل، وإنما علم ذلك عند الله، وقد كانوا يقولون له أخبرنا بما ينفعنا ويضرنا في المستقبل، حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار، وقل لهم: إني لست ملكاً فأطلع على ما لا يطلع عليه الناس وأقدر على ما لا يقدرون عليه، وقد كانوا يقولون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ثم يتزوج النساء، ثم بين لهم وظيفته فقال: إنْ أتَّبع إلا ما يوحى إليَّ أي إن وظيفتي اتباع ما يوحى إليّ من ربي، فأنا عبده وممتثل لأمره، وحاشا أن أدعي شيئاً من تلك الأشياء التي اقترحتموها علي[1].

٣- مهمة الأنبياء هو التبشير والإنذار: قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ المُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ العَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام:٤٨-٤٩]، أي أنّ مهمة الرسل محصورة ببشارة المؤمنين بالجنة والخيرات، وإنذار من كفر بالله بالنار والعقوبات، ثم بيّن مصير الفريقين: فمن صدّق الرسل وآمن بقلبه بما جاؤوا به، وأصلح عمله باتباعه إياهم فلا خوف عليهم في المستقبل من عذاب الدّنيا وعذاب الآخرة، ولا هم يحزنون يوم لقاء الله، على ما فاتهم في الماضي، وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا لأن الله يحفظهم من كل فزع، كما قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٣] ، ولا يحزنون في الدنيا مثل حزن المشركين في شدته وطول مدته، وإنما يصبرون على ما أصابهم، ويلتمسون الأجر عند الله، ويتأملون العوض منه، لأن الله تعالى أرشدهم للشكر عند النعمة والصبر عند النقمة، وتفويض الأمر للخالق، ومن كذب بآيات الله التي أرسل بها الرسل، ينالهم العذاب بما كفروا وجحدوا بما جاءت به الرسل، وخرجوا عن أوامر الله وطاعته، وارتكبوا المنهيات المحظورات، وكان جزاء كفرهم وفسادهم في الدنيا بأنواع النقمة، وفي الآخرة لألوان الغضب والسخط في

(١) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٥/٧٧-٧٨.

جهنم[1]، لذلك على المصلحين أن يقوموا بما قام به الأنبياء ومن إنذار العصاة عذاب الله ﷻ، وتبشير المؤمنين برضا الله والجنة.

ثانياً: منهجيات الإصلاح والتغيير في الدعوة مهمة الأنبياء في سورة الأنعام:

١- الاستهزاء بالرسل والدعاة والمصلحين سنة بشرية لا تكاد تتخلف ولذا وجب على الرسل والدعاة والمصلحين الصبر على ذلك [2].

٢- هناك تجاراً للدعوة من النجوم في الفضائيات وأن هؤلاء لا يعدون من الدعاة الحقيقيين، وإنما توافر لهم دعم مالي ووساطة معينة وتبادل منافع مؤسسات استغلوا خلو الساحة من العلماء المؤثرين بعد غياب كبار العلماء، فوجدوا الساحة خالية وخاوية فهؤلاء لا يحسبون على الدعاة لا من قريب ولا من بعيد لأنهم أرادوا الأموال والهبات والعطايا وأصبحت لهم قصوراً فاخرة.

٣- في سيرة سلفنا الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، سوابق مهمة في أمور الدعوة يستفيد منها الدعاة إلى الله؛ لأن السلف الصالح كانوا أعلم من غيرهم بمراد الشارع وفقه الدعوة إلى الله، وما زال أهل العلم يستدلون بسيرتهم [3].

٤- إذا كان أهل الباطل يثيرون الشبهات ويفترون الأكاذيب في وجه الدعوة وضد الدعاة والمصلحين، فعلى الدعاة والمصلحين أن يبتعدوا عن موضع الشبهات حتى لا يتعلق المبطلون بها، ويتخذونها تكأة لافترائهم [4].

٥- لا مانع من أن يجمع الداعية بين المصلحة الدنيوية والمصلحة الدينية حيث انه لا يوجد أي نص شرعي يمنع هذا، بمعنى أن المتخصص في علم من علوم الشريعة لو كان يفيد الناس في الأحكام الشرعية ويخصص من وقته لتعليمهم فلا مانع من تلقيه أجراً على ذلك، فتكون الفائدة المادية التي يحصل عليها نظير استقطاعه من وقته للقيام بهذا الأمر، وأنه نظراً لصعوبة الظروف المعيشية الصعبة التي يعاني منها العديد من الناس فإن الدعاة شغلتهم الحياة عن الدعوة مما أدى إلى إحجام الكثيرين عن الدخول في هذا المجال، ولذلك فإن حصول الداعية والعالم على مبالغ مالية مقابل دعوته ربما يكون حافزاً قوياً لمن يفكر في الدخول إلى مجال الدعوة.

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٢٠٥/٧.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ٤٠/٢.

(٣) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٥.

(٤) انظر: نفس المرجع السابق، ص٤٣٤.

٦- إن الدعاة والمصلحين هم أصدق الناس قيلاً، وأشرفهم طريقاً، وأن عملهم المستمد من وحي الله إنما هو تيسير لأسباب السلامة في الدنيا والآخرة، وإطفاء للفتن العاجلة والآجلة، وهم أكثر ناس قدرة على إحداث التغيير، وثمرة الجهاد الطويل للدعاة إلى الله هي من حظ الناس وحدهم، فالله غني عن عباده، والرجال الكرام من أنبيائه لا يرتقبون من الناس شيئاً لقاء عملهم، إن هذا النداء المتكرر على ألسنة المرسلين ليس إلا مظهراً من رحمة الله العامة وعطفه على المعلولين والحائرين [١].

٧- إن الدعوة إلى الله على المنهج الصحيح فيه تصحيح لعقائد الناس من الشرك والبدع والشعوذة، وجميع ما يخالف العقيدة الصحيحة، ويكون فيه الأمن والاستقرار والطمأنينة في الدنيا وإصلاح للنفس، كما يحصل الأمن من عذاب الله في الآخرة لمن أطاعه واتبع هديه [٢].

فكم تعظم العواقب، حين ينطوي بعض طلاب العلم والشباب، عن مسيرة الإصلاح والدعوة إلى الله وترك ميادين المجتمع، لأهل الفساد وأرباب الفن والرياضة، يتنافسون ويتسابقون فيما بينهم إلى تحقيق مآربهم وأهدافهم، ونحن جالسون نندب الحال، ونعيب الزمان، ولكن العيب فينا وذلك بسكوتنا، فإذا ما استفحل الأمر وانتشر الشر، فوجئنا بالأحداث والمنكرات كما يفاجأ العامة، فأُنكر المعروف واستأنس بالمنكر؛ بسبب تهاوننا في القيام بواجب الإصلاح والتغيير.

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ص١٦، دار نهضة مصر، ط١.

(٢) انظر: المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، ص١٩٤، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

المبحث الخامس

منهجيات الإصلاح والتغيير السياسي

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: منهج القران في خلافة الأرض.

المطلب الثاني: منهج القران في التعامل مع المشركين.

المطلب الثالث: الصراع بين الحق والباطل.

المطلب الرابع: جهل الكفار بالتشريع.

المطلب الأول

منهج القران في خلافة الأرض

قد وعد الله طائفة من عباده المؤمنين بأن يورثهم الأرض، ويمكنهم فيها، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

ولم يحدد الله ﷻ زماناً ولا مكاناً لظهور تلك الطائفة المنصورة، بل حدد شروطاً وصفات إذا ما حققها جيل من الأجيال في أي زمان وأي مكان، فإن وعده ﷻ سيتحقق لهم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥] ،ومهما اجتهد المجتهدون، وتحرك العاملون للإسلام هنا وهناك، فإن هذا لا يكفي لإعادة مجد الإسلام من جديد، إلا إذا تضمنت حركتهم واجتهادهم العمل على استكمال صفات الجيل الموعود بالنصر والتمكين.

إن وعد الله لا يتخلف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥] ، وهذا الوعد ينتظر من يستوفي شروط استدعائه لكي يتحقق.

أولاً: تعريف الاستخلاف:

١- **الاستخلاف في اللغة:** استخلفَ يستخلف، استخلافاً، فهو مُستخلِف، واستخلف فلاناً: جعله خليفته، فهو يعقُبه، ويتلوه، ويجعله مكانه [(١)]. والخلافة: النِّيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المُستَخلف، وعلى هذا استخلف الله عباده في الأرض [(٢)]، والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه [(٣)].

٢- **والاستخلاف اصطلاحاً:** الاستخلاف: إقامة الغير مقامه بعمله نيابة عنه ومنه: استخلاف الإمام غيره في الصلاة إذا سبقه الحدث من يتم بهم الصلاة [(٤)].

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، ٦٨٤/١، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٢) انظر: الكليات، أبو بقاء الكفوي، ص ٤٢٧.

(٣) انظر: العين، الفراهيدي، ٢٦٧/٤.

(٤) انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس العجي – حامد صادق قيس، ص ٦٠.

ثانياً: شروط الاستخلاف والتمكين:

إن الاستخلاف في الأرض، والتمكين لدين الله، وإبدال الخوف أمناً، وعد من الله تعالى متى ما حقق المسلمون شروطه، ولقد أشار القرآن الكريم بكل وضوح إلى شروط التمكين، ولوازم الاستمرار فيه:

* قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٥-٥٦] ، لقد أشارت الآيات الكريمة إلى شروط الخلافة وهي: الإيمان بكل معانيه وبكافة أركانه، وممارسة العمل الصالح بكل أنواعه، والحرص على كل أنواع الخير وصنوف البر، وأما لوازم استمرار التمكين فيه، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول ﷺ [(١)].

ثالثاً: الاستخلاف في سياق سورة الأنعام:

١- **الاستخلاف لا يكون إلا عن طريق البدل:** قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آَخَرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٣] ، أي إن يشأ يذهبكم أيها العصاة، ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق، كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين [(٢)]. ويكونون أسمى منكم روحاً، وأصفى منكم نفساً، وقد صدق الله وعده، فأذهب المستكبرين المعاندين الجاحدين من زعماء الشرك، واستخلف من بعدهم قوماً آخرين هم الصحابة والسابقون من الأنصار والمهاجرين [(٣)]، وهؤلاء الخلفاء يكونون خيراً منكم يؤمنون بالله ورسوله ويقيمون الحق والعدل في الأرض [(٤)]. وهذه هي الرسالة الحقيقية إلى أمة محمد ﷺ أن تحذر من التبديل والتغيير واستخلاف أقوامٍ غيرهم إذا لم تحقق فيهم شروط الاستخلاف.

٢- **سبب استخلاف أمة محمد ﷺ على الأمم السابقة:** قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ

---

(١) انظر: تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه)، علي محمد محمد الصلاّبي، ص ١٨٧، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، مكتبة التابعين، مصر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٨٣/٢.

(٣) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، ١٦٦/١.

(٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٠١/٨.

رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٦٥] ، أي جعل الله أمة محمد ﷺ خلفاء للأمم السابقة في عمارة الكون [١]، وكذلك لأنهم آخر الأمم ومحمد خاتم النبيين [٢]، حيث فتح الله لأمة محمد ﷺ ميدان العمل، مطلقاً لهم الحرية والخلافة في الأرض، يخلف بعضهم بعضاً فيها، بعد إهلاك جيل وإحياء جيل آخر، وهم متمايزون يرفع الله بعضهم فوق بعض درجات في الغنى والفقر، والشرف والجاه، والعلم والجهل، والخلق والشكل، والعقل والرزق، لاختبار الناس في مواهبهم وما أعطاهم الله، وبعد هذا الإفساح في ميدان العمل، والحضّ على الاستباق إلى الخير، توعّد الله ووعد، تخويفاً منه وترجية، فالله سريع العقاب إما في الدينا وإما في الآخرة [٣].

رابعاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في الاستخلاف في الأرض:

١- إن الجماعة المسلمة التي رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً تحرص على تحقيق التوحيد ومحاربة الشرك وهي تسعى لتحكيم شرع الله؛ لأنها تعلم عليم اليقين أن من شروط التمكين وإقامة دولة الإسلام تحقيق التوحيد وتهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية والاعتقادي، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله وبالسلامة من البدع [٤]، وتربي المؤمنون على الاستعانة بالله في جميع أمور حياتهم والاستعانة به والنذر له والذبح له وحده ﷻ وأن تكون الحاكمية لله رب العالمين، وهي تحارب شرك القبور، وكذلك شرك القوانين الوضعية، وتدعو إلى إفراد العبودية لله وحده في جميع شئون الحياة الإنسانية [٥].

فلا بد للإنسان أن يصلح نفسه بالإيمان والعمل الصالح، فهو خليفة الله في الأرض، وإن الإنسان البعيد عن الإيمان والعمل الصالح لا يجوز أن يكون خليفة في الأرض.

---

(١) تيسير التفسير، إبراهيم القطان (ت: ١٤٠٤هـ)، ٣٠/٢.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معنى القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، ٢٢٦٧/٣، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ٦٣٤/١.

(٤) انظر: الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، ص ١٩١، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

(٥) انظر: تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، ص ٢٣٤.

٣- الاستخلاف في الأرض هو دواء ليس غير، وهو علاج، به تهدأ النفوس وتطمئن القلوب، فنحن خلائف من تقدمنا، فليس لنا بقاء، وكما وصلت إليها ستخرج منها، ونحن خلائف فلا ملك لنا ولا تصريف في الواقع: ﴿... **وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [الحديد:٧] ، إذا كان هذا فلِمَ هذا التناحر، والتهالك، والتباغض، والتكالب ؟؟ [١] .

٤- من الخلافة في الأرض أننا لا نكون متماثلين متطابقين، بل أراد سبحانه أن نكون متكاملين في المواهب، وفي الكماليات؛ لأن الناس لو كانوا صورة مكررة في المواهب، لفسدت الحياة، فلا بد أن تختلف مواهبنا؛ لأن مطلوبات الحياة متعددة، فلو أصبحنا كلنا أطباء فالأمر لا يصلح، ولو كنا قضاة لفسد الأمر، وكذلك لو كنا مهندسين أو فلاحين. إذن فلا بد من أن تتحقق إرادة الله في قوله سبحانه: ﴿... **وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ** ...﴾ [الأنعام:١٦٥] [٢].

٥- بيان لنعمة من نعم الله الكبرى على بني آدم خاصة، إذ جعلهم خلائف الأرض، وفي هذا ما فيه من تكريم لهم، وإحسان إليهم، إشارة إلى مكانة الإنسان، وسمو قدره، وأنه ليس مكرماً في جنسه وحسب، بل هو مكرم في كل فرد من أفراده، فكل إنسان هو خليفة الله في هذه الأرض، وأنه – وإن كان عضواً في المجتمع الإنساني – فليس ذلك بالذي يذهب بشيء من مقومات شخصيته، أو يجور على هذا الوضع الكريم الذي وضعه الله فيه ... فهو خليفة الله، أياً كان مكانه في المجتمع ... غنياً أو فقيراً، عالماً أو جاهلاً، قوياً أو ضعيفاً، إنه خليفة الله في الأرض، ومن واجبه أن يعمل بمقتضى هذه الخلافة، ويجمع إلى يديه أسبابها ومقوماتها.

هذا هو الإنسان كما تنظر إليه شريعة الإسلام ... إنسان كريم على الله، خلع عليه خلع الخلافة، وتوجه بتاجها، وجعل درة هذا التاج هو عقله الذي يستطيع به أن يبلغ من السمو ما يشاء. وإنه لمن ظلم الإنسان لنفسه، ومن استصغاره لوجوده، أن يسف وينحدر عن هذا المستوى الكريم الذي رفعه الله إليه، فيتحول إلى كائن حيواني ذليل، يقاد فينقاد، ويستذل فيذل، حتى لينعزل عن العالم الإنساني، ويصبح على غير الخلق السوي الذي خلقه الله عليه: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾ [التِّين: ٤-٥] [٣].

فالاستخلاف في الأرض هو القدرة على العمارة والإصلاح، وليس على الظلم والقهر والهدم والفساد، والناظر إلى حالنا في هذا الزمان يجد أن من جعلهم الله تعالى خلفاء في الأرض، القليل

---

(١) انظر: التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ٦٩٢/١٤.

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٤٠٢٩/٧.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، ٣٥٩/٤، دار الفكر العربي، القاهرة.

منهم من يطيق ويحترم هذه الخلافة، فالذي ينظر إلى سيرة الصحابة أولئك الذين نهجوا نهج النبي ﷺ، تجد أنهم حققوا بشكل واضح وملموس الاستخلاف الحقيقي في الأرض.

المطلب الثاني

منهج القران في التعامل مع المشركين

انزل الله تبارك وتعالى القران الكريم ليكون منهجا للحياة ذلك لان هذا القران شاملا لجميع جوانب الحياة ، ومن ضمن هذا المنهج التعامل مع المشركين وفق هذا المنهج الرباني وليس وفق الشهوات وقد حددت سورة الأنعام منهج التعامل مع المشركين منها :

أولاً: منهج التعامل مع المشركين في سياق سورة الأنعام:

١- **عدم طاعة المشركين:** قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام:١١٦] ، إن النص القرآني يأمر بطاعة الله وأن طاعة المسلم لأحد من البشر في جزئية من جزئيات التشريع التي لا تستمد من شريعة الله، ولا تعتمد على الاعتراف له وحده بالحاكمية، أن طاعة المسلم في هذه الجزئية تخرجه من الإسلام لله إلى الشرك بالله، قال تعالى: ﴿... **وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام:١٢١] [(١)].

٢- **لا يجوز أكل ذبائح غير المسلمين:** قال تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ** ...﴾ [الأنعام:١٢١] ، ينهى الله عن ذبائح كانت تذبحها قريش للأوثان وينهى عن ذبائح المجوس [(٢)].

٣- **عدم سب المشركين حتى لا يسبوا الله :** قال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ...﴾ [الأنعام:١٠٨] ، أي لا تسبوا الأصنام فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا من تعبدون كما سببتم من يعبدون [(٣)]، وتدل الآية على الكف عن سب السفهاء الذين يتسرعون إلى سبه على وجه المقابلة؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية [(٤)].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٩٧/٣.

(٢) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، ٦١٣/١، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

(٣) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، ١٧٠/٤، المحقق: محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٤) انظر: أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (ت: ٥٠٤هـ)، ١٢٤/٣، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٤- **البراءة من المشركين:** قال تعالى: ﴿... قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٩] ، في الآيات السابقة تصريح بالبراءة التامة من الأوثان وعابديها، وتنديد شديد بهذا العمل الباطل [١]، والنهي أن يكون من المشركين بأن يتبرأ منهم، ومن إشراكهم، ويخرج من صفوفهم، ولو كانوا قومه وعشيرته القربى، وإذا خرج من صفوف أهل الكفر كان في حزب الله، وحزب الله تعالى هم المفلحون [٢].

٥- **الإعراض عن مجالس المشركين المستهزئين بالقرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨] ، كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي ﷺ، فسبوه واستهزءوا به، فأمرهم الله أن لا يقعوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره [٣].

ثانياً: منهجيات الإصلاح والتغيير في التعامل مع المشركين:

١- إن الداعي إلى الحق، والناهي عن الباطل، إذا خشي أن يتسبب عن ذلك، ما هو أشد منه من انتهاك حرم، ومخالفة حق، ووقوع في باطل أشد، كان الترك أولى به، بل كان واجباً عليه [٤].

٢- عدم التعرض بالسب المشركين والكافرين حتى لا يسبوا الله .

٣- ضرورة رفض منهج أهل الضلال، ومسلك أهل الشرك والأهواء [٥].

٤- عدم الالتفات لآراء المشركين الزائفة من استحلالهم الميتات، وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى [٦].

٥- إن صيد المشركين الذين لا يذكرون اسم الله، ولا هم من أهل التسمية، يحرُم على المسلمين أن يأكلوه حتى يكونوا هم الذين صادوه [٧].

---

(١) التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٥٣/٥.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة، ٢٤٥٥/٥.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٤٥/٧.

(٤) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، ص ٢٩٠، تحقيق: محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية.

(٥) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٠/٨.

(٦) نفس المرجع السابق، ٢٤/٨.

(٧) النكت والعيون، الماوردي، ١٦١/١.

٦- تقرير عقيدة التوحيد لا إله إلا الله، ووجوب البراءة من الشرك [١].

٧- وجوب الإعراض عن مجالس المستهزئين بالقرآن أو بالنبي أو بأحكام الإسلام، ومجالس المتأولين آيات القرآن بغير حق، وتحريفها عن مواضعها [٢].

٨- إن الرجل إذا علم من الآخر منكراً وعلم أنه لا يقبل منه، فعليه أن يعرض عنه إعراض منكر ولا يقبل عليه [٣].

٩- مجالسة أهل الكبائر لا تحل [٤].

١٠- أهل الله قليلون عدداً، وإن كانوا كثيرين وزناً وخطراً، وأما الأعداء ففيهم كثرة [٥].

فعلى المصلحين أن يحذروا من التعامل مع المشركين والمنافقين والمتخاذلين خوفاً من أن يفتنوهم ويقلبوا الحق ويمنعوه.

المطلب الثالث

الصراع بين الحق والباطل

المتتبع لآيات القرآن الكريم لا يعجزه أن يقف على حقيقة مفادها أن الصراع بين الحق والباطل هو سنة أقام الله عليها هذه الحياة، وأن الحياة لا يمكن أن يسودها الخير المطلق، بحيث تخلو من الشر، وبالمقابل لا يمكن أن تعاني من الشر المطلق بحيث لا يكون فيها قائم بالحق ، ولكن الصراع بين الحق والباطل قائم إلى يوم الدين .

أولاً: تعريف الصراع والحق والباطل:

١- تعريف الصراع:

الصراع في اللغة: مصدر صرع، وهو اجتهاد الشخص أن يلقي من يصارعه أرضاً [٦].

الصراع في الاصطلاح: اجتهاد كل من الأطراف المتصارعة كسب النصر [٧].

---

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، ٤٥/٢.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٥٠/٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢/٧.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٥١/٧.

(٥) لطائف الإشارات، القشيري، ٤٩٦/١.

(٦) انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ص٢٧٣.

(٧) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

٢- تعريف الحق:

الحق في اللغة: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، اسم من أسمائه تعالى، والشيء الحق، أي الثابت حقيقة، ويستعمل في الصدق والصواب أيضاً [١].

الحق في الاصطلاح: ما ثبت به الحكم، والحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال، والعقائد، والأديان، والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك [٢].

٣- تعريف الباطل:

الباطل في اللغة: الباء والطاء واللام أصل واحد، وهو ذهاب الشيء وقلة مكثه ولبثه، وسمي الشيطان الباطل لأنه لا حقيقة لأفعاله [٣].

الباطل في الاصطلاح: هو الذي لا يكون صحيحاً بأصله، وهو ما لا يعتد به، ولا يفيد شيئاً، وهو أيضاً ما أبطل الشرع حسنه، والباطل من الكلام: ما يلغى ولا يلتفت إليه لعدم الفائدة في سماعه وخلوه من معنى يعتد به، وإن لم يكن كذباً ولا فحشاً [٤].

٤- تعريف الصراع بين الحق والباطل:

هو ما كان من التصادم والتحدي بين الحق والباطل، حيث أنه لا ينتهي إلا بانتهاء الباطل، ولأنه لا يوجد إلا حق واحد وباطل متعدد، فالحق سرعان ما ينتصر والباطل سرعان ما ينهزم [٥].

ثانياً: الصراع بين الحق والباطل في سياق سورة الأنعام:

١- **صراع بين الرسل وأتباعه وبين أعدائهم من الشياطين:** قال تعالى: ﴿**وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ**﴾ [الأنعام:١١٣] ، المشهد الذي يرسمه القرآن الكريم للمعركة بين شياطين الإنس والجن من ناحية، وكل نبي وأتباعه، هذا المشهد بكل جوانبه جدير بأن نقف أمامه وقفة قصيرة: إنها معركة تتجمع فيها قوى الشر في هذا الكون، شياطين الإنس والجن، تتجمع في تعاون وتناسق لإمضاء خطة مقرر، وهي عداء الحق

---

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص٨٩.

(٢) انظر: القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، ص٩٤.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٥٨/١.

(٤) انظر: الكليات، أبو البقاء الكوفي، ص٢٤٤.

(٥) منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الأنفال والتوبة "دراسة موضوعية"، رسالة ماجستير، إعداد، عبد المؤمن الفقي ، إشراف : أ.د/ زكريا إبراهيم الزميلي ، ص١٦٢.

الممثل في رسالات الأنبياء وحربه، خطة مقررة فيها وسائلها، يمد بعضهم بعضاً بوسائل الخداع والغواية وفي الوقت ذاته يغوي بعضهم بعضاً، وهي ظاهرة ملحوظة في كل تجمع للشر في حرب الحق وأهله، إن الشياطين يتعاونون فيما بينهم ويعين بعضهم بعضاً على الضلال أيضاً، إنهم لا يهدون بعضهم البعض إلى الحق أبداً، ولكن يزين بعضهم لبعض عداء الحق وحربه والمضي في المعركة معه طويلاً، ومشهد التجمع على خطة مقررة من الشياطين جدير بأن يسترعي وعي أصحاب الحق ليعرفوا طبيعة الخطة ووسائلها [1].

٢- **أكابر القوم ومجرميهم هم أعداء للحق:** قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [الأنعام:١٢٣] ، إن سنة الله تعالى في الاجتماع البشري قد مضت بأن يكون في كل عاصمة لشعب أو أمة أو كل قرية وبلدة بعث فيها رسول أو مطلقاً رؤساء وزعماء مجرمون يمكرون فيها بالرسل، أو بأن يكون أكابرها المجرمون ماكرين فيها بالرسل في عهدهم، وبسائر المصلحين من بعدهم، وكذلك شأن أكثر أكابر الأمم والشعوب، ولا سيما في الأزمنة التي تكثر فيها المطامع ويعظم حب الرياسة والكبرياء، يمكرون بالناس من أفراد أمتهم وجماعاتها ليحفظوا رياستهم ويعززوا كبرياءهم ويثمروا مطامعهم فيها، ويمكر الرؤساء والساسة منهم بغيرهم من الأمم والدول لإرضاء مطامع أمتهم وتعزيز نفوذ حكومتهم في تلك الأمم والدول [2].

ثالثاً: منهجيات الإصلاح والتغيير في الصراع بين الحق والباطل:

١- أي أن سنة الله جرت على أن يكون بعض الناس أعداء للأنبياء وورثتهم، وكل أصحاب دعوات الإصلاح في الأمور الدينية والاجتماعية، وهذا ما يعبر عنه بتنازع البقاء وبقاء الأصلح، كما قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**﴾ [الرعد:١٧] ، والعداوة سواء من شياطين الإنس والجن [3].

٢- والشر له رسالة لأنه لولا أن الشر موجود ويصاب الناس من أذاه لما تحمس الناس للخير فالذي يجعلنا نتحمس للخير هو وجود الشر، و أن الباطل جندي من جنود الحق؛ لأن الباطل حين يعض ويعربد في الناس يتساءل الناس متى يأتي الحق لينقذنا، وأنك ساعة ترى مريضاً يتألم إياك أن تظن أن الألم قد جاءه دون سبب، بل الألم جندي من جند الشفاء، وكأن الألم يقول لمن يصيبه: يا إنسان تنبه أن عطباً في هذا المكان فسارع إلى علاجه، ولذلك نجد

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٩١/٣.

(٢) تفسير المنار، محمد رضا، ٢٩/٨.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٩/٨.

أعنف الأمراض وأشرسها وأخبثها، هي الأمراض التي تأتي بلا ألم يسبقها، ولا تظهر أعراضها إلا أن يستعصي شفاؤها، وهكذا نرى أن الألم جندي من جنود العافية، وحين يكون لك عدو في الحارة أو البلدة وعيونه مركزة عليك فأنت تخاف أن تقع منك هنة وعيب حتى لا يشنّع عليك؛ لذلك تسير على الصراط المستقيم لأنك لا تريد أن تنصره على نفسك [١].

٣- سنة الله في المجتمعات البشرية، يثور النزاع بين الحق والباطل، ويشتد الصراع بين الإيمان والكفر، ولكل اتجاه أعوانه وأنصاره، وسادته وكبراؤه، والأنبياء وأتباعهم من المصلحين يوجدون في هذا الوسط المتصارع، فيتبعهم الضعفاء، ويكفر بهم الأشراف، وينصرهم الأوساط، ويقاوم دعوتهم الأكابر المجرمون الذين يعادون حركة الإصلاح والتقدم، والبناء والتحضر، في كل بيئة ومجتمع، ولكن العاقبة والنصر للمتقين المصلحين، والهزيمة أو الانقراض والخذلان للكافرين المفسدين، وما يمكر هؤلاء الأكابر المجرمون المعادون للرسل إلا بأنفسهم لأن وبال مكرهم عليهم، وعاقبة إفسادهم تلحق بهم، لكنهم عديمو النظر للمستقبل والواقع، والاعتبار بالماضي، وعديمو الشعور والإحساس [٢].

٤- بيان أن المترفين في كل زمان ومكان هم أعداء الإصلاح والتغيير [٣].

ومن ذلك نخلص بما يلي:

١- أنه لابد لحملة رسالة الإسلام أن يستفيدوا من أجهزة الإعلام مقروءة، أو مسموعة، أو مرئية في الدعوة إلى الحق وحمايته، ونشره وبناء الفضيلة والأخلاق، وأنه لابد من أن يستفيدوا من الوسائل الأدبية: كالقصة، والمقالة، والقصيدة في الوصول إلى كافة الناس من جميع الطبقات، وإيصال الحق إليهم، فليست المحاضرة، أو الدرس العلمي، أو الخطبة، أو الموعظة، هي الوسيلة الوحيدة، هذه وسائل لاشك في نفعها وأنها مؤثرة ولها جمهور، لكن هناك جمهور آخر لابد له وسائل أخرى؛ لأن الحق لابد أن يصل لكل أذن بقدر المستطاع، والله تبارك وتعالى بين الصراع في ناحية الكلمة.

٢- ما يحدث الآن في سوريا – درة الشام – أو ما يحدث في فلسطين وأفغانستان أو اليمن أو العراق أو حتى في مصر وتونس بين الإسلاميين وغيرهم من الاتجاهات صورة من صور الصراع بين الحق والباطل، ويتساءل البعض حتى متى سيظل هذا الصراع، والحقيقة أن هذا الصراع سيظل إلى يوم الدين ولكن يأخذ صوراً مختلفة وهو ممتد منذ بداية الخليقة منذ أن قتل

---

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٨٧٦/٧.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ٣٠/٨.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٧٠/٥.

قابيل هابيل بدون وجه حق لأن الله تقبل منه قربانه ولم يتقبل من أخيه الظالم، والذي يقرأ التاريخ سيجد أن هذا الصراع أخذ أشكالاً عدة واستمر دون انقطاع، ومنه صراع أنبياء الله مع الكفار من أقوامهم أو صراع المسلمين مع الكفار وغيرها، وقد بيّن الله ﷻ في مطلع سورة محمد وفي كثير من الآيات الأخرى حقيقة هذا الصراع.

٣- الواجب أن لا ينشغل المؤمنون بعضهم ببعض؛ فإن الحاجة ماسة وداعية إلى أن يجتمع أهل السنة والجماعة تحت الراية الواحدة التي تجمعهم، مهما اختلفت اجتهاداتهم في المسائل الفقهية، والأمور العملية، ومهما اختلفت اجتهاداتهم في الدعوة إلى الله جلا وعلا، ومهما اختلفت بلادهم وآراؤهم، فهذه القضايا ليست مدعاة إلى أن يتفرق أهل السنة والجماعة، وأما إذا كان الخلاف خلافاً عقدياً مبنياً على أصول، فهنا لابد من توضيح الأمر، لئلا يلتبس الحق بالباطل على الناس.

المطلب الرابع

جهل الكفـار بالتشريع

بينت الآيات من سورة الأنعام بعضاً من جهالات المشركين وافتراءاتهم، كمزاعمهم في شأن الثمار والأنعام والأولاد فجاءت الآيات المكية لتتصدى لهذه التصورات والمزاعم والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع العربي آنذاك، من أجل القضاء عليها، وذلك كما يلي:

أولاً: مظاهر جهل الكفار في سياق سورة الأنعام:

١- **شركهم ووصفهم لله بما لا يليق:** قال تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام:١٠٠-١٠١] ، فقد جعل الجاهلون لله من الجن شركاء فأطاعوهم فيما زينوا لهم من عبادة الأصنام والأوثان، وزادوا في ضلالهم شوطاً آخر حيث اختلقوا له البنين والبنات وهذا كله من تزيين الشياطين لهم فنزه الرب تبارك وتعالى نفسه عما وصفوه به كذباً بحتاً وتخرّصاً كاملاً من أن له بنين وبنات وليس لهم على ذلك أي دليل علمي لا عقلي ولا نقلي، وقد شارك في هذا الباطل العرب المشركون حيث قالوا الملائكة بنات الله، واليهود حيث قالوا عزير ابن الله، والنصارى إذ قالوا المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقول المبطلون [١].

---

(١) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ٩٩/٢.

٢- **تقسيمهم لما رزقهم الله من الزروع:** حيث قسموها إلى قسمين: قسم يجعلونه لله زعماً منهم أنه مما شرعه الله ﷻ وقسم يجعلونه للآلهة التي يدعونها من دون الله، وإيثارهم أنفسهم على الله، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [الأنعام:١٣٦]، تبين الآيات نوع آخر من أنواع كفرهم وجهلهم وإيثارهم لآلهتهم على الله ﷻ ، أي جعلوا لله ﷻ مما خلق من حرثهم ونتاج دوابهم نصيباً ولآلهتهم نصيباً من ذلك يصرفونه في سدنتها والقائمين بخدمتها، فإذا ذهب ما لآلهتهم بإنفاقه في ذلك عوضوا عنه ما جعلوه لله، وقالوا: الله غني عن ذلك [١].

٣- **احتجازهم بعضاً من الأنعام والزروع:** قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ [الأنعام:١٣٨] ، إنهم قسموا الحيوانات والحرث وحجزوا قسماً للأصنام، وهذه الأنعام المرصودة للأصنام لا يتصرف فيها أحد، فلا يؤخذ لبنها ولا يستخدمها أحد كمطايا، ولا يتعدى نفعها للناس، ولم يتنبهوا إلى أن هذه الأنعام نعمة من الله، ولابد من الانتفاع بها، وليس من حسن التعقل أن تترك حيواناً تستطيع أن تستفيد من تسخيره لك ولا تفعل، هم قد فعلوا ذلك وتمادوا في الكفر فذكروا أسماء الأصنام عليها، وهذا لون من الافتراءات قد فعلوه ونسبوه إلى أنه متلقًّى من الله، ومأمور به منه ﷻ ولو قالوا: إن هذه الأمور من عندهم لكان وقع الافتراء أقل حدة، لكنه افتراء شديد لأنهم جاءوا بهذه الأشياء ونسبوها إلى الله، وهم قد انحلوا عن الدين وقالوا على بعض من سلوكهم إنه من الدين، ولذلك يجازيهم الله بما افتروا مصداقاً [٢].

٤- **تسميتهم لما في بطون الأنعام:** قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام:١٣٩] ، فمن جهلهم أنهم ادعوا أن ما في بطون هذه الأنعام من اللبن ومن الأجنة إذا نزلت حيّة فهي للذكور منهم فقط، ولا تأكل النساء من ذلك شيئاً، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء وهذا يدل على التشقيق في القسمة [٣].

---

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ١٨٧/٢.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ٣٩٦٣/٧.

(٣) نفس المرجع السابق.

٥- **قتلهم أولادهم:** قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١٣٧] ، من جهل المشركين أنه زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم فقتلوا أولادهم، فهذه حكاية نوع من أنواع تشريعاتهم الباطلة وجهلهم، وهي راجعة إلى تصرفهم في ذرياتهم بعد أن ذكر تصرفاتهم في نتائج أموالهم(١)، وأنه كان أحدهم يحلف إن وُلِدَ له كذا وكذا غلام أن ينحر أحدهم كما حلف عبد المطلب في نحر ابنه عبد الله (٢).

ثانياً: منهجيات الإصلاح والتغيير في جهل الكفار بالتشريع في سورة الأنعام:

١- أخبر تعالى عما عليه المشركون المكذبون للنبي ﷺ من سفاهة العقل، وخفة الأحلام، والجهل البليغ، وعدَّد تبارك وتعالى شيئاً من خرافاتهم، لينبه بذلك على ضلالهم والحذر منهم، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق الذي جاء به الرسول، لا تقدح فيه أصلاً فإنهم لا أهلية لهم في مقابلة الحق (٣).

٢- تبدأ السورة حديثاً مستفيضاً عن أوهام المشركين وجهالاتهم التي تتعلق بمآكلهم، ومشاربهم، ونذورهم، وذبائحهم، وعاداتهم البالية، وتقاليدهم الموروثة، فتناقشهم في كل مناقشة منطقية حكيمة، وترد عليهم فيما أحلوه وحرموه بدون علم ولا هدى ولا كتاب منير، وترشدهم إلى الطريق السليم الذي من الواجب عليهم أن يسلكوه، فحكت سورة الأنعام كل ذلك في بضع عشرة آية بأسلوبها البليغ المؤثر (٤).

٣- إن الجهل داء فعلى الداعية أن يبدأ بتكوين نفسه وعلاج دائه قبل أن ينزل الميدان للدعوة وذلك بالفهم الصحيح، بأن يوجه اهتمامه إلى أخذ العلم من مصدره الأصيل الكتاب والسنة على أنهما هما المصدران للشريعة أصولها وفروعها وبدراستهما يحصل العلم النافع والهدى والسيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة (٥).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٩٨/٨.

(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ١٧٥/٢.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٧٤.

(٤) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، ١٨٥/٥.

(٥) انظر: مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (ت: ١٤١٥هـ) ص١٦، ط٤، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وتسرج بنور علمه الظلمات، الحمد لله الذي هدانا بنوره وفتح علينا من بركات رحمته، حمداً كما يليق بجلال قدره، وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي وفقني لكتابة هذه الرسالة، راجية من جلاله أن يليق بمستوى العلوم التي تتعلق بكلام الله ﷻ القرآن الكريم، والصلاة والسلام على رسول الأنام، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

شاء الله ﷻ أن تكون هذه الرسالة عن منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الأنعام، واجتهدت ما في وسعي لاستنباط بعض المنهجيات، فما أصبت به فمن الله ﷻ، فأحمده على ذلك، وما أخطأت به فمن نفسي والشيطان، وأرجو من الله المغفرة والإحسان.

ولقد توصلت في هذا البحث إلى أهم النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: أهم النتائج:

١- لقد وردت لفظة الإصلاح في القرآن الكريم على عشرة أوجه منها: حسن الإيمان، حسن المنزلة، الرفق، تسوية الخلق، الإحسان، الطاعة، أداء الأمانة، بر الوالدين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحج.

٢- هدف الإصلاح بالدرجة الأولى هو إرضاء الله تعالى، وهو أفضل الأعمال، والتي تفوق في فضلها وقيمتها كثير من الأعمال العبادية.

٣- مجالات الإصلاح متعددة منها: الإصلاح الفردي والإصلاح الاجتماعي .

٤- من أساليب التغيير والإصلاح أسلوب الوعظ والتذكير والصبر والقدوة الصالحة، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب تحديد أصل الداء والدواء، وبعث الأمل والطمأنينة والرفق في الإصلاح.

٥- العلاقة بين الإصلاح والتغيير علاقة جزء من كل، فالتغيير عام والإصلاح خاص.

٦- محور السورة يدور حول تقريض دعائم الشرك وتدحض شبهه بالحجج القاطعة والآيات الساطعة، وتقرر عقيدة التوحيد وأصول التشريع.

٧- ينبغي على المسلم بمعرفة صفات الله أن يصلح من نفسه، ويغير إلى الأصلح، بالرجوع إلى كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ.

٨- الإيمان بالكتب الإلهية جزء من الإيمان بالقرآن، وجزء من الإيمان بأن الله سبحانه هو الهادي، وأن هداية الله لم تنقطع عن البشر، فما من أمة إلا وقد أنزل الله بها هدى.

٩- مراتب القضاء والقدر وهي أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامل لكل شيء، وخلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد، وذكرت جميعاً في سورة الأنعام.

١٠- إن المؤمنين بالقضاء والقدر لهم دور في الإصلاح والتغيير حيث إنه يهب صاحبه ثباتاً ورسوخاً في مقاومة الباطل، ومواجهة الظلم والطغيان، وإنكار المنكر.

١١- لا عجب أن يكون القرآن الكريم هو منهج الإصلاح والتغيير لجميع ما يعترض الحياة الإنسانية في مسيرتها، من مشاكل روحية وعقلية واجتماعية واقتصادية وسياسية، فهو تنزيل من حكيم عليم، يعلم احتياجات البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

١٢- على المسلم أن يحسم الأمر، ويعتقد في الجن كما ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وكل ما خالف ذلك فهو باطل .

١٣- اشتملت هذه الآية الكريمة على جملة من الوصايا الراشدة والتي في مقدمتها تحريم وأد البنات، وقتل الأولاد، وتحريم اقتراف الفواحش، ومنع قتل النفس بغير حق، والمحافظة على مال اليتيم، وإيفاء الكيل والميزان، والعدل في القول، والوفاء بالعهد، والالتزام بصراط الله المستقيم.

١٤- لكي يتحقق الهدف من الجدل لا بد من إصلاح وتغيير لما فسد من العقائد والمبادئ والقيم والأخلاق، وإثبات الوحدانية لله ﷻ، وهو الجدل الذي استخدمه القرآن الكريم للمشركين في إثبات الوحدانية لله ﷻ، وإقامة الحجة عليهم بالبراهين والأدلة القاطعة.

١٥- الابتلاء هو الاختبار من الله ﷻ لعباده، قد يكون في الخير أو الشر، ففي الخير يكون منحة فيتطلب الشكر لله تعالى، وفي الشر يكون محنة فيتطلب الصبر.

١٦- يجب على كل إنسان أن يحذر من خطوات الشيطان أشد الحذر، ولا ينزلق في متاهاتها، ورائده في ذلك الرفقة الطيبة، والبعد عن كل ما من شأنه أن يلهي عن ذكر الله.

١٧- من المتطلبات الضرورية للداعية حاجته إلى فهم أصول الحوار.

١٨- الاستخلاف لا يكون إلا عن طريق البدل، واستخلاف أمة محمد ﷺ دون غيرها لأنه خاتم النبيين.

١٩- لا يجوز طاعة المشركين ولا الأكل من ذبائحهم ولا يجوز سبهم، ويجب البراءة منهم والإعراض عن مجالسهم.

٢٠- سنة الله ي المجتمعات البشرية أن يشتد الصراع بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر.

ثانياً: التوصيات:

١- ضرورة العمل على إصلاح وتغيير النفس البشرية؛ لأن صلاح النفس مرتبط المجتمع.

٢- طلب الإصلاح والتغيير في جميع مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والثقافية واستغلال العناية الربانية فيما يصلح الفرد والمجتمع.

٣- اعتماد أسلوب القصص والحوار ليصبح لهما دور في تغيير الواقع إلى الأفضل، لما لها من تأثير في نفوس الآخرين.

٤- إنشاء مراكز للإصلاح والتغيير في كافة المناطق للارتقاء بالمجتمعات خلقاً وسلوكاً ومنهجاً.

الفهارس

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾	٢	٤٨
سورة البقرة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢-	﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾	٢	١٠٥
٣-	﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	٢١	٤٨
٤-	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ...﴾	٢٩	٤٨
٥-	﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٨٢	٨
٦-	﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١٣٠	٩
٧-	﴿قُولُوا آَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ...﴾	١٣٦	٧٤
٨-	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ..﴾	١٤٣	٨٢، ١٥٤
٩-	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ...﴾	٢٢٠	٢٦
١٠-	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ...﴾	٢٤٥	١٠٢
١١-	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	٢٥٣	٧٩
١٢-	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ...﴾	٢٦١	١٠٢
١٣-	﴿آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللهِ ...﴾	٢٨٥	٨٠، ٨٣

سورة آل عمران			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤-	﴿وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ﴾	١٤	٤٨
١٥-	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٥٩	١٩
١٦-	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾	٦٢	١٦٦
١٧-	﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ ...﴾	٩٣	١٦٦
١٨-	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾	١١٠	٢٥
١٩ -	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾	١٨٥	٤٨
٢٠-	﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ ...﴾	١٩١	٩٩
سورة النساء			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١-	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ...﴾	٣٥	٢٦
٢٢-	﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ...﴾	٤٨	١١٦
٢٣-	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	٦٥	١٠٢، ١٠٦
٢٤-	﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ...﴾	٩٣	١١٩
٢٥-	﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾	١١٤	٢٠
٢٦-	﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾	١١٩	١٤، ٢٧
٢٧-	﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾	١٢٨	٩

٢٨-	﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾	١٢٩	٩
٢٩-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ ...﴾	١٣٦	٦٩، ٧٤
٣٠-	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا ...﴾	١٤٦	٢١
سورة المائدة			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٣١-	﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٣٩	٢٤
٣٢-	﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	٤٨	٣، ٥، ٧٤، ٧٩
٣٣-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾	٨٧	٤٧
٣٤-	﴿لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٢٠	٤٧
سورة الأنعام			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٣٥-	﴿الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ ...﴾	١-٣	٤٥، ٤٩، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦٢، ٨٤، ٩٠، ٩٥، ٩٥، ٩٦، ١٣٤
٣٦-	﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ ...﴾	٥	١٢٥، ١٢٨
٣٧-	﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ...﴾	٦	٤٩، ١٧٣

٣٨-	﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ...﴾	٨-٩	٧٠،١٩٠
٣٩-	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾	١١	١٢٨، ١٧٤
٤٠-	﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ للهِ كَتَبَ ...﴾	١٢	٦٥، ١٦٩
٤١-	﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾	١٣	٦٤، ٦٧
٤٢-	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	١٤-١٩	٤٥، ٥٦، ٥٨، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ١٣٣، ١٣٤، ١٩٠، ٢٠٠
٤٣-	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾	٢١	١٢٦، ١٢٩
٤٤-	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ ...﴾	٢٢-٢٣	٩٢، ١٧٧
٤٥-	﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾	٢٤	١٢٦
٤٦-	﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾	٢٥-٢٨	٩٣، ١٣٢، ١٧٧، ١٧٠، ١٧٨
٤٧-	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ...﴾	٣٠-٣١	٩٣، ٩٤، ١٧٠
٤٨-	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ...﴾	٣٣-٣٤	١٢٧، ١٢٨، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩
٤٩-	﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ ...﴾	٣٥	٨٢، ٨٩، ١٨٥

٥٠-	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ ...﴾	٣٨	٨٨،١٠٦
٥١-	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ ...﴾	٤٢-٤٣	٥٥، ١٤٢،١٣٨
٥٢-	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى ...﴾	٤٤	١٨٢
٥٣-	﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾	٤٥	٥٩،٦٥، ١٨٤
٥٤-	﴿وَمَا نُرْسِلُ المُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ...﴾	٤٨-٤٩	١٢٥، ١٩١،١٢٩
٥٥-	﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ ...﴾	٥٠-٥١	٦٦، ٧٠، ٨١، ١٩١
٥٦-	﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ ...﴾	٥٤	٤٩، ١٧٨
٥٧-	﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ...﴾	٥٦-٥٧	٥٦، ١٧٩
٥٨-	﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾	٥٨	٥٦
٥٩-	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	٥٩	٥٦، ٨٧ ، ١٨٤
٦٠-	﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ ...﴾	٦١-٦٢	٥٧، ٦٦
٦١-	﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدْعُونَهُ ...﴾	٦٣-٦٧	٥٧، ٩٦،٦٤ ١٣٨، ١٧١،
٦٢-	﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٦٨	١٤٢، ٢٠٠
٦٣-	﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا ...﴾	٧١	١٤٣، ١٨٧

٦٤-	﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾	٧٣	٦٤
٦٥-	﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾	٧٤-٧٦	١١٠، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٦
٦٦-	﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ...﴾	٧٨	١٦٨
٦٧-	﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ ...﴾	٨٠	١٨٦
٦٨-	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ...﴾	٨٣-٨٦	٨٠، ٦٤، ٨٣، ١٨٦
٦٩-	﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...﴾	٩١	٤٠، ٧٦، ٧٧، ١٣٤، ١٥٤
٧٠-	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ...﴾	٩٢	٨٤، ٨٧، ١٠٦، ١٠٧
٧١-	﴿وَالمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ...﴾	٩٣	٧٠، ٧١، ١٢٦، ١٧٢، ١٧٩
٧٢-	﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ...﴾	٩٥-٩٩	٥٥، ٦٦، ٨١، ٩٨، ١٣٤
٧٣-	﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ...﴾	١٠٠-١٠١	٦٢، ١٣٥، ٢٠٥
٧٤-	﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	١٠٢	٦٤
٧٥-	﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾	١٠٣	٦٤
٧٦-	﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا ...﴾	١٠٨	١٤٢، ١٧٩، ١٩٩
٧٧-	﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ المَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ المَوْتَى ...﴾	١١١	٧٠، ٨٩

٧٨-	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾	١١٢	٨٩
٧٩-	﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾	١١٣	٢٠٢
٨٠-	﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾	١١٤	٦٣
٨١-	﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ ...﴾	١١٦	١٩٩
٨٢-	﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ ...﴾	١٢١	١٣٢، ١٣٣، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٩٩
٨٣-	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ...﴾	١٢٣	٢٠٣
٨٤-	﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِد أَنْ ...﴾	١٢٥	٦٢
٨٥-	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ ...﴾	١٢٨	١١١
٨٦-	﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	١٢٩	١١٢
٨٧-	﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ...﴾	١٣٠	١١٢
٨٨-	﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾	١٣٢	١١٢
٨٩-	﴿وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ ...﴾	١٣٣	٦٥، ١٩٦
٩٠-	﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾	١٣٤	٨٤
٩١-	﴿وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا ...﴾	١٣٦-١٤٤	٣٨، ٣٩، ٦٥، ١٣٥، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٨، ١٨٤، ٢٠٦، ٢٠٧

٩٢-	﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ ...﴾	١٤٥	٦٦، ١٤٧
٩٣-	﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ ...﴾	١٤٦	١٥٠، ١٥١، ١٥٢
٩٤-	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ...﴾	١٤٨	٨٨، ٨٩
٩٥-	﴿قُلْ فَللهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ ...﴾	١٤٩	٣٨
٩٦-	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ...﴾	١٥١	١، ١٠٦، ٦٥، ٤٠ ١١٩ ، ١١٨، ١٧
٩٧-	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ...﴾	١٥٢	١١٩، ١٢٠، ١٢١
٩٨-	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ...﴾	١٥٣	٤٩، ١٢١
٩٩-	﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ...﴾	١٥٤	٧٥، ٧٦
١٠٠-	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٥٥	٤٩، ١٠٧
١٠١-	﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ ...﴾	١٥٦	٧٥
١٠٢-	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ ...﴾	١٥٨	٧٠
١٠٣-	﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾	١٥٩	٤٩
١٠٤-	﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ...﴾	١٦٠	٤٩، ١٠٢
١٠٥-	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾	١٦٢-١٦٥	٤٦، ٤٩، ٥٩، ٦٦، ٧٥، ١٠٣، ١٠٤، ١٣٨، ١٩٧، ١٩٨

سورة الأعراف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٦-	﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ... ﴾	٢-٣	٤٩
١٠٧-	﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾	٦	٤٩
١٠٨-	﴿ وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ ... ﴾	٨	٤٩
١٠٩-	﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾	٣١	١٦١
١١٠-	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ... ﴾	٥٤	١٩
١١١-	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ... ﴾	٥٦	٨
١١٢-	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	٨٥	١٠
١١٣-	﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا ... ﴾	١٢٨	١٩٥
١١٤-	﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ﴾	١٤٢	٩، ٢٣، ٢٤
١١٥-	﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ... ﴾	١٥٦	٤٩
١١٦-	﴿ وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ ... ﴾	١٨٠	٦٠
١١٧-	﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	١٨٢	١٨١، ١٨٤
١١٨-	﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ ... ﴾	١٨٩	١٠
سورة الأنفال			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٩-	﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ... ﴾	٢٥	١٠٣
١٢٠-	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ ... ﴾	٥٣	١٥، ٢٧

سورة التوبة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢١-	﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ...﴾	١١	١٥٧
١٢٢-	﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ع...﴾	١٠٢	٨
١٢٣-	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ...﴾	١٠٣	١٥٣، ١٥٧
سورة يونس			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٤-	﴿إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	٨١	٩
سورة هود			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٥-	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ...﴾	٦	١١٧
١٢٦-	﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾	٥٠	٢٣
١٢٧-	﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا ...﴾	٦٢	٩
١٢٨-	﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ...﴾	٧٤	١٣١
١٢٩-	﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	٨٨	١٠، ١٧
١٣٠-	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾	١١٧	١١، ٢٥
١٣١-	﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٢٠	١٦٦
سورة يوسف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٣٢-	﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾	٩	٩

١٣٣-	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ ...﴾	١٠٩	١٧٣
سورة الرعد			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٣٤-	﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ...﴾	١١	١٧، ١٩، ٢٥، ٢٧، ٧٣، ١٨٩
١٣٥-	﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ...﴾	١٧	٢٠٣
١٣٦-	﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ...﴾	٢٣	٩
سورة إبراهيم			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٣٧-	﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ ...﴾	٣٤	١٨٤
سورة الحجر			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٣٨-	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٧٥، ١٠٦
سورة النحل			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٣٩-	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا ...﴾	٣٦	٥٤
١٤٠-	﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ...﴾	٧٨	١٨٤
١٤١-	﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٩٩-١٠٠	١٤٣
١٤٢-	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ...﴾	١٢٥	٣٠، ١٣١
سورة الإسراء			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٤٣-	﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ...﴾	١٣	١٠٢

١٤٤-	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	١٨٧
١٤٥-	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ...﴾	١٦	١٠٣
١٤٦-	﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾	٢٥	١٠
١٤٧-	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ...﴾	٣١	١١٧
١٤٨-	﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ المَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾	٤٠	٦٩
سورة الكهف			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٤٩-	﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ...﴾	٢٤	١٤٢
١٥٠-	﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالبَاطِلِ ...﴾	٥٦	١٣٢
١٥١-	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ ...﴾	٥٧	١٨١
١٥٢-	﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ...﴾	٧٣	١٤٢
١٥٣-	﴿وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ...﴾	٨٢	١٠
سورة مريم			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٥٤-	﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ...﴾	١٧-١٩	٧٠
١٥٥-	﴿يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾	٨٥	٩٤
سورة طه			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٥٦-	﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾	٤٣-٤٤	٣٣

١٥٧-	﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾	١١٢	١٠٣
١٥٨-	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾	١١٥	١٤٢
سورة الأنبياء			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٥٩-	﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ...﴾	٢٨	٨١
١٦٠-	﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ...﴾	٥٦	١٦٨
١٦١-	﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ...﴾	١٠٣	١٩١
١٦٢-	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾	١٠٥	١٩٥
سورة الحج			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٦٣-	﴿لُهِّدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ...﴾	٤٠	١٥٣
سورة المؤمنون			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٦٤-	﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ...﴾	٩٩-١٠٠	١١
سورة النور			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٦٥-	﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ .....﴾	٣٢	٩
١٦٦-	﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ...﴾	٥٥-٥٦	١٩٥، ١٩٦
سورة النمل			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٦٧-	﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾	١٩	٩

١٦٨-	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾	٦٩	١٧٣
سورة القصص			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٦٩-	﴿حَرَمًا آَمِنًا ...﴾	٥٧	٧
سورة العنكبوت			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٧٠-	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾	٤٦	١٣١
سورة الروم			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٧١-	﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ...﴾	٣٠	١٤
١٧٢-	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ ...﴾	٤٢	١٧٣
سورة لقمان			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٧٣-	﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ﴾	١٤	١١٧
١٧٤-	﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ ...﴾	١٧	٢٥، ٣٠
١٧٥-	﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ ...﴾	٣٤	٨٧
سورة الأحزاب			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٧٦-	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾	٢١	٣١، ٥٧، ٨٣

١٧٧-	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	٤٥-٤٦	١٨٩
١٧٨-	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ... ﴾	٣٦	٦
١٧٩-	﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾	٥٦	١٥٣
سورة سبأ			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٨٠-	﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ... ﴾	٢٣	٨٢
سورة فاطر			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٨١-	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ... ﴾	١٨	١٠٢، ١٠٣
١٨٢-	﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾	٢٤	٧٩
١٨٣-	﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ ... ﴾	٤٤	١٧٣
سورة الصافات			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٨٤-	﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ ﴾	٦	٩٩، ١٤٢
١٨٥-	﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾	٦٥	١٤٠
١٨٦-	﴿ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	٩٦	٨٦
سورة ص			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٨٧-	﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾	٨٨	١٧١

سورة الزمر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٨-	﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾	٧٥	٤٧
سورة فصلت			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٩-	﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ...﴾	١٥	١٨٣
سورة الزخرف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٠-	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾	٢٢	١٧
١٩١-	﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾	٨٤	٥٥
سورة الجاثية			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٢-	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ...﴾	١٥	١٠٢
سورة الأحقاف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٣-	﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ...﴾	١٥	٩، ٢٦
١٩٤-	﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	١٩	١١٣
سورة محمد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٥-	﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾	٢	٩

١٩٦-	﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ...﴾	١٢	٣٢
١٩٧-	﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ...﴾	١٥	٢٧
١٩٨-	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ...﴾	١٩	٥٤، ٥٧
سورة الحجرات			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
١٩٩-	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ...﴾	٩-١٠	٩، ٢٤، ١٣٩
سورة ق			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢٠٠-	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ...﴾	١٦	١١٦
سورة الذاريات			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢٠١-	﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢١	١٠٠
٢٠٢-	﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٥٤، ١١٦
سورة القمر			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢٠٣-	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	٨٦
سورة الرحمن			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢٠٤-	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾	٢٦	٩٥
سورة الحديد			
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢٠٥-	﴿وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	٧	١٩٨

٢٠٦-	﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ... ﴾	٢٢	٨٨
٢٠٧-	﴿ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ... ﴾	٢٣	٩٠
	سورة المجادلة		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢٠٨-	﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ... ﴾	١	١٣١
	سورة الممتحنة		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢٠٩-	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ... ﴾	٤	٣١
	سورة الصف		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢١٠-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ... ﴾	٢-٣	٣١
	سورة التحريم		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢١١-	﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	٦	٧٠
	سورة الملك		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢١٢-	﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ... ﴾	٥	٩٩
	سورة القلم		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٢١٣-	﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴾	٢٣-٣١	١٥٩
٢١٤-	﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ... ﴾	٤٤	١٨٢

٢١٥-	﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾	٤٨	٣١
سورة المعارج			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٦-	﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾	٢٤-٢٦	١٥٩
سورة الجن			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٧-	﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾	١١	١١٤
سورة المدثر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٨-	﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	٣٨	١٠٢
سورة القيامة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٩-	﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	١٦-١٩	١٤٢
سورة الانفطار			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٠-	﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾	١٩	١٧٠
سورة الشرح			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢١-	﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾	٥-٦	١٢٨
سورة التين			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٢-	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ...﴾	٤-٥	١٩٨

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	طرف الحديث	راوي الحديث	الصفحة
١-	**أحلت لنا ميتتان الحوت والجراد .....**	سنن ابن ماجة	١٤٧
٢-	**أعطيت مكان التوراة السبع .....**	مسند احمد ، معجم الكبير الطبراني	٣٩
٣-	**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام .....**	سنن الترمذي وأبي داود	٢٥
٤-	**إن الصدق يهدي إلى البر .....**	صحيح مسلم	١٢٥
٥-	**إن الله قال: من عادى لي ولياً .....**	صحيح البخاري	١٨٥
٦-	**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً .....**	صحيح مسلم	١٠٥
٧-	**إن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم الحمر ....**	صحيح مسلم	١٤٩
٨-	**خلقت الملائكة من نور .....**	صحيح مسلم	٦٩
٩-	**خيركم من تعلم القرآن وعلمه .....**	صحيح البخاري	١٠٦
١٠-	**شيع هذه السورة من الملائكة ما سدّ الأفق .....**	المستدرك	٣٩
١١-	**فيما سقت الأنهار، والغَيْم العشور .....**	صحيح مسلم	١٦١
١٢-	**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد .....**	صحيح البخاري	١١٩
١٣-	**لله تسعاً وتسعون اسماً .....**	صحيح البخاري	٦١
١٤-	**ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة ..**	صحيح مسلم	١٦٠
١٥-	**مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله .....**	صحيح البخاري	٨٧
١٦-	**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده .....**	صحيح مسلم	٢٨
١٧-	**نهى رسول الله . عن كل ذي ناب من السباع ..**	صحيح مسلم	١٤٩

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لها

م	العلم	الصفحة
١-	ابن القيم: محمد بن أبي بكر الدمشقي	٣١
٢-	جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، يكنى أبا عبد الرحمن	١٦٠
٣-	واثلة بن الأسقع: كنيته أبو شداد	٣٩

رابعاً: المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢- الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، محمود شوق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢١هـ.

٣- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٤- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥- أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (ت: ٥٠٤هـ)، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧- أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود، ط١.

٨- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٩- الأساس في التفسير، للشيخ سعيد حوى، دار السلام، القاهرة.

١٠- أساليب البحث العلمي بمصادر الدراسات الإسلامية، محمد راكان الدغيمي، ط٣، ١٤١٧هـ.

١١- أساليب التربية والدعوة والتوجيه في خلال سورة إبراهيم، د. وسيم فتح الله، موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

١٢- أساليب دعوة العصاة، أ.د. عبد الرب بن ثواب الدين بن غريب الدين آل ثواب، ط٣٦، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.

١٣- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، بيروت، ١٤١١هـ.

١٤- استخراج الجدال من القرآن الكريم، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي، أبو الفرج، نصاح الدين ابن الحنبلي (ت: ٦٣٤هـ)، المحقق: د. زاهر بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، ط٢، ١٤٠١هـ.
١٥- أسد الغاية، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٦- أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
١٧- أصول التربية التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية، د. محمد حسن العمايرة، دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٨- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٢٠- أطيب النشر في تفسير الوصايا العشر، مرزوق بن عباس الزهراني، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٢١- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ط٢، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت.
٢٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٣- أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط١، ١٩٦٤م.
٢٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٥- الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، علي محمد محمد الصلابي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١.
٢٦- الإيمان بالله ﷻ، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، ط١، سوريا.
٢٧- الإيمان بيوم القيامة وأهواله ، علي بن نايف الشحود ، ط١ .

٢٨- البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، دار الشروق، جدة، ط٦، ١٤١٦هـ.
٢٩- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، دار النشر: دار الفكر، بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي.
٣٠- البدر الطالع، الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
٣١- بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (ت: ١١٥٦هـ)، مطبعة الحلبي، ١٣٤٨هـ.
٣٢- بصائر ذوي التمييز في مختلف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٣٣- البيان في مداخل الشيطان ، عبد الحميد جاسم البلالي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٦ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م .
٣٤- بيان المعاني، عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العالي (ت: ١٣٩٨هـ)، ط٣، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢هـ-١٩٦٥م.
٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهدية.
٣٦- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه وأسبابه – مراحله وأهدافه)، علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، مكتبة التابعين، مصر، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠٠١م.
٣٧- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، دار الصحابة للتراث بطنطا، سنة النشر ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، مصر.
٣٨- تجديد الوعي، أ.د. عبد الكريم بكار، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٣٩- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٤٠- تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام، د. إبراهيم الكيلاني، مكتبة الأقصى، ط١، عمان، الأردن، ١٤٠١هـ.
٤١- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ط١، دار الفكر الحر.
٤٢- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٣- التغير الاجتماعي والتخطيط، محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، ط٢، الاسكندرية، ١٩٨٢م.
٤٤- التغير الاجتماعي، دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية، سيف الإسلام مطر، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٨٦م.
٤٥- تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: ١٣٥٩هـ)، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٤٦- تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ.
٤٧- تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق: د. أحمد مصطفى الفران، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٤٨- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٤٩- تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥٠- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
٥١- تفسير القرآن الحكيم، محمد عبد المنعم خفاجي، بتصرف، دار العهد الجديد، ط١.
٥٢- تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، الرازي بن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
٥٣- تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٥٤- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥٥- تفسير القرآن، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، المحقق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهب، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٥٦- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.
٥٧- تفسير الكشاف، للإمام الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٥٨- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.
٥٩- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن مثلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٦٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، ط٢، دمشق، ١٤١٨هـ.
٦١- التفسير الموضوعي لسورة الأنعام، أحمد محمد الشرقاوي، القصيم، ١٤٢٨هـ.
٦٢- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، السعودية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٦٣- التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، ط١٠، بيروت، ١٤١٣هـ.
٦٤- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٧م، التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، السعودية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٦٥- التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٣٢هـ.
٦٦- التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي ابن آدم الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، وزارة الأوقاف السعودية.
٦٧- توضيح العقائد في علم التوحيد، عبد الرحمن الجريري، مكتبة الإرشاد، ط٣.
٦٨- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٦٩- تيسير التفسير، إبراهيم القطان (ت: ١٤٠٤هـ)، ط١.

٧٠- تيسير الكريم الرحمن إلى تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٠م.
٧١- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٧٢- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٧٣- الحل الإسلامي فريضة وضرورة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٧٤- الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"، إعداد: أحمد محمد الشرقاوي، جامعة الشرقية، ١٤٢٨هـ.
٧٥- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.
٧٦- دراسة المجتمع، مصطفى الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م.
٧٧- الدرر الكامنة، ابن حجر، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد، الهند، ط٢، حيد آباد، الهند، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
٧٨- دلائل النبوة، البيهقي، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٧٩- رسالة ماجستير المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها – دراسة تطبيقية، طارق أحمد محمد عقيلان، إشراف الدكتور رياض محمود قاسم، ص ١٨، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٨٠- روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.
٨١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، دار الفكر العربي.
٨٢- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ط١.
٨٣- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٨٤- سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، دار الفكر، بيروت.
٨٥- سنن أبي داود، أبو داود سلميان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٨٦- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
٨٧- سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م.
٨٨- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعاقري، أبو محمد، جمال الدين، (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
٨٩- الشباب والتغيير، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.
٩٠- شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٩١- الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٩٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٩٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٩٤- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩٥- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، أبو أحمد محمد أمان ابن علي جامي علي (ت: ١٤١٥هـ)، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ.
٩٦- صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السقاف.

٩٧- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٩٨- عالم الجن والشياطين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي.
٩٩- علوم القرآن عند ابن عبد البر، محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني، رسالة ماجستير، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، الرياض، ١٤١٩هـ.
١٠٠- عمدة الحفاظ، سمين الحلبي، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٠١- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال.
١٠٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
١٠٣- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٠٤- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
١٠٥- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٠٦- فقه السنة ، سيد سابق (ت: ١٤٢٠هـ) ، ط٣، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
١٠٧- فن التعامل، هارون يحيى، مكتبة الكتاب العربي.
١٠٨- الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر، الغورية، ط١، مصر، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٠٩- في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.
١١٠- في نظريات التغيير، منير شفيق، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.
١١١- قاعدة في الصبر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، العدد ١١٦، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
١١٢- القاموس الفقهي، سعيد أبو جيب، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١١٣- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٩٨٠م.
١١٤- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر بن يعقوب آبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراب في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوس، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ.
١١٥- قاموس علم الاجتماع، محمد محمد علي، الهيئة المصرية، ١٩٧٩م.
١١٦- القانون الإسلامي، لأبي الأعلى المودودي، ترجمة: محمد عصام الحداد، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
١١٧- القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
١١٨- القضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١٣، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، بتصرف يسير.
١١٩- قضية التغيير، دراسة الدوافع والمنهج والمضمون، أحمد محمد مفلح، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٢٠- الكبائر، تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار النبوة الجديدة، بيروت.
١٢١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
١٢٢- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٢٣- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٢٤- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن لعي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد المجيد، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٢٥- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٢٦- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، مصر.
١٢٧- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٢٨- مجلة حراء، عنوا: سنة التدرج في الإصلاح، أ.د. محمد عمارة، العدد ١٠، يناير – مارس، استانبول، تركيا، ٢٠٠٨م.
١٢٩- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٣٠- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ.
١٣١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٣٢- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٣٣- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ.
١٣٤- مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.
١٣٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبدالله، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
١٣٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٣٧- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح بن حمد العساق، مكتبة العبيكان، ط٣، ١٤٢٤هـ.
١٣٨- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت: ١٣١٦هـ)، المحقق: محمد أمين الصناوي، دار الكت، ط١، العملية، بيروت، ١٤١٧هـ.
١٣٩- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٩٥هـ)، كتاب التفسير، دار المعرفة، بيروت، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.
١٤٠- مسند الإمام أحمد، ، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٣١هـ-٢٠٠١م.
١٤١- مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (ت: ١٤١٥هـ)، ط١٦، ط٤، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
١٤٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، إحياء التراث العربي، بيروت.
١٤٣- مفاتيح الغيب ، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد التميمي الرازي الشافعي ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.
١٤٤- المناهج المعاصرة، سرحان الدمرداش، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
١٤٥- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية بيروت ،١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .
١٤٦- منزلة الصلاة في الإسلام، د. سعيد بن علي بن وهب القحطاني، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.
١٤٧- منهج التغيير الإسلامي دراسة تطبيقية لمنهج التغيير الإسلامي في عهد عمر بن عبد العزيز، نافذ سليمان الجعب، تقديم: د. حمدان عبد الله الصوفي، الجامعة الإسلامية، غزة، قسم أصول التربية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٤٨- المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. حمود بن أحمد بن فرج الزحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٤٩- منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الأنبياء والحج – دراسة موضوعية، إعداد الباحث: بلال خليل ياسين، إشراف أ.د. عبد السلام حمدان اللوح، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
١٥٠- منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الأنفال والتوبة، إعداد: عبد المؤمن إبراهيم محمد الفقي، إشراف أ.د. زكريا الزميلي.

١٥١- منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي الحجر والنحل، إعداد: أمية الغرة، إشراف: د. وليد محمد العامودي، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
١٥٢- منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي المؤمنين والنور – دراسة موضوعية، إعداد: جهاد محمد إسحاق شراب، إشراف: د. جمال محمود محمد الهوبي، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
١٥٣- منهجيات التغيير والإصلاح في ضوء سورة آل عمران، عطا يوسف وادي.
١٥٤- منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد إدريس الطعان، كلية الشريعة، جامعة دمشق.
١٥٥- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٥٦- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، دار السلاسل، الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
١٥٧- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح ابن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤.
١٥٨- نظرات في التربية الإيمانية، مجدي الهلالي.
١٥٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٦٠- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٦١- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية.
١٦٢- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معنى القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٦٣- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٦٤- وسطية الإسلام ودعوته للحوار، أ.د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، موقع وزارة الأوقاف السعودية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

خامساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
المقدمة	د
أولاً: أهمية الدراسة	د
ثانياً: الأسباب التي دعت إلى اختيار البحث	هـ
ثالثاً: أهداف الدراسة والغاية منها	هـ
رابعاً: الدراسات السابقة	هـ
خامساً: منهج البحث	هـ
سادساً: خطة البحث	و
التمهيد **مفهوم المنهج والإصلاح والتغيير ومجالاته في القرآن الكريم**	١
المبحث الأول: مفهوم المنهج والإصلاح والتغيير والفرق بينهما	٢
المطلب الأول: مفهوم المنهج	٣
المطلب الثاني: مفهوم الإصلاح	٦
المطلب الثالث: مفهوم التغيير	١١
المطلب الرابع : الفرق بين الإصلاح والتغيير	١٦
المبحث الثاني: مجالات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم	١٨
المطلب الأول: التدرج في الإصلاح والتغيير	١٩
المطلب الثاني: أهداف الإصلاح والتغيير	٢٠
المطلب الثالث: مجالات الإصلاح والتغيير	٢٣

المبحث الثالث: أساليب الإصلاح والتغيير والعلاقة بينهما	٢٩
المطلب الأول: أساليب الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم	٣٠
المطلب الثاني: العلاقة بين الإصلاح والتغيير	٣٤
الفصل الأول **بين يدي سورة الأنعام**	٣٦
المبحث الأول: اسم السورة وعدد آياتها ونزولها وأغراضها	٣٧
المطلب الأول: اسم السورة وعدد آياتها وفضلها	٣٨
المطلب الثاني: زمن نزول السورة والجو الذي نزلت فيها السورة	٤٠
المطلب الثالث: محور السورة	٤١
المطلب الرابع : موضوعات السورة	٤٢
المبحث الثاني: المناسبات في سورة الأنعام	٤٤
المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة ومحورها ، وبين افتتاحها وخاتمتها	٤٥
المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها	٤٦
الفصل الثاني **منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الأنعام**	٥١
المبحث الأول: منهج الإصلاح والتغيير العقائدي	٥٢
المطلب الأول: توحيد الألوهية ومقتضياته	٥٣
المطلب الثاني: أسماء الله وصفاته	٥٩
المطلب الثالث: الإيمان بالملائكة	٦٨
المطلب الرابع: الإيمان بالكتب السماوية	٧٣
المطلب الخامس: الإيمان بالرسل	٧٩
المطلب السادس: الإيمان باليوم الآخر	٨٣
المطلب السابع: الإيمان بالقضاء والقدر	٨٦

المطلب الثامن: مصير الكفار يوم القيامة	٩٢
المطلب التاسع: مظاهرة قدرة الله تعالى	٩٥
المطلب العاشر: العدل الإلهي في الثواب والعقاب	١٠٢
المطلب الحادي عشر: القرآن إعجاز وهداية	١٠٥
المطلب الثاني عشر: الجن من مخلوقات الله تعالى	١١٠
المبحث الثاني: منهج الإصلاح والتغيير الأخلاقي	١١٥
المطلب الأول: الوصايا العشر	١١٦
المطلب الثاني: عدم الكذب والتنفير منه	١٢٤
المطلب الثالث: الجدل	١٣٠
المطلب الرابع: الابتلاء سنن الله في الأرض	١٣٦
المطلب الخامس: التحذير من الشيطان	١٤٠
المبحث الثالث: منهج الإصلاح والتغيير التشريعي	١٤٦
المطلب الأول: الأشياء المحرمة على المسلمين و اليهود	١٤٧
المطلب الثاني: الصلاة عمود الدين	١٥٣
المطلب الثالث: زكاة الزروع	١٥٧
المبحث الرابع: منهج الإصلاح والتغيير الدعوي	١٦٤
المطلب الأول: القصص	١٦٥
المطلب الثاني: التهديد والوعيد	١٦٩
المطلب الثالث: النظر والتفكر في أحوال الأمم السابقة	١٧٣
المطلب الرابع: الحوار	١٧٦
المطلب الخامس: الاستدراج	١٨١
المطلب السادس: العناية الإلهية للدعاة	١٨٤
المطلب السابع: الدعوة هي مهمة الأنبياء	١٨٩

المبحث الخامس: منهج الإصلاح والتغيير السياسي	١٩٤
المطلب الأول: منهج القران في خلافة الأرض	١٩٥
المطلب الثاني: منهج القران في التعامل مع المشركين	١٩٩
المطلب الثالث: الصراع بين الحق والباطل	٢٠٢
المطلب الرابع: جهل الكفار بالتشريع	٢٠٥
الخاتمة	٢٠٨
أولاً: النتائج	٢٠٨
ثانياً: التوصيات	٢١٠
الفهارس	٢١١
أولاً: فهرس الآيات القرآنية	٢١٢
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية	٢٣١
ثالثاً: فهرس الأعلام المترجمة	٢٣٢
رابعاً: فهرس المصادر والمراجع	٢٣٣
خامساً: فهرس الموضوعات	٢٤٦
ملخص الرسالة باللغة العربية	٢٥٠
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	٢٥٠

ملخص الرسالة

(منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الأنعام – دراسة موضوعية)

ذكرت الباحثة تعريفاً للمنهج والإصلاح والتغيير لغة واصطلاحاً، وذكرت أهداف الإصلاح والتغيير، ومجالاته، وأساليبه، والفرق بين الإصلاح والتغيير.

وكذلك ذكرت الباحثة تعريفاً عاماً لسورة الأنعام، اسمها، وعدد آياتها وفضلها، وزمن نزولها، ومحورها، والمناسبة بينها وبين السور والآيات، إضافة إلى ذكر منهجيات الإصلاح والتغيير العقائدي، والأخلاقي، والتشريعي، والدعوي، والسياسي.

وختمت الباحث البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات.

ABSTRACT

(Reform and change methodologies in surat – Alanam subjetive study)

The researcher mention the definition of curriculum reform and change in language and idiomatically, stated goals of reform and change, its fields, and methods, the difference between reform and change.

The researcher mentioned general definition of Alanam, name, and number of verses and virtues, and the time of descent, centered, appropriate between the suras and the verses, in addition to discribe methodologies reform and change the ideological, moral, legislative, and Dawa, and political.

The researcher concluded the most important recommendations.